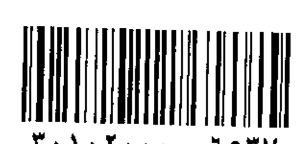
المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى بمكة المكرمة

كلية الدعوة وأصول الدين

فرع العقيدة



قضايا العقيدة ومنهج الدعوة إلى الله في قصة نوح عليه السلام

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير بفرع العقيدة

اعداد

الطالبة / جميلة أحمد محمود صقر

إشراف

فضيلة الدكتور / أحمد المهدي

العام ١٤١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

" ملخص رسالة ماجستير في العقيده "

مقدمه من الطالبه : جميله احمد صقر .
موضوعها " قضايا العقيده و منهج الدعوه الي الله في قصه نوح عليه السلام "
باشراف : الاستاذ الدكتور / احمد المهدي .

الحمد لله وحده ، و الصلاة و السلام علي من لا نبي بعده .
و بعد :
فقد اشتمل هذا البحث علي مقدمه ، و بابين ، و خاتمه .

أما المقدمه : فلبيان اهميه الموضوع ، و دواعي اختياره .

و أما الباب الاول : فقد خصص للحديث عن قضايا العقيده في قصه نوح عليه السلام و قد اشتمل علي تمهيد و أربعة فصول :

خصص الاول منها للحديث بالتفصيل عن قضيه التوحيد . و فيه تمهيد و ثلاثة مباحث
و أما الثاني : فقد اشتمل علي قضايا النبوة بالتفصيل و فيه ثمانيه مباحث
و أما الثالث : فقد خصص للحديث عن الايمان باليوم الآخر . و فيه تمهيد ومبحثان .
و أما الفصل الرابع : فقد اشتمل علي بقية مسائل العقيده و فيه تمهيد وثلاثه مباحث .

و أما الباب الثاني : فقد خصص للحديث عن منهج الدعوة في قصة نوح عليه السلام . و قد اشتمل علي تمهيد و أربعه فصول .
الاول منها : للتعريف بنوح عليه السلام و قومه . و فيه مبحثان .
و أما الثاني : فلبيان الاساليب التي دعا بها قومه و جهاده معهم . و فيه تمهيد و ثلاثه مباحث .
و أما الثالث : فللحديث عن موقف قومه من دعوته . و فيه سبعة مباحث .
و أما الفصل الرابع : فقد خصص للحديث عن نهاية قومه . و فيه ثمانيه مباحث .

و أما الخاتمه : فقد اشتملت علي اهم نتائج البحث و هي كثيره . و منها يتضح أن نوحا عليه السلام أول رسل الله الي أهل الارض . و أول أولي العزم منهم ، و أن رسالته قد اشتملت علي أصول العقيده التي أرسل بها جميع المرسلين من بعده . وهي الايمان بالله ، و ملائكته و كتبه و رسله ، واليوم الآخر , والقدر . كما اشتملت علي مناهج الدعوه التي اقتدي بها جميع الرسل - عليهم السلام - من بعده .

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ...

عميد كليه الدعوة و أصول الدين	المشرف	الطالبة
د. علي بن نفيع العلياني	أ.د أحمد المهدي	جميله أحمد صقر

قال تعالى :

لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١١١) سورة يوسف

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا (٧) . سورة الأحزاب

إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (١٦٣) . سورة النساء

لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٥٩) . سورة الأعراف

إهـــــــــداء

إلى الذين تتجـــافى جنوبهم عن المضـــــاجع
يرجون رحمة ربهم ويخشون عذابه

دعـــاة هذا الجيـــل

إلى الأبـــطال الذين فجروا فينــــا روح العــزة
والكرامة وأيقظوا سبات أمتنا العميق

أبطال هذا الجيل

إليك خاصة كلمة التـــوحيد إليكم جميعا يا من
أحبكم فى الله أهدى عملى المتواضع هذا ..

الباحثـــــة

جميـــلة

عباده المحسنين المقربين اللهم آمين ٠

كما أنه لا يفوتني في هذا المقام أن أقدم بالغ الاحترام والتقدير لمن صبرا عليّ وتحملا عني مُرّ السنين وساعداني لاستكمال هذه المرحلة العلمية والديّ الحبيبين، فاجزهما اللهم عني خير الجزاء، وبارك فيهما، واجعلهما ربي من عبادك الأخيار ٠

ومما يسعدني في هذا المقام أن أذكر بطيب الشكر والثناء، وخالص التقدير والوفاء، تلك الأيادي التي امتدت لي بالعطاء، أخوات التقيت بهن على رضى رب السماء، فأسألك اللهم أن تجعلني وإياهن من أهل الخفاء الأتقياء ٠

واجز اللهم كل من يسر لي التعليم في جامعة أم القرى رئاسة ومرؤسا خير الجزاء، اللهم آمين، آمين، آمين ٠

الباحثه

المقدمة

إن الحمد لله نحمده و نستعينه و نستغفره و نستهديه، و نتوب اليه ، و نعوذ بالله من شرور أنفسنا و سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، و من يضلل فلن تجد له وليا مرشدا، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، و أشهد أن محمدا عبده و رسوله ٠ حمل الرساله ، و أدى الأمانه، و نصح الأمه ٠

اللهم لك الحمد على ما أنعمت به علينا من نعمك و آلائك العظيمة؛ حيث أنزلت علينا خير كتبك، و أرسلت الينا أفضل رسلك ، و شرعت لنا أفضل شرائع دينك، و جعلتنا من خير أمة أخرجت للناس ٠ أما بعد

لقد عرض القرآن العظيم صورا لدعوة للأنبياء عليهم السلام؛ و ما جاءوا به لهداية البشريه؛ لإخراجهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ٠

و من بين هذه الصور المعروضة قصة نوح عليه السلام مع قومه ، أرسله الله عز وجل الى قومه ليدعوهم الى توحيد الله سبحانه ؛ لإخراجهم مما هم فيه من عبادة الأوثان، و شتى ألوان الكفر و الإلحاد ، و استمر في دعوتهم ألف سنة الا خمسين عاما؛ لإقرار و إفراد العبودية و الحاكمية لله عز و جل، و تسليم كامل السلطان له سبحانه ، سالكا في ذلك كل السبل و الطرق من أجل دعوتهم ٠ فكانت دعوته إلى ذلك ليلاً و نهاراً ، و سراً و جهاراً ، و من ثم وجه أنظارهم إلى بديع خلق السموات و الأرض ، و التفكر في خلق

الأنفس و واسع الآفاق ، ورغم ذلك الجهد المتواصل ما آمن معه الا قليل .

و من أجل بيان ما كان من شأن هذا الضمير الحي و القلب الكبير و التضحية الخالصة التى قامت بالعمل و الدعوة الى الله تعالى بعد أن كلفه الله سبحانه وتعالى بالقيام للدعوة اليه .

و كان ذلك كله حافزا و داعيا لإختيار هذا الموضوع للبحث و الاطلاع على الحقيقة تحت عنوان :

" قضايا العقيدة و منهج الدعوة الى الله فى قصة نوح عليه السلام "

و لما لهذا الموضوع من أهمية بالغة دعتني للكتابة فيه أمور منها :-

أولا : أن دعوته عليه السلام هى أولى الرسالات السماوية التى جاءت بأصول الدين، الى جانب ما تطرقت اليه من ذكر أساليب الدعوة، و فنونها، و مرورها بمراحل السرية و الجهر، و الجمع بينهما .

ثانيا : الفترة الزمنية الطويلة التى قضاها نوح عليه السلام فى قومه داعيا الى الله تعالى ، ورغم ذلك ما آمن معه إلا قليل. إلا أن هذا لم يثنه عن دعوته، و استمر يدعو الى ربه .

ثالثا : ما كان من جميل صبره عليه السلام و ما تحمله من بالغ الأذى خلال هذه الفترة لأجل نشر دعوته .

و لما كانت دعوته عليه السلام بمثابة المنهاج للدعوات اللاحقه لها مع بيان موقف الجاهلية الدائم من قضية التوحيد ذلك الموقف المتكرر على مر السنين و الأزمان ؟ موقف الإعراض و الصد عن تحكيم شرع الله عز و جل .

رابعا : ندرة من كتب عن نوح عليه السلام رغم ما نجده زاخرا من قصص أولى العزم من الرسل خاصة ، و لأنه لم يسبق لمثل هذا العمل أو الكتابة فيه بهذه الصوره حسب الاطلاع و البحث عن هذا ٠

عليه فقد دعتنى هذه الأسباب للكتابة فى هذا البحث و قد قسّم بحسب طبيعة موضوعه الى :- مقدمة و بابين و خاتمه :

أما المقدمة فقد تحدثت فيها عن أهمية الموضوع و فائدته العلمية و الأسباب التى دعتنى الى البحث فيه ٠

أتبعت ذلك بالباب الأول الذى خصصته للحديث عن قضايا العقيدة فى قصة نوح عليه السلام و قد قسمته الى تمهيد و أربعة فصول ٠

تحدثت فى التمهيد عن أصول العقيدة فى قصة نوح عليه السلام و أنها كانت بمثابة قواعد البنيان بالنسبة للدعوات اللاحقة لها ٠

و أما الفصل الأول فقد خصصته للحديث عن قضية التوحيد ، و أما الفصل الثانى فقد خصصت فيه الحديث عن قضايا النبوة و الرسالة ، و أعقبت ذلك الفصل الثالث و خصصته للحديث عن الإيمان باليوم الآخر ، ثم تلاه الفصل الرابع الذى تحدثت فيه عن بقية مسائل العقيدة ٠

أما بيان منهاج الدعوة الى الله فى قصة نوح عليه السلام فهذا ما أفردت له الباب الثانى من هذه الرساله و قد جاء متضمنا تمهيدا و أربعة فصول ، تحدثت فى التمهيد عن أهمية دعوة نوح عليه السلام و أنها أولى الرسالات السماوية لأهل الأرض ٠

ثـم خصصـت الفصـل الأول للحـديث عـن نـوح عليـه السـلام و قومه ، و جاء بعـد ذلك الفصـل الثانـى الذى تناولت فيـه الأساليب التى دعا بها نـوح قومـه ، ثـم بينت فـى الفصـل الثالث موقف قـوم نـوح من دعوتـه ، و أمـا الفصـل الرابـع فقد خصصـته للحـديث عـن نهايـة قـوم نـوح و سـنه الابتلاء فـى ذلك ٠

و أخيـرا فإن أحسـنت فـي عملـي هـذا فبتوفيـق و فضـل مـن اللـه عـز و جـل و إن أخطـأت فمـن نفسـى ، و حسـبى فـى ذلك أننـي طالبـة علـم أسـعى للوصـول الـى الصـواب ٠

" و ما توفيقـى إلا باللـه عليـه توكلت و إليـه أنيب ٠ "(١)

و آخـر دعوانـا أن الحمـد للـه رب العالميـن ٠

الباحـثـه

١- سورة هود : الآية ٨٨ .

الباب الأول

قضايا العقيدة في قصة نوح عليه السلام

وفيه تمهيد وأربعة فصول :

تمهيد

اهتم القرآن الكريم بعرض مواقف الأمم السابقة مع أنبيائهم الذين جاءوا يدعونهم الى أسس عقيدة واحدة ، وهى الايمان بالله وحده لا شريك له ، وأنه خالق هذا الكون ومدبره وحاكمه وسيده فلا ند له ولا شريك فى ملكه والأمر كله له .

وأكثر ما ألقيت الأضواء عليه فى قصة نوح عليه السلام ما كان من اثبات عقيدة التوحيد خلال الفترة الزمنية الطويلة التى عاشها نوح عليه السلام يدعو قومه الى توحيد الله تعالى ،وهى ألف سنة الا خمسين عاما . لهذا عنى القرآن الكريم بتفصيل قصته عليه السلام مع قومه مع بيان الطرق التى سلكها نوح عليه السلام فى دعوتهم الى توحيد الله تعالى ، وذلك بأن استثار عاطفتهم ووجه أنظارهم وذكرهم بالنعم التى أحاطهم الله سبحانه وتعالى بها .

ودفعهم الى التفكير فى عظمته سبحانه كما فى قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام :.

" مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ " (١)

لكن القوم عصوا واستكبروا وبقوا على عبادتهم للتماثيل التى صنعوها لأحبائهم ثم اتخذوها آلهة يعبدونها من دون الله عز وجل . وهكذا .

---

١ ـ سورة نوح : الآيات ١٣ ـ ٢٠

تدخلت أهواؤهم لتعبد الله على حرف ، وفى هذا بيان أن عبادة الله تعالى لا تكون إلا وفق ما أمر به الله تعالى وأنزله على رسله عليهم السلام ، ولا مجال للابتداع في هذا الأمر لما روي عن السيدة عائشة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)[1]

ولأن قوم نوح هم أول الأقوام الذين حادوا عن طريق الحق والصواب فى عبادتهم لله تعالى ، فقد أخذ نوح عليه السلام يركز في دعوته لهم على قضيه واحده وهي قضية الإيمان بالله تعالى وحده لا شريك له .

وأهم ما فيها إفراده تعالى بالعبادة ، ذلك أنهم إن رجعوا عن ضلالتهم كان من السهل بعد ذلك تكليفهم بباقى العبادات ، ولكن إذا بقوا على الشرك فليس بعد الكفر ذنب .

لذا كان إهتمامه عليه السلام فى المقام الأول بيان افراده سبحانه وتعالى بالعبادة، وإثبات وحدانيته تعالى ، وقد أوضحت لنا أيات القرآن الكريم ذلك بالتفصيل كما في قوله تعالى :

" لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ "[2] وكما فى قوله تعالى :

" أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ "[3] وكما فى قوله تعالى : " أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ "[4]

---

١ - فتح البارى : ابن حجر : جـ٥ : كتاب الصلح : باب إذا أصلحوا على صلح جور فهو مردود ، ص٣٠١

٢ - سورة الأعراف : الأيه ٥٩

٣ - سورة هود : الآيه ٢٦

٤ - سورة نوح : الآيه ٣

و غير ذلك من الآيات التي إذا نظرنا فيها نجدها قد جمعت بين الأمر بالتوحيد و العبادة الخالصة لله تعالى .

ذلك أن التوحيد باللسان مع الإشراك في العبادة لا يقبل الله تعالى به، لأنه سبحانه لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، كما في قوله تعالى : " إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا " (١) و في هذا درس عظيم لدعاة اليوم من أنه يجب أولا التركيز على غرس العقيدة الصحيحة في نفوس الأجيال و إرشادهم أن لا حاكمية إلا لله تعالى، ثم الإنتقال بعد ذلك إلى بيان التكاليف الشرعية الأخرى، و في ذلك بناء لأسس العقيدة السليمة، و بهذا يتم كمال التوحيد و خلوصه لله عز و جل .

و إن من أهم أمور العقيدة التي يجب التركيز عليها ما كان متمثلاً في أركان الإيمان الستة التي دعت إليها دعوات كل رسول من عند الله تعالى .

و لكي نبين أمور العقيدة حرى بنا بيان معنى العقيدة :

العقيدة في اللغة : من مادة عقد ، عقدت الحبل و البيع و العهد فانعقد لقوله تعالى : " لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ " (٢)

و قد قال الشاعر أولئك قوم ان بنوا أحسنوا البنا ، و ان عاهدوا أوفوا، و إن عاقدوا شدوا . (٣)

---

١ ـ سورة النساء : الآيه ٤٨

٢ ـ سورة المائدة : جزء من الآيه ٨٩

٣ ـ انظر : الصحاح للجوهري: ج ٢ : باب الدال فصل العين ، ص ٥١٠ . لسان العرب : ابن منظور : ج٣ ، باب الدال فصل العين، ص ٢٩٧ . القاموس المحيط : الفيروز آبادي باب الدال : فصل العين : ج ١ ، ص ٣١٥

وعلى هذا فالعقيدة في اللغه:-

هي ما عقد الانسان عليه في القلب والضمير عقدا محكما. (١)

أما العقيدة في اصطلاح بعض العلماء فهي الجانب النظري الذي يطلب الإيمان به أولاً وقبل كل شيء إيماناً لا يرقى إليه شك ولا تؤثر فيه شبهة] (٢)

وهي بهذا كل عمل وافق إيمان بالقلب وإعتقاد بالجنان وعمل بالأركان.

وقد عبر القرآن الكريم عن العقيدة بلفظ الإيمان، وعن الشريعة بالعمل الصالح في كثير من الآيات الكريمة نذكر منها على سبيل التمثيل :

" إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ " (٣)

وكما في قوله تعالى : " وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ " (٤)

والقرآن الكريم جاء بكثير من الآيات التي تبين أركان الإيمان مجتمعة كما في قوله تعالى :

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ " (٥)

وما جاء في حديث جبريل عليه السلام عندما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإيمان فقال:(أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره) (٦). فهذه هي أركان الإيمان وعليها قوامه .

---

١ - المصباح المنير : للفيومي ج٢، ص٧١ .

٢ - الإسلام عقيدة وشريعة : محمود شلتوت : ط١٣ : بيروت : دار الشروق : ١٤٠٤ ، ص ٩

٣ - سورة الكهف : الآيه ١٠٧ إنظر الإسلام عقيدة وشريعة : محمود شلتوت، ص ١٠

٤ - سورة العصر كاملة .

٥ - سورة النساء : الآيه ١٣٦

٦ - صحيح مسلم : بشرح النووي : بيروت : دار إحياء التراث العربي : ج١ كتاب الإيمان تعريف الإسلام و الإيمان ، ص ١٥٧

و الإيمان في اللغة : مصدر آمن يؤمن إيمانا فهو مؤمن ، و الأصل في الإيمان الدخول في صدق الأمانة التي إئتمنه الله عليها ، و هو التصديق مطلقاً و نقيضه الكفر ، و ضده التكذيب ، يقال آمن به قوم ، و كذب به قوم . (١)

أما تعريفه في الشرع : فقد اتفق علماء السلف بأنه [إعتقاد بالقلب و نطق باللسان ، و عمل بالأركان .] (٢) وبهذا فان الايمان هو العقيدة.

و حين سُئل سفيان الثوري عن الإيمان قال : [الإيمان قول ، و عمل ، و نية ، يزيد و ينقص ، يزيد بالطاعة و ينقص بالمعصية ، و لا يجوز القول إلا بالعمل ، ولايجوز القول و العمل إلا بالنية ، و لا يجوز القول و العمل و النية إلا بموافقة السنة .] (٣)

فأما دليل الإعتقاد بالقلب فقوله تعالى : " يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ " (٤) و هذا ما يخص جانب العقيدة و يوافقه .

أما ما كان من جانب النطق باللسان : فقوله تعالى : " قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ " (٥)

و أما ما كان من عمل بالأركان فقوله تعالى : " وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ " (٦)

---

١ - انظر لسان العرب : ابن منظور : ج١٣ ، فصل الالف : حرف النون ، ص٢٣ . ٢٤ .

٢ - فتح الباري : ابن حجر : بيروت : دار المعرفة : كتاب الإيمان : باب بنى الإسلام على خمس : ج١ ، ص٤٦ . عمدة القاري: العيني : دار الفكر : ١٣٩٩ ، ج١ ، كتاب الإيمان : باب الإيمان : ص١٠٣ ، صحيح مسلم : شرح النووي : ج١ ، كتاب الإيمان : ص١٤٦ شرح العقيدة الطحاوية : ابي العز : ط٦ : بيروت : المكتب الإسلامي : ١٤٠٠ ، ص٣٧٤

٣ - شرح أصول إعتقاد أهل السنة والجماعة : اللالكائي : الرياض : دار طيبة : ١٤٠٢ : ج١ ، ص١٥١

٤ - سورة المائدة : جزء من الآية ٤١   ٥ - سورة الحجرات: جزء من الآية ١٤

٦ - سورة البينة : الآية ٥

وبناءً على ما سبق فالإيمان يتضمن الإيمان بكل ركن من الأركان الستة السابق بيانها .

ومما تجدر الإشارة إليه أن التفصيل سيكون بمشيئة الله تعالى في ثلاثة أركان منها وهي :

أولاً : الإيمان بالله تعالى ، وذلك بإفراده تعالى بالعبادة ، لأنها تمثل القضية الأولى والكبرى في دعوة نوح عليه السلام وهو ما يخص جانب التوحيد ، وسأخص له الفصل الأول .

ثانياً : الإيمان بالنبوة وإثبات رسالته عليه السلام وأنها من عند الله عز وجل وسأخص له الفصل الثاني .

ثالثاً : الإيمان باليوم الآخر وقضية المعاد ، وسأخص لذلك الفصل الثالث ، أما ما كان من شأن بقية أركان الإيمان فلم يرد الحديث عنها بالتفصيل في قصته عليه السلام وسنبين ذلك بمشيئة الله تعالى .

وأما ما كان من دعائه واستغفاره عليه السلام ، وحكم التماثيل والصور فسنفرد لكل ذلك الفصل الرابع بمشيئة الله تعالى . مع بيان علاقة كل منها بقضية التوحيد من خلال قصته عليه السلام

والله ولي التوفيق .

. . .

الفصـــل الأول

قضيـــة التوحيـــد

ويشتمل علـى : تمهيـد وثلاثـة مباحـث :

أما التمهيـد : فسأتحدث فيه عن فطرية الدين، ومنشأ الشرك .

المبحث الأول : تعريـف التوحيـد .

المبحث الثانى : التوحيـد الذي دعـت إليـه الرسـل .

المبحث الثالث : ما تتضمنـه كلمـة التوحيـد .

تمهيـــــــــد

سبق أن أوضحنا أن العقيدة هي العهد المشدود و العروة الوثقى.
و ذلك لاستقرارها في القلب و رسوخها في الأعماق . و قد جاءت في القرآن الكريم بمسمى الإيمان .
و بيان أن الإيمان هو ماصدقه القلب و نطق به اللسان و عملت به الجوارح .
و بيان أركانه أنها ستة أركان، لا يستوى كمال الإيمان إلا بها جميعاً.
فأما أول ركن من أركان الايمان فهو :-

الإيمان بالله تعالى : و هو التصديق بوجوده و أنه متصف بصفات الكمال منزه عن صفات النقص .[1]
و قد وضح الألباني هذا التعريف بقوله [هو التصديق القاطع الجازم بوجوده تعالى . كما أخبر سبحانه و تعالى به ، و اطمئنان القلب وسكون النفس إلى ذلك بحيث لا يبقى في القلب أدنى مرض و ظلمة ، و لا في العقل أقل شبهة أو ريبة في وجود الله جل جلاله][2] و على هذا فالإيمان بالله تعالى صفة للقلوب الخاشعة المتضرعة لذكره تعالى . و يتضمن توحيده سبحانه و تعالى التوحيد بأنواعه الثلاثة التى تتضمنها كلمة التوحيد بشهادة " أن لا إله إلا الله " و هذا ما أودعه الله تعالى في البشرية و أودعه شأن الفطرة التى فطر الله الناس عليها . و ذلك بتوحيد الله تعالى و إفراده بالعبادة، و هو الإسلام لله تعالى و هو الدين الذى

---

١ - صحيح مسلم : بشرح النووى : جـ ١ : كتاب الايمان ، ص ١٥٧

٢ - أركان الإيمان : الألبانى : ط٣ : مؤسسة الرسالة : ١٤٠٤ ، ص ١٢
انظر دستور الأخلاق فى القرآن : محمود دراز : ط٤ : بيروت : مؤسسة الرسالة : ١٤٠٢، ص٣٠٢

إرتضاه لهم جميعا من لدن آدم عليه السلام الى أن يرث الله الأرض و من عليها . لقوله تعالى : " شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ " (١) ففي هذه الآية الكريمة خبر عن الله بالتوحيد لنفسه ، (٢) و بالشهادة لنفسه ، و من ثم شهادة المخلوقات له بالوحدانية . و من ثم بين عقب هذه الآية أن الدين المرتضى هو الإسلام . و هذا ما فطر الله تعالى عليه الناس كما في قوله تعالى : " فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾ " (٣)

و المقصود بالفطرة هنا : هي الإسلام ، و خلق الله ، دين الله (٤) و لا تبديل و لا تحويل لها من جهة الله تعالى .

و حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم عن أبي هريرة رضى الله عنه يدل على ذلك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : (ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء ؟ ثم يقول : " فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم "). (٥)

---

١ ـ سورة آل عمران : الآيه ١٨ ، و جزء من الآيه ١٩

٢ ـ دقائق التفسير : ابن تيمية : تحقيق محمد الجليند : ط٢ : بيروت : مؤسسة علوم القرآن : ١٤٠٦ : جـ ٢ ، ص ٣٠٦

٣ ـ سورة الروم : الآيه ٣٠

٤ ـ انظر : فتح البارى : ابن حجر العسقلانى : بيروت : دار المعرفة : جـ٨ كتاب التفسير : باب "لا تبديل لخلق الله" : ص ٥١٢

٥ ـ المرجع السابق جـ ٨ ، ص ٥١٢ ، و الجزء ٣ ، ٢٤٦

فأصل ما خلق عليه الإنسان هو فطرية التدين ؛ وهو توحيد الله سبحانه وتعالى ، ولا يقبل الله عز وجل من الأولين والآخرين دينا غيره ٠ وبهذا الدين أرسل الله سبحانه وتعالى الرسل وأنزل الكتب ٠ كما في قوله تعالى : " وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ " (١) فأصل ما خُلق عليه الإنسان التوحيد ، وما عرض عليه بعد ذلك ، فهو مما اكتسبه من والديه ، وقد أشهد الله سبحانه وتعالى الخلق على هذه الفطرية كما جاء في قوله تعالى في آية الميثاق : " وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ " (٢) فأخذ الشهادة والميثاق عليها من بني آدم وإقرارهم عليها ، سواء كان هذا الإقرار من أهل السعادة فقالوا طوعاً ، أو من أهل الشقاوة فقالوا : كرها ٠ إن هو إلا تأكيد لفطرية وحدانية الله تعالى ٠

<u>منشأ الشرك :</u>

ان ما كان فيما بعد من إشراك بالله ، فهو من احتيال الشياطين ذلك لحرصهم الشديد على غواية بني آدم وإضلالهم ٠

---

١ ـ سورة النحل : جزء من الآية ٣٦

٢ ـ سورة الأعراف : الآيتان ١٧٢ ـ ١٧٣

و لما كان الناس أمة واحدة على التوحيد الذى فطرهم الله عليه ، إلا أنهم حادوا عن هذه الجادة ، لذا بعث الله النبيين مبشرين و منذرين ، و خلال فترة كونهم على التوحيد ، كان هناك رجال صالحون بينهم رفعوا فيها لواء الحق و تمسكوا بأمور الفضيلة ، و من هذا المنطلق الخيّر كان لهم أتباع فأحبوهم و تعلقوا بهم ، و اتخذوهم قدوة حسنة لهم . حتى قضت سنة الله فيهم .

و هنا ظهر كيد الشيطان لبني آدم . و ظهر معه سر العداوة بين الشيطان و بني الإنسان ، ذلك لأنه أمر أن يسجد لآدم عليه السلام فعصى ربه ، و هنا لعنه الله تعالى بقوله :

« قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ » (١)

و عند هذا الحد من الطرد و اللعن الواقع عليه ، ابتدأت نوازع الحقد و الشر معاً في نفس الشيطان " قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ " (٢)

و هنا لم يطلب هذا الانظار ليستغفر الله و يتوب اليه من فعلته ، بل لينتقم من آدم عليه السلام ، و ذريته ، جزاء ما لعنه الله و طرده. فقد ربط لعنة الله له بآدم عليه السلام و لم يربطها بعصيانه لله عز وجل . و هنا قال الشيطان متوعدا : " قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ " (٣)

---

١ ـ سورة الحجر : الآيتان ٣٤ ، ٣٥

٢ ـ سورة الحجر :: الآيات ٣٦ ـ ٣٨

٣ ـ سورة الإسراء : الآية ٦٢

وابتدأت المعركة من ذلك الحين بين الانسان والشيطان الى ان يرث الله الأرض ومن عليها . وقد حدد ابليس أعاذنا الله منه ساحة المعركة وهى الارض وحدد عدته فى هذة الساحة ، وهى التزيين ، تزيين القبيح والاغراء به وتقبيح الحسن كما قال تعالى :- ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (١)

وبهذا لا يفعل الانسان شرا ما الا وعليه مسحة من الشيطان زينها له باظهارها فى غير حقيقتها ، فليحذر الانسان منه اذا ما عرض له أمر ما ، الا ان كان هذا الامر فى طاعة الله خالصا لا شريك لله فيه ، فان الشيطان يعجز أمامه ولا يستطيع القرب منه لما أخذ على نفسه العهد بقوله :-

" ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ "(٢) فليس له عليهم سلطان ، كما فى قوله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (٣)

ومن هنا كان سر العداوه القائم بين الشيطان وبين الانسان ولا عجب فى ذلك وقد أخذ العهد على نفسه بهذا : " لأغوينهم أجمعين " وقال :-

" ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ " (٤) والمقصود من الصراط المستقيم هنا دين الله وهو الاسلام .(٥)

وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :-

(ان الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه ، فقعد له بطريق الاسلام ، فقال أتسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء أبيك فعصاه فاسلم ، ثم قعد له بطريق الهجرة ، فقال :- أتهاجر وتدع أرضك وسماءك ، وانما مثل المهاجر كمثل الفرس فى الطول فعصاه وهاجر ، فقعد له بطريق الجهاد فقال تجاهد فهو جهد النفس .

---

١ - سورة الاسراء الآية ٦٤

٢ - سورة الحجر الآية ٤٠ : انظر : فى ظلال القرآن : سيد قطب : القاهرة : دار الشروق : جـ٤ ، ص ٢١٣٦ - ٢١٤٢ .

٣ - سورة الحجر الآية ٤٢ .

٤ - سورة الأعراف : جزء من الآية ١٦

٥ - انظر جامع البيان : الطبري : بيروت : دار الفكر : ١٤٠٥هـ : جـ٨ ، ص ١٣٤

و المال فتقاتل فتقتل فتنكح المرأة و يقسم المال ؟ فعصاه فجاهد ... الحديث)[1] هذا الحديث يدل على إستمرار العداء و أنه ما زال قائما ، حتى تمكن من قوم ضِعاف النفوس لا يثقون بأنفسهم ، ولم يدركوا تفضيل الله لهم على سائر من خلق تفضيلا ، فزين الشيطان لهم حبهم لأولئك الصالحين العابدين بعد ما ماتوا ، و بين لهم صفاتهم السامية و أوجه الإحترام لهم و كيف يكون ذلك الإحترام ، و أنهم عبرة و عظة لهم .

و من هنا و من هذا التزيين الذى اتخذه عدته و عتاده بدأت الكارثة العظمى بأن وسوس لهم أن يجعلوا لهم تماثيلاً و صوراً لتذكرهم بهم و تعينهم على عبادة الله .

و هنا ينبرى هذا الجيل المؤمن الذى زين لهم الشيطان ، بصنع هذه التماثيل للذكرى،و من ثم نقلها إلى أبنائهم للتعظيم و التبرك و من الأبناء إلى الأحفاد حيث جعلوها آلهة تعبد من دون الله كما فى قولهم : ما اتخذ آباؤنا هذه إلا كانت آلهتهم فعبدوها .

و سياق الحديث المروى عن ابن عباس رضى الله عنهما يبين هذا : قال : (كانوا أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا ، أوحى الشيطان إلى قومهم أن أنصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون أنصابا و سموها بأسمائهم ففعلوا ، فلم تعبد ، حتى إذا هلك أولئك و تنسخ العلم عبدت) [2]

---

١ ـ سنن النسائى : شرح الحافظ جلال الدين السيوطى جـ ٦ : اعتنى به و رقمه و صنع فهارسه عبد الفتاح أبو غده : ط ١ : بيروت ١٤٠٦ هـ ، كتاب الجهاد : باب ، لمن أسلم و هاجر و جاهد : ص ١٩ ، ٢٠ رقم الحديث ٣١٣٤ . انظر : الطبرى فى تفسيره : جـ ٨ : ص ١٣٨

٢ ـ فتح البارى : ابن حجر : جـ٨ : كتاب التفسير : باب(ودا ولا سواع) ، ص ٦٦٧

وهم من أخبر عنهم القرآن الكريم كما في قوله تعالى :
" وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا " (١) وهكذا ظلموا أنفسهم ودبت الوثنية على وجه الأرض ، آلهة من دون الله الواحد القهار تُعبد منذ ذلك الحين حتى يومنا هذا باختلاف أشكالها وتعدد صورها وأساليبها وعلى حسب ما زخرفها الشيطان وزينها .

ومن هنا كانت الحاجة إلى إرسال الرسل إلى البشرية ليعيدوا الناس إلى فطرتهم التي فطرهم الله عليها ، وهي الإسلام لله تعالى وتوحيده في العبادة كما في قوله تعالى :
" فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ " (٢)

ولما كان الإنحراف إلى الوثنية أول ما وقع في قوم نوح عليه السلام كان لابد من بيان أهم مظاهر دعوته عليه السلام من حيث التركيز على قضية التوحيد ، ذلك أنها هي القضية الأساسية في دعوة كل نبي . وما جاء به القرآن الكريم يدل على ذلك دلالة واضحة لأن الخلق إذا ما عرفوا أن المعبود الحق هو الله وحده لا شريك له ، واستقر ذلك في قلوبهم ، كان من اليسير بعد ذلك التدرج معهم في أمور الشريعة الأخرى .

---

١ - سورة نوح الآية ٢٣ .

٢ - سورة الروم : الآية ٣٠

وبهذا كان نوح عليه السلام : أول رسل الله لأهل الأرض داعياً إلى الله بإذنه كما في قوله تعالى :

" لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ " [١]

ومن هنا بدأت الدعوة إلى توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة وسيتضح ذلك من خلال فصول هذا الباب إن شاء الله .

المبحث الأول : تعريف التوحيد :

جاء الرسل صلوات الله عليهم جميعاً بقاعدة أساسية واحدة من عند الله تعالى وهي كمال التوحيد لله عز وجل ، وهي أصل أصول الإيمان وأعلاها وأفضلها ، كما جاء في قوله تعالى :

" وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ " [٢]

والتوحيد في اللغة : الحكم بأن الشيء واحد ، والعلم بأنه واحد . [٣] وهو الإيمان [٤] بالله وحده لا شريك له الواحد الأحد .

والواحد هو الذي لا يتجزأ ولا يثنى ولا يقبل الإنقسام ولا نظير له ولا مثل ، [٥] وهو أول العدد .

---

١ ـ سورة الأعراف : الآيه ٥٩ . ٢ ـ سورة الأنبياء : الآيه ٢٥

٣ ـ التعريفات : للجرجاني : بيروت : دار لبنان : ١٩٧٨ ، ص ٧٣

٤ ـ لسان العرب : ابن منظور : بيروت : دار صادر : دت : جـ٣٠ : باب الدال فصل الواو ، ص ٤٥٠

٥ ـ الإقتصاد : في الإعتقاد : محمد أبو حامد الغزالي : الطبعة الأخيرة : مطبعة الحلبي : دت ، ص ٣٩ . انظر : الصحاح : الجوهري : تحقيق أحمد عطار : ط٢ : بيروت : دار العلم للملايين ، ١٣٩٩ : جـ ٢ : باب الدال فصل الواو ، ص ٥٤٨ .

و الأحد : ذو الوحدانية و التوحيد ، و لا ينعت به غير الله تعالى لخلوص هذا الاسم الشريف لله جل ثناؤه ٠ [(١)] و لا يجمع هذان الوصفان إلا لله عز و جل ٠

أما تعريفه في الاصطلاح : فقد عرفه شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله بقوله : [التوحيد عند علماء السلف هو إثبات الآلهية لله وحده بأن يشهد أن لا إله إلا هو ، و لا يعبد إلا إياه و لا يتوكل إلا عليه ، و لا يوالى إلا له و لا يعادى إلا فيه ، و لا يعمل إلا لأجله ، و ذلك يتضمن إثبات ما أثبته لنفسه من الأسماء و الصفات ٠] [(٢)]

فالتوحيد على ما تقدم يتضمن إثبات الإلهية و العبادة و الأسماء و الصفات لله عز و جل وحده لا شريك له ٠

و قد ذكر ابن القيم ـ رحمه الله ـ حقيقة التوحيد بقوله : [أول دعوة الرسل و أول منازل الطريق ، و أول مقام يقوم فيه السالك إلى الله تعالى] [(٣)]

أما كونه أول دعوة الرسل : فقد قرر القرآن الكريم هذه الحقيقة و أكدها في قصة كل رسول أرسل إلى قومه كما جاء في قوله تعالى مخاطباً في ذلك محمد صلى الله عليه و سلم :

" وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ " [(٤)]

---

١ ـ معرفة الله : عبد القادر الرحباوى : ط١ : د م : ١٤٠٥، ص ٣٧ ٠ انظر : المقصد الأسنى: أبي حامد الغزالي : تحقيق محمد الخشت : القاهرة : مكتبة القرآن : ١٩٨٥ م ، ص ١٨٨ تفسير سورة الإخلاص : ابن تيمية : القاهرة : دار الطباعة المحمدية : د ت ، ص ٢١٦ ٠ أسرار المعاني في أسماء الله الحسني : محمود حسن : الإسكندرية : المكتب الجامعي الحديث : ١٩٨٨ ، ص ١٩١ ٠ و لله الأسماء الحسنى : أحمد عبد الجواد : بيروت : دار الكتب العلمية : د ٠ ت ، ص ١٦٩

٢ ـ درء تعارض العقل والنقل : ابن تيميه : ط١ : الرياض : جامعة الامام محمد بن سعود : ١٣٩٩ هـ : جـ ١ ، ص ٢٢٤

٣ ـ مدارج السالكين : ابن القيم : ط ٢ : دار الكتاب العربي : بيروت : د ت : جـ ٣ ، ص ٤٤٣ انظر شرح الطحاوية في العقيدة السلفيه : على الحنفي : تحقيق عبد الرحمن عميرة : ط٢ : الرياض : مكتبة المعارف سنة ١٤٠٧ : جـ١ ، ص ٧٧

٤ ـ سورة الأنبياء : الآية ٢٥

فكل رسول جاء يدعو قومه إلى توحيد الألوهية ، و توحيد العبادة معا . و أما كونه أول منازل الطريق : فهذا يعني أن التوحيد هو الموصل إلى سواء السبيل .

و كونه أول مقام يقوم فيه السالك إلى الله عز و جل ، فهو ما يجب الإيمان به و ذلك بأن يشهد أن لا إله إلا الله ، و هذه الشهادة متضمنة أمره بعبادته سبحانه و حده لا شريك له ، و هذا هو العلم بالعقائد الدينية . (١)

بكل هذه المعاني جاءت دعوة نوح عليه السلام مقررة لحقيقة التوحيد كما في قوله تعالى :

" لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ " (٢)

ففي هذه الآية الكريمة بين الله سبحانه و تعالى أن في دعوة نوح عليه السلام ميزات ثلاث هي :-

أولاً : أن نوحاً عليه السلام أمر قومه بعبادة الله وحده لا شريك له ، و في هذا تركيز على تعبيد الناس لله عز وجل ، و هذه العبودية تعني نزع السلطان كله لله تعالى وحده . فعبودية الناس جميعاً متمثلة في معنى أن لا يكون لهم إله إلا الله وحده لا شريك له ، و السلطان لله متمثل في الإعتقاد بكمال ربوبيته تعالى لهذا الوجود كله . و هذا يدل على أن المتفرد في الخلق متفرد في عبوديته ، و في هذه الدلالة أمر ايجاب فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، و قد

---

١ - التحقيق التام في علم الكلام : محمد الظواهري : ط١ : مكتبة النهضة المصرية : ١٣٥٧ ص ٢

٢ - سورة الأعراف : الآية ٥٩

دل على هذا الأمر قوله تعالى : " اعبدوا الله " أي [الذى له العبادة وذلوا له بالطاعة واخضعوا له بالإستعانة] (١)

ثانياً : أنه عليه السلام قرر لقومه إثبات وحدانية الله عز وجل بأنه لا إله غير الله ، وهو متمثل في قوله تعالى :
" ما لكم من إله غيره "

أي [دعوا عبادة ما سواه من الأنداد والآلهة ، فإنه ليس لكم معبود يستوجب عليكم العبادة غيره] (٢)
ويتضح من هذا المعنى أمر جلي: ألا وهو أن افراد الله تعالى بالوحدانية يستلزم إفراده بالعبادة .

ثالثاً : قوله " إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم " . لقد ذهب المفسرون في تفسير هذا العذاب إلى عدة سبل :

- منهم من قال أن المقصود به هو عذاب يوم القيامة ، وعلى هذا التقدير فقد جاء نوح عليه السلام مقرراً بذلك عقيدة اليوم الآخر .

- ومنهم من قال : هو الإنذار من عذاب الطوفان ، وعلى هذا فقد قرر عليه السلام النبوة . (٣) وكل منهما محتمل .

وعلى أي من التقديرين فالآية الكريمة جاءت موضحة لأصول العقيدة الثلاثة وهي :-

الأول : إفراد العبودية لله تعالى وفي ذلك إثبات الوحدانية لله سبحانه وتعالى .

---

١ - جامع البيان : الطبرى : جـ ٨ ، ص ٢١٣
٢ - المرجع السابق : ص ٢١٣
٣ - النظر : التفسير الكبير : الرازى : ط١ : بيروت : دار الفكر : ١٤٠١ : جـ١٤ ، ص١٤٩

الثانـي : إثبـات النبـوة ٠

الثالث : إثبـات يـوم القيامـة ، وفـي ذلك إثبات للمعـاد ٠

وعلـى ما تقـدم فحقيقـة التوحيـد الذى دعـا إليـه أول رسـل اللـه عز وجل إلـى أهـل الأرض ، جـاء مبينـاً لأصـول العقـائد جميعـاً مـن لـدن آدم عليه السـلام ، إلـى مـا جـاء بـه محمـد صـلى اللـه عليـه وسـلم ، وهـي حقيقـة واحـدة متمثلـة فـي قولهـم : " ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ " (١)

٠ ٠ ٠

---

١ - سـورة هـود : جزء من الآيـه ٦١

المبحث الثاني

التوحيد الذي دعت إليه الرسل

بعد التعريف العام للتوحيد سواء كان لغة أو إصطلاحا ، يتضح لنا أن التوحيد الذى دعت إليه الرسل نوعان : [توحيد في الإثبات و المعرفة و توحيد في الطلب و القصد .] (١)

المطلب الأول :

توحيد المعرفة و الإثبات : و هو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى و صفاته و أفعاله و أسمائه ليس كمثله شيء في ذلك كله ، كما أخبر به عن نفسه: ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ . (٢)

و قد بين القرآن الكريم ذلك كما في قوله تعالى :

" وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ " (٣)

و هذا خطاب للرسول صلى الله عليه و سلم ، و المقصود بقوله تعالى : و ما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا معبود في السموات و الأرض تصلح العبادة له إلا أنا فاخلصوا لي العبادة و أفردوا لي الألوهية . و قد روي عن قتادة رضي الله عنه أنه قال في تفسيره لهذه الآية الكريمة : [أرسلت الرسل بالإخلاص و التوحيد ، لا يقبل

---

١ ـ شرح الطحاوية : ابو العز الحنفى : جـ١ ، ص ١٧٢ .
انظر : مدارج السالكين : ابن القيم : جـ ٣ ، ص ٤٤٣ .
٢ ـ سورة الشورى : الآية ١١ .
٣ ـ سورة الأنبياء : الآيه ٢٥.

منهم عمل حتى يقولوه و يقروا به] [1]

فالمقصود بالتوحيد هو : افراده سبحانه و تعالى بالألوهية .

و أما كلمة الإخلاص : فهي كلمة التوحيد ، [2] و هو إفراده سبحانه و تعالى بالعبادة لما في ذلك من إخلاص كمال العبودية لله عز و جل . و هذا هو المقصد الثاني من التوحيد الذي دعت إليه الرسل و هو توحيد الطلب و القصد ، المتضمن الإيمان بالشرع و القدر معاً .

و بهذا فإن الدين الذى أرسل به الأنبياء جميعاً عليهم الصلاة و السلام هو الإسلام الذى لا يقبل الله ديناً غيره لا من الأولين و لا من الآخرين ، فإن جميع الأنبياء على دين الإسلام المتضمن العقيدة و الشريعة معاً .

قال تعالى : " قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ " [3]

فهنا بين نوح عليه السلام لقومه ما أوجبه الله تعالى عليهم من إقرار بتوحيد الله ، و إخلاص العبادة له ، و ترك اشراك الآلهة في عبادته . و لأنهم لم يخلصوا لله في العبادة فقد ضيعوا و فرطوا في حق الله تعالى ، و وقعوا في الإشراك .

---

١ ـ جامع البيان : الطبرى : ج ١٧ ، ص ١٥

٢ ـ لسان العرب : ابن منظور : ج ٧ باب الصاد : فصل الخاء ، ص ٢١
انظر : ثلاث رسائل : للحافظ ابن رجب الحنبلي : ط ١ : الكويت : الدار السلفية : ١٤٠٧ ، ص ١٠٠ : انظر : شرح الطحاوية : علي ابي العز الحنفي : ج ١ ، ص ١٠٢

٣ ـ سورة البقرة : الآية ١٣٦

و بهـذا ، فأول ديـن و أول إعتقـاد و إيمـان كان إسـلاماً كاملاً لباري السموات و الأرض ، مـن لـدن آدم عليـه السـلام إلـى أن يرث اللـه الأرض و من عليهـا لقوله تعالـى : " إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ " .[١] فالإسـلام هـو الديـن الـذى لا يقبـل اللـه دينـاً غيـره لا مـن الأوليـن و لا مـن الآخريـن لأن جميـع الأنبيـاء علـى الإسـلام .

تعريـف الإسـلام :

لمـا كان الديـن عنـد اللـه الإسـلام ، و هـو الديـن الذى لا يقبل اللـه عـز و جـل غيـره . كان لابـد مـن بيـان معنـى الإسـلام و أقسامـه وأركانه . و الإسـلام فـي اللغة : من أسـلم أي انقـاد ، و منـه تبـرأ و تسـلّم أي صـار مسـلماً . و منه كان الإنقيـاد و الإستسلام للـه عـز و جل .[٢] و تمـلم : أي سـمي مسـلماً .[٣]

و فـي الشـرع : [الإنقيـاد للـه بقبـول رسـوله عليـه السـلام بالتلفـظ بكلمتـي الشهـادة و الإتيـان بالواجبات و الإنتهاء عن المنكـرات .][٤]

يتضـح مـن هـذا التعريف أن الإسـلام يضـم العقيـدة و الشريعـة معـاً . فجانب العقيـدة من هذا التعريف : هـو الإقرار بالشهـادة بأنـه لا إله إلا اللـه و أن محمـداً رسـول اللـه .

---

١ ـ سـورة آل عمـران : جزء من الآيه ١٩

٢ ـ انظر : مجموع الفتاوى الكبرى : ابن تيمية : القاهرة : مكتبة ابن تيمية : جـ٣ ، ص ١٩ ، جـ ١ ، ص ١٨٩

٣ ـ انظر : الصحاح : الجوهرى : جـ ٥ : باب الميم فصل السين ، ص ١٩٥٢ ـ لسان العرب : ابن منظور : جـ ١٢ ، باب الميم فصل السين ، ص ٢٩٥

٤ ـ عمدة القاري : للعينى : جـ١ : كتاب الإيمان : باب ماهية الإسلام : ص ١٠٩

و جانب الشريعة : هو الإتيان بالواجبات و الإنتهاء عن المنكرات و بهذين التعريفين يخلص معنى الإسلام إلى الإستسلام الكامل لله بالتوحيد ، و الإنقياد له بالطاعة ، و الخلوص من الشرك ٠ وقد دل على ذلك حديث أبو هريرة رضي الله عنه ، عندما سُئل رسول الله صلى الله عليه و سلم من قبل جبريل عليه السلام عن الإسلام فقال : (الإسلام أن تعبد الله و لا تشرك به ، و تقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة المفروضة ، و تصوم رمضان ٠) [١]

و في رواية ابن عمر رضي الله عنهما : (الإسلام : أن تشهد أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله ، و تقيم الصلاة ، و تؤتي الزكاة و تصوم رمضان ، و تحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً ٠) [٢] فالإسلام قائم على العقيدة من حيث النطق بالشهادة ، و على الشريعة من حيث القيام بباقي أركان الإسلام من إقامة صلاة ، و إيتاء زكاة ، و صوم رمضان ، و حج البيت الحرام ٠

٢ ـ أقسام الإسلام :

بعدما اتضح لنا تعريف الإسلام ، يتضح لنا فيما يلي أن الإسلام ينقسم إلى إسلام خاص ، و إسلام عام ٠

---

١ ـ فتح الباري : ابن حجر : جـ ١ ، كتاب الإيمان : باب سؤال جبريل للنبي صلى الله عليه و سلم عن الإيمان ، و الإسلام و الإحسان و علم الساعة ، ص ١١٤

٢ ـ أخرجه مسلم : انظر : صحيح مسلم : بشرح النووي : كتاب الإيمان : تعريف الإسلام و الإيمان : جـ ١ ، ص ١٥٧

الإســلام الخــاص :

هــو ما جــاء بــه محمــد صــلى اللــه عليــه و ســلم المتضمــن لشريعة القرآن، [1] و ليس عليــه إلا أمــة محمــد صــلى اللــه عليــه و ســلم · و هذا مــن فضــل اللــه تعالــى أن اختــار محمــد صــلى اللــه عليــه و سـلم بمنّــه و فضــله لأن يكــون رســول الإســلام ، و هــو الديــن الذى ارتضــاه تعالى لنفسه و لم يرض مــن أحــد غيــره ،وهــو الدين الذي مات عليــه جميع الأنبياء عليهــم الســلام ، لقــوله تعالى :-

" إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ " [2] و قولــه :

" وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ " [3]

و هــذا الديــن هــو سمــة مــن سمــات أمــة محمد صلى الله عليــه و ســـلم خصهــم اللــه تعالــى بــه بأن سماهــم المسلمين · قــال تعالى :

" وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ " [4]

و هــذا فضــل مــن اللــه تعالى امتنّ بــه علــى أمــة محمد صلى اللــه عليــه و سلم و فضلهــا بــه علــى العالميــن ، و لا يكــون لهــا هــذا الفضل إلا إذا حققت

---

١ - انظر : مجموع الفتاوى الكبرى : ابن تيمية : ج ٣ ، ص ٩٤

٢ - ســورة آل عمران : جزء من الآية ١٩

٣ - ســورة آل عمران : الآية ٨٥

٤ - ســورة الحج : جزء من الآية ٧٨

الهدف الذي خلقت من أجله و حباها الله به : " كنتم خير أمة أخرجت للناس ... " [1] و أدت شرط هذه الخيرية الذي أورده ابن كثير في تفسيره عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : [من سرّه أن يكون من هذه الأمة فليؤد شرط الله فيها] . [2] و شرط الله تعالى فيها : الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر .

و قد كان مقابل هذا المدح ذما لأهل الكتاب و ذلك لأنهم " كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه " . و قد جاء في ذلك أحاديث كثيرة تثبت فضل من كان من هذه الأمة ، و أنها خير الأمم في الدنيا و الآخرة .

و قد أورد صاحب جامع البيان حديثا : أن عمر بن الخطاب رأى من الناس رعة [3] سيئة في حجة حجها فقرأ هذه الآية " كنتم خير أمة أخرجت للناس " ثم قال : يا أيها الناس من سرّه أن يكون من تلك الأمة فليؤد شرط الله فيها . [4]

و هذا ما ينبغي أن تدركه الأمة المسلمة ، بما حباها الله عز وجل به لتكون طليعة هذه البشرية و من بيدها زمام قيادتها . لما جعله الله تعالى لها من مكانة سامية لوجود خير خلق الله منها ، و بما دعا إليه ، لا يرجو حيال ذلك إلا رحمة الله تعالى ، و لا يدخل في هذه إلا من أدى شرط الله تعالى فيها و قام بكامل تكاليفها ، ألا و هو الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر .

---

١ - سورة آل عمران : جزء من الآية ١١٠

٢ - تفسير القرآن العظيم : ابن كثير : بيروت : دار احياء التراث العربي : ١٣٨٨ : جـ ١ ، ص ٣١٧

٣ - الرعة بوزن العدة ، الاحتشام والكف من سوء الأدب سيء الرعة قليل الورع .

٤ - انظر جامع البيان : الطبري : جـ٤ ، ص٤٣ .

و قد ورد عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال في تفسيره لهذه الآية الكريمة : [ان المعنى تأمرونهم أن يشهدوا أن لا إله إلا الله و يقروا بما أنزل الله تعالى و تقاتلونهم " عليهم " و لا إله إلا الله هي أعظم المعروف و تنتهون عن المنكر . و المنكر هو الكذب و هو أنكر المنكر .] (١)

و في هذا أمر تام بالإيمان بالله تعالى و رسوله و العمل بشرائعه .

و أعلى مراتب الإيمان بالله تعالى هي قول لا إله إلا الله و أن محمد رسول الله كما في حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال : (الإيمان بضع و سبعون شعبة ، أفضلها قول لا إله إلا الله ، و أدناها إماطة الأذى عن الطريق ، و الحياء شعبة من شعب الإيمان) (٢)

بهذا ماكانت هذه الخيرية لهذه الأمة إلا لما وقع على كاهلها من قيام بالأمر بالإيمان بالله تعالى . و النهي عن كل ما نهى عنه و زجر بقدر المستطاع من عامة الناس ، كما في حديث الرسول صلى الله عليه و سلم : (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده . فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه و ذلك أضعف الإيمان .) (٣)

و ليعلم المؤمن أن وراء هذه التكاليف متاعب شاقة تعترضه أثناء تأديته لهذا الدور لما في ذلك من مواجهة لأهل الباطل لأنهم لا يريدون أن يشهدوا أن لا إله إلا الله بكل مقتضياتها لما في ذلك من منازعة للحاكميه لله عز و جل .

---

١ - روح المعاني : الألوسي : بيروت : دار الفكر : ١٤٠٣ : جـ٤ ، ص ٢٨

٢ - صحيح مسلم : بشرح النووي : جـ٢ : كتاب الإيمان : الحياء شعبة من الإيمان ، ص٦
انظر جامع البيان : الطبرى : جـ ٤ ، ص ٤٥

٣ - صحيح مسلم : النووى : جـ١ : كتاب الإيمان : وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : ص ٢٢
انظر : في ظلال القرآن : سيد قطب : جـ ١ ، ص ٤٤٦

لذا كان من واجب الأمة الإسلامية أن تعود إلى مناهل الجيل القرآني الأول و تستقي مما كان يستقي منه، لتحقق بذلك مفهوم الأمة الإسلامي ، و لتربي أفراد هذا الجيل وفق ما كان عليه سلف هذه الأمة الصالح ليتم لها بذلك تحقيق الخلافة لهذه الأرض و جعل كلمة الله تعالى هي العليا و كلمة الذين كفروا هي السفلى ·

الإسلام العام :

سبق بيان القسم الأول من أقسام الإسلام و هو الإسلام الخاص : و هو ما كان خاصاً بأمة محمد صلى الله عليه و سلم ، لهذا كانت تسميتهم بالمسلمين ، أما القسم الثاني من أقسام الإسلام فهو ما كان عاماً لجميع الرسل عليهم السلام و هو : ما تضمنته كل شريعة بعث الله عز و جل بها نبياً من الأنبياء عليهم السلام·(١)

و قد دل على هذا قوله تعالى :

" شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ " (٢)

هذه الآية الكريمة تبين أن دين الأنبياء عليهم السلام دين واحد· فالذي شُرع من الدين هو ما وصى به الله تعالى نوحا عليه السلام و النبيين من بعده ، و ما أوصى به محمدا صلى الله عليه و سلم من

---

١ - انظر : دقائق التفسير : ابن تيمية : جـ٢ : ص٤٢٢، مجموع الفتاوى الكبرى : ابن تيمية جـ٣ ، ص ٩٤

٢ - سورة الشورى : الآية ١٣

إقامة أمور هذا الدين وهو عبادة الله وحده لا شريك له، وإفراده بالألوهية . وهذا يعني أن جميع الأنبياء عليهم السلام على دين واحد ، كما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة ، والأنبياء إخوة لعلات ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد .) (١)

فدلالة الحديث واضحة على أن أصل دينهم واحد ، وهو التوحيد ، وإن اختلفت شرائعهم وأزمنتهم ، ولهذا كان الدين عند الله الإسلام الذى شرعه لهم جميعاً عليهم الصلاة والسلام .

وفي آية الشروع هذه لفتة عظيمة ودلالة واضحة لإثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، حيث ذكر الوحى عند ذكره عليه الصلاة والسلام ، على الرغم مما ذكر قبله صلى الله عليه وسلم من أمور التوحيد وما جاء بعد نوح عليه السلام وفي هذا تصريح برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، لما في ذلك من " عطف " ماوصى به نوحاً عليه السلام على الذى أوصى إلى محمد صلى الله عليه وسلم وفي هذا جمع بين طرفي الأديان .

الإحتجاج بهذه الآية :-

احتج قوم بهذه الآية على أن النبى صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا بشريعة نوح عليه السلام .

---

١ - فتح البارى : ابن حجر : جـ ٦ : كتاب أحاديث الأنبياء : باب " واذكر في الكتب مريم إذ انتبذت من أهلها " ، ص ٤٧٨

الجـــواب :

و الجواب علـــى هـــذا أنهـــم عليهم الســـلام جميعاً أمروا بإقامة أصول الديـــن وهـــي [توحيـــد اللـــه و الإيمـــان بـــه و طاعـــة رســـله و قبول شرائعـه] (1)
و هـــذه الأصـــول أمر بهـــا نـــوح عليـــه الســـلام قومـــه . فدينـــه هـــو الأســـاس للديانـــات اللاحقـة كما في قولـــه تعـــالـــى :

" إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ " (2)

و فـــي هـــذا إشـــاره إلـــى أن ديـــن الإســـلام هـــو الدين المشروع من لدن نوح عليـــه الســـلام إلـــى خاتـــم الأنبيـــاء عليهـــم أفضـــل الصلاة و أزكى الســـلا م .
و يرجـــع سبب الإقتـــصار علـــى ذكـــر أولـــي العـــزم من الرســـل بهـــذا التشريع ما يـــلي :-
أن دعـــوة نـــوح عليـــه الســـلام هـــي أساس الديانات اللاحقـة .
و دعـــوة إبراهيـــم عليـــه الســـلام هـــي أصـــل الحنيفيـــة و انتشـــرت بين العـرب بدعـــوة إسماعيـل ، فدعـــوة إبراهيـــم عليـــه الســـلام أشهـر الدعوات بين العرب .
و فـــي ذكـــر موســـى عليـــه الســـلام ، لأن دعوتـــه أوسـع الدعـــوات فـــي تشريع الأحكـــام .

---

١ - فتح القدير : الشوكاني : لبنان : دار المعرفة : م ٤ ، ص ٥٣٠

٢ - ســـورة النســـاء : الآيـــة ١٦٣

و أما دعوة عيسى عليه السلام فلأنها السابقة لدعوة محمد صلى الله عليه و سلم و المسماة بالإسلام ، و لم يكن بينهما دين ، و في ذلك حكمة عظيمة من ورود ذكر موسى و عيسى عليهما السلام ، ذلك ليهيئا كلاً من اليهود و النصارى لدعوة الإسلام •

و بهذا الإسلام العام جاء كل رسول يقول لقومه المعرضين :

" فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ " (١) أي إنني أمرت أن أكون من المذعنين له بالطاعة و المنقادين لأمره و نهيه المتذللين له ، فسواء قبلتم أم لم تقبلوا به فأنا مأمور بذلك، و كل نبي منهم تحمل في ذلك أشد العذاب ، و قد تحمل كل ما حصل له من أجل تبليغ هذه الدعوة ، و في هذا درس للدعاة إلى الله تعالى و ان طريق الدعوة شاق و محفوف بشتى أصناف البلاء • (٢)

٣ - ما يبنى عليه الإسلام :

إن ما يميز أهل الإيمان عن أهل الكفر هو الإيمان بالوحدانية و الرسالة معا •

لهذا كان أعظم ما يبنى عليه الإسلام هو الإيمان بكل ما أمر به المرء •

و قد أخرج الإمام مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما عندما سأل جبريل الرسول صلى الله عليه و سلم عن الإسلام فقال : (أن تشهد أ ن

---

١ - سورة يونس : الآية ٧٢

٢ - انظر : جامع البيان : الطبري : ج ١١ ، ص ١٤٤ ، التفسير الكبير : الرازي : ج١٧ ص ١٤٦ • مجموع الفتاوى : ابن تيمية : ج ٧ ، ص ٦٢٣

لا إله إلا الله و أن محمد رسول الله و تقيم الصلاة و تؤتي الزكاة و تصوم رمضان و تحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً) [١]

و هذا الحديث جمع بين كون الإسلام عقيدة و شريعة :
فأما كونه عقيدة فيتمثل في الشهادتين و الإقرار بهما قولاً و عملاً ٠ و شريعة : ذلك من خلال تطبيق شعائر الإسلام المأمور بها ٠ و قد جاء تعريف الإيمان بما فسر به رسول الله صلى الله عليه و سلم الإسلام حيث قال :(آمركم بأربع و أنهاكم عن أربع : الإيمان بالله ثم فسرها لهم ، فقال : شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمد رسول الله ، و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة و أن تؤدوا خمس ما غنمتم) [٢]
و بهذا الحديث نجد تفسير رسول الله صلى الله عليه و سلم للإيمان مماثل لتفسيره للإسلام كما جاء في حديث جبريل عليه السلام ، و أن هناك أمر جامع بينهما ألا و هو إقرار وحدانية الله تعالى ٠

٤ ـ الربط بين الإسلام و الإيمان :

عند تدقيق النظر في كل من معنى الإيمان و الإسلام نجد التوافق بينهما فالإسلام كما جاء في حديث ابن عمر ما جاء من خبر جبريل عليه السلام أن تعبد الله و لا تشرك به ٠ مع الأخذ بباقي الأمور التشريعية من صيام و زكاة و حج ٠

---

١ ـ صحيح مسلم : بشرح النووي : جـ١ ، كتاب الإيمان : باب تعريف الإسلام والإيمان، ص١٥٧

٢ ـ المرجع السابق : ص ١٨٣

و فـي تعريف الإيمـان فـي نفس الحـديث : (أن تؤمـن باللـه و ملائكتـة وكتبـه و رسـله و اليوم الآخـر و تؤمـن بالقـدر خيـره و شـره .) (١)

فشهـادة أن لا إله إلا اللـه كمـا هـي فـي تعريـف الإسـلام تدخـل تحت الإيمان باللـه كمـا هـو فـي تعريـف الإيمـان .

و شهـادة أن محمـد رسـول اللـه تدخـل تحـت الإيمـان بالرسـل . و إقامـة شـرائع الإسـلام ، تضـم ما جـاء فـي تعريف الإيمـان و ذلك لما يستوجبه مـن أداء شـعائر تعبـديـة ظاهـرة ؟ ......

وبهذا يمكن القول اذا افرد الايمان فانه يتضمن الاسلام ، واذا أفرد الاسلام فقد يكون مع الاسلام موءمنا . (٢)

و هنـاك آيـة فـي كتـاب اللـه تجمـع بيـن التعريفيـن ، قـال تعالـى :

" لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ " (٣)

قـال ابـن كثيـر فـي تفسـير هـذه الآيـة : [إن من اتصـف بهـذه الآيـة فقـد دخـل فـي عـرى الإسـلام ، و أخـذ بمجـامع الخيـر كلـه و هـو الإيمـان باللـه .] (٤)

---

١ ـ شـرح العقيدة الطحاوية : على بن العـز الحنفى : ص ٣٩١ .

٢ ـ صحيح مسلم : بشرح النووى : جـ١ ، كتاب الإيمان : باب تعريف الإسلام والإيمان ، ص١٥٧
انظر : حد الإسلام و حقيقة الإيمان : عبد المجيد الشاذلي : الطبعة الأولى : مكة المكرمة : جامعة أم القرى ص ١٨٦ .

٣ ـ سـورة البقـرة : الآيـة ١٧٧

٤ ـ تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير : جـ ١ ، ص ٢٠٧

وبهذا يتضح أن الإيمان هو العقيدة ، و الإسلام ما كان من أمور الشرع التعبدية الظاهرة ٠

وعلى هذا فإن [الإيمان و الإسلام يجتمعان و يفترقان ، وأن كل مؤمن مسلم و ليس كل مسلم مؤمنا ٠] (1) وهذا يعني انهما اذا اجتمعا افترقا واذا افترقا اجتمعا .

وبناء على هذا فقد جاءت دعوة الرسل عليهم السلام للإيمان بالله تعالى عموماً ، وقد بدأت الدعوة إلى الله بعدما فسدت عقائد البشرية كما أسلفنا سابقاً ٠ وذلك بإيقاظ العقل البشري أولاً بالطريقة الثابتة التي لا تتغير مهما كر ليل و ضاء نهار ٠ تلك الطريقة هي سلوك سبيل العلم بشتى الوسائل و مختلف المناهج التي تؤدي إلى إفراد الله تعالى بالعبادة ٠

ولقد كان هذا جلياً واضحا في أول دعوة جاءت تدعو إلى توحيد الله تعالى ، و هي دعوة نوح عليه السلام ٠ فقد دعا قومه إلى أصلين عظيمين من أصول العقيدة ٠

أولاً : شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ٠

وثانياً :الأمر بطاعة رسول الله كما في قوله تعالى :

" إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ " (٢)

فهذه الآيات الكريمة توضح الغرض الذي من أجله بعث الله سبحانه و تعالى رسله بأن يعبدوا الله وحده لا شريك له ٠

---

١ - صحيح مسلم : بشرح النووي : جـ١ ، ص ١٤٨ : انظر تفسير القرآن العظيم :ابن كثير : جـ ٤ ، ص ٢٥٣

٢ - سورة نوح : الآيات : ١ - ٣

المطلب الثاني : توحيد الطلب و القصد ، و هو توحيد العبادة :

و هو القسم الثاني من أقسام التوحيد الذي دعت إليه الرسل: توحيد العبادة .

سبق بيان القسم الأول من أقسام التوحيد الذى دعت إليه الرسل و هو توحيد المعرفة و الإثبات لحقيقة الله تعالى بأنه إله واحد فرد صمد لا شريك له و هذا ما جاء به كل رسول من عند الله تعالى بقوله :

" يَٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ " (١)

فمناط قول كل نبي من الأنبياء عليهم السلام يدعو إلى قسمي التوحيد المأمور به من توحيده بالألوهية ، و افراده سبحانه و تعالى بالعبادة ، و هذا هو القسم الثاني من اقسام التوحيد الذى دعت إليه الرسل عليهم السلام .

و لبيان تمام الفائدة في هذا الموضوع إن شاء الله كان لابد من بيان معنى العبادة لأهميتها .

العبادة في اللغة : من العبد : الإنسان حراً كان أو رقيقاً (٢) ويذهب بذلك إلى أنه مربوب لباريه عز و جل .

و التعبد : التفرد للعبادة و التنسك . (٣)

و العبادة هي : الطاعة مع الخضوع ، و منه طريق معبد إذا كان مذللاً بكثرة الوطء .

---

١ - سورة هود : جزء من الآيه ٦١

٢ - انظر : لسان العرب : ابن منظور : باب الدال : فصل العين ، ص ٢٧٠ - ٢٧٣

٣ - انظر : المنجد في اللغة و الأعلام : ص ٤٨٣

و العبادة في الإصطلاح : هي مقام الشريعة ، و نهاية التعظيم ، و هي عبارة عن الفعل الذي يؤتى به لغرض تعظيم الغير . (١)

و هذا هو المقام الأول المطلوب من الإنسان من حيث القيام به و المحافظة عليه لتكمل بذلك أوامر الله عز و جل ، لأن الله سبحانه خلق الخلق لعبادته الجامعة لمعرفته و الإنابة إليه ، و محبته و الخوف منه و الإخلاص له ، لأن بذكره تطمئن القلوب ، و برؤيته في الآخرة تقر العيون ، لذا وجب بالضرورة كون الله تعالى هو المعبود ، و لا يكون ذلك إلا بأمرين :

أولاً : وجوب أن يكون الله تعالى هو المقصود المدعو و المطلوب و المعين على كل شيء و ما سواه هو المكروه .

و على هذا تكون عبادة الله تعالى هي اسم جامع لكل ما يحبه الله و يرضاه من الأقوال و الأعمال الباطنه و الظاهرة . (٢) و هذا هو مقتضى العبودية لله تعالى .

ثانياً : أن لا يؤله و لا يعبد إلا الله وحده لا شريك له . لأن فقر العبد شيء معترف به فلابد أن يعبد الله سبحانه و لا يشرك به شيئاً . [لأن حقيقة العبد قلبه و روحه ، و هي لا صلاح لها إلا بالهها الله الذي لا إله إلا هو ، فلا تطمئن في الدنيا إلا بذكره و هي كادحة إليه كدحاً فملاقيته و لا بد لها من لقائه ، و لا صلاح لها إلا بلقائه .] (٣)

---

١ - انظر : التفسير الكبير : الرازى : جـ١ ، ص١٩١ - ٢٤٦ - ٢٥٤ . انظر قاعدة في المحبة ابن تيمية : تحقيق : محمد رشاد سالم : القاهرة : مكتبة دار التراث الإسلامي : ١٩٨٧ ص ٨٧

٢ - انظر : العبودية : ابن تيمية : ط٦ : بيروت : المكتب الإسلامى : ١٤٠٣ ، ص ٣٨

٣ - مجموع الفتاوى : ابن تيمية : جـ١ ، ض ٢٤

فإننا نلاحظ هنا أن الإقرار بتوحيد العبادة يؤدي إلى الإقرار بالمعاد. لما في ذلك من بذل خالص الجهد في توجيه العبادة لله تعالى ، الذي يوفي كل نفس بما كسبت ، وهي تطمع بالنظر إلى رؤية وجهه الكريم في دار الجنان .

ولمّا كانت دعوة الرسل عليهم السلام تركز على وجوب إفراد الله تعالى بالعبادة ، كانت دعوة نوح عليه السلام أولى الدعوات الداعية إلى هذا بعدما فسدت العقائد ، وجادل قومه في ذلك جدالاً مريراً كما في قوله تعالى :

" قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ " [1] وهذه المجادلة [لم تكن في تفاصيل الأحكام الشرعية بطبيعة الحال ، إنما كانت في تأسيس دعائم العقيدة والدعوة إلى توحيد الله تعالى ، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم .] [2]

وعلى الرغم من جحود قوم نوح لم ييأس عليه السلام من دعوتهم إلى الله تعالى . وقد تكرر النداء إلى قوم نوح لتوجيه العبادة لله وحده لا شريك له في مواضع عدة في القرآن الكريم ، وتناول مع ذلك النداء جوانب متعددة من وصفه ليوم الجزاء بصيغ شتى .

الجانب الأول :

بصيغة الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له وتوحيده بالعبادة كما جاء في

---

١ - سورة هود : الآيه ٣٢

٢ - انظر : التفسير الكبير : الرازي : جـ ٢ ، ص ٩٧

قولـه تعالـى :

" لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ "(1) وكما جاء في قوله تعالـى :

" وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ " (2) وكمـا فـي قولـه تعالـى :

" أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ " (3)

هـذه الآيـات الكريمـة تشير إلـى :-

١ - الأمـر بعبـادة اللـه سبحانة و تعالى ، و إخـلاص الوحدانية له سبحانه ٠

٢ - ان نوحـاً عليـه السـلام ما أمر قومـه إلـى عبـادة اللـه إلا بعدما عرفهم (4) أنـه لا إلـه إلا اللـه ، و أنـه ما لـهـم مـن إلـه غيـره ، كما في قوله تعالى :

" يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ " (5) لذا شنع القرآن الكريـم علـى المشركيـن مـن إقرارهـم بتوحيـد الربوبيـة و انكارهـم للألوهيـة كما جـاء ذلك فـي قولـه تعالـى : « وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ " (6)

---

١ - سـورة الأعراف : الآية : ٥٩ ٢ - سـورة المؤمنون : الآية : ٢٣

٣ - سـورة نـوح : الآية : ٣

٤ - انظر : التفسير الكبير : الفخر الرازي : ج ٢٣ ، ص ٩٢

٥ - سـورة هـود : جزء من الآية ٦١ ٦ - سـورة الزمر : الآية ٣٨

فهـذه الآيـة الكريمـة تدل علـى أمريـن عظيميـن :-

الأول : ان المشركين مقرون بوجـود الـه متفـرد بالقـدرة علـى الخلـق و هـذا يؤدى إلـى الإقـرار بوجود إلـه ، قادر ، حكيم ، عليـم ، رحيـم ، متفق عليـه بيـن العالميـن فى زمـن نـوح عـليه السـلام ٠

الثانـي : ان هـذه الأصـنام التي يعبدونهـا لا قـدرة لهـا علـى دفـع ، ضر أو جـلب نفـع و لعجزهـا عـن ذلك كان لابـد مـن الإعتـراف بوجـود اللـه تعالـى علـى آنـه القـادر علـى كـل شـيء ، و افـراد عبادتـه وحـده لاشريك لـه ٠

و فـي قول الرازي أنـه لا يجـوز أن يدعوهـم إلـى ذلك إلا و قـد دعاهم إلـى معرفتـه أولاً و هـو مـن أمـور التفكـر فـي الأنفـس و الآفـاق ٠ (١)

و بنـاءاً علـى ما اتضـح مـن قوله تعالى : " و لئن سألتهـم من خلـق السموات و الأرض ٠٠٠٠٠ " عـدة أمـور :-

أولاً : ان الإقـرار بربوبيـة اللـه تعالى أمـر فطري فطـر اللـه سبحانه عليـه الخلـق لقـوله تعالـى : " فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ " (٢)

و المقصود بالديـن القيـم هنـا الإسـلام للـه عـز و جـل مـن لدن آدم عليه السلام إلى محمد صلى اللـه عليـه و سلـم ٠وذلك بالإستسلام التام للـه عـز و جـل ٠

---

١ - انظر : التفسير الكبير : الرازى : جـ ٧ ، ص ١٥٦

٢ - سـورة الروم : الآيـة ٣٠

ثانياً : ما كان من مشركي العرب في صدر الدعوة الاسلامية ، بأنهم مقرون بتوحيد الربوبية لقوله تعالى :

" وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ " (١)

فهذا إقرار منهم بمطلق ربوبيته تعالى ، أما ما كان من شأن الإشراك بعبادته فقد أجابوا على هذا فقالوا :

" مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ " (٢)

و هذا ما كان من شأن مشركي قوم نوح عليه السلام ، كانوا مقرون بتوحيد الربوبية ، و يبقى في حقهم الإقرار بتوحيد الألوهيه الذي هو مناط الأمر و قصده .

و لعلمه عليه السلام العلم التام بإيمانهم بتوحيد الربوبيه ، طلب منهم توجيه مطلقة العبادة لله عز و جل ، و حده لا شريك له ، إلا أنهم أصروا على كفرهم ، كما جاء جلياً في قوله تعالى :

" وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ " (٣)

الجانب الثاني :بصيغة النهي عن عبادة غير الله تعالى ، و قد تمثل ذلك في قوله تعالى : " وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ " (٤)

---

١ ـ سورة العنكبوت : الآيه ٦٣ ٢ ـ سورة الزمر : جزء من الآيه ٣

٣ ـ سورة نوح : الآيتان ٢٢ ـ ٢٣ ٤ ـ سورة هود : الآيتان ٢٥ ـ ٢٦

وفي هذا بيان أن ذلك الإنذار ما كان إلا للنهي عن عبادة غير الله تعالى فقوله " أن لا تعبدوا إلا الله "، بدل من قوله " إني لكم نذير " ومن بعد ذلك أكده [1] بقوله تعالى : " إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم " .

ورغم ذلك الإنذار، فقد أصروا على كفرهم .

وعلى هذا المنهج سار نوح عليه السلام يدعو قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له، مقرناً بذلك الإنذار من عذاب يوم عظيم . وموجهاً قومه إلى النظر في ملكوت السموات والأرض ليحصل لهم إقرارهم بالصانع على أنه وحده المستحق للعبادة لا شريك له .

. . .

---

١ ـ انظر : التفسير الكبير : الرازي : ج ١٧ ، ص ٢١٩

المبحث الثالث

ما تتضمنه كلمة التوحيد

ان لا إله إلا الله هي كلمة التوحيد ، و كلمة التقوى ، و كلمة الإخلاص ، و معناها : ان الله سبحانه و تعالى واحد لا شريك له ، و هذا يعني أنها تتضمن توحيد الألوهية ، المتضمن لتوحيد الربوبية المتمثل في عبادة الله وحده لا شريك له [1] و يتجلى مصداق ذلك كما في قوله تعالى :

" وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ " [2]

فهذه الآية الكريمة تبين مضمون كلمة التوحيد و أنها تدعو إلى ثلاثة أقسام :

الأول : توحيد الألوهية .

الثاني: توحيد الربوبية .

الثالث : توحيد الأسماء و الصفات .

المطلب الأول : توحيد الألوهية :

١ - معنى توحيد الألوهية : مشتق من الإله بمعنى المألوه المستحق لأن يؤله أي يعبد ، و لا يستحق أن يؤله و يعبد إلا الله وحده [3] فهو

---

١ - انظر : العقيده الطحاوية : ابى العز ، ص ٧٩

٢ - سورة البقره : الآية : ١٦٣

٣ - انظر : مجموع الفتاوى : ابن تيمية : جـ١ ، ص٢٢ : جـ١٣ ، ص ٢٠٢ ، الصحاح : الجوهرى : جـ٦ ، باب الهاء ، فصل الهمزة ، ص ٢٢٢٤

على هذا [أن يعبد الله وحده لا يشرك بعبادته أحداً من خلقه] (1)
و لا تكتمل هذه العبودية و التسليم المحض لله تعالى إلا بكمال و خلوص الحب لله تعالى ، و ذلك لأن أصل الإيمان العملي هو حب الله تعالى ورسوله عليه السلام ، و حب الله أصل التوحيد العملي ؛ و في هذا أصل التأليه ، المتمثل في عبادته وحده لا شريك له ، لهذا كانت العبادة أصلها أكمل أنواع المحبة مع أكمل أنواع الخضوع و هذا هو الإسلام .

و لما كان أصل الشرك الذي وقع فيه قوم نوح عليه السلام أن جعلوا لله تعالى أنداداً يحبونهم كحب الله ، أو أشد حباً ، كان هذا عاملاً أساسياً لوقوع الناس في الشرك لما في ذلك من عدم إخلاص المحبة لله تعالى .

لذا كانت دعوة كل رسول إلى قومه متمثلة بإفراده تعالى بما إقتضته إلهيته (2) من المحبة ، و الخوف ، و الرجاء ، و الأمر و النهي ، و بما اقتضته ربوبيته من إخلاص التوكل و التفويض ، و التسليم الكامل لله تعالى ، ذلك أن الله عز وجل هو المستحق للعبادة لذاته ، لأنه المألوه و المعبود ، الذى تألهه القلوب و ترغب إليه ، و تفزع إليه عند الشدائد ، أما ما وقع من قوم نوح عليه السلام من الإشراك فكان سببه هو صرف كامل المحبة عن الله تعالى إلى غيره كما في قوله تعالى : " وَجَعَلُوا لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًاۚ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ مُّبِينٌ ١٥ " (3)

---

١ - انظر : دقائق التفسير : ابن تيمية : جـ٢ ، ص ٦٩

٢ - انظر : قاعدة في المحبة : ابن تيمية ، ص ٦٨

٣ - سورة الزخرف : الآية ١٥

وهذا هو الشرك الذي قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجله مشركي العرب فقالوا : " مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ " (١) لذلك كان توحيد الألوهية هو مناط الإيمان بالله تعالى ، وقد عنى القرآن الكريم بتقريره والبرهنة عليه بالأدلة العقلية ، والبراهين الصحيحة .

وعلى هذا كانت دعوة نوح عليه السلام إلى قومه، فقد جاءت متضمنة لهذه الحقيقة ، فقال لهم : " أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ " (٢) فدعوته عليه السلام إلى قومه في هذه الآية الكريمة متمثلة في الدعوة إلى أصلين من أصول الإيمان : وهما :

أولاً : شهادة أن لا إله إلا الله .

ثانياً : شهادة أنه رسول الله .

لهذا كان من الواجب معرفة معنى لا إله إلا الله تفصيلاً لأنها مدار التوحيد ومقصده الأسنى .

٢ - معنى لا إله إلا الله :- مما سبق يتضح أن معنى لا إله إلا الله إخلاص محض للألوهية والربوبية لله تعالى، مع إثبات أنه ليس كمثله شيء، وهذا يعني أنه لا معبود بحق إلا الله ، وفي هذا إخبار بأنه المتفرد (٣) بالإلهية لجميع الخلائق ، لأن الابتداء بالنفي بقول لا إله إلا الله يبعد الغشاوة التي تغشى المشركين، وتضلهم

---

١ - سورة الزمر : جزء من الآية ٣

٢ - سورة نوح الآية ٣

٣ - انظر : الأساس في التفسير : سعيد حوى : ط ١ : القاهرة : دار الرشيد ، ١٤٠٥ ، ص ٥٩٥

عن سواء السبيل ، و من ثم يأتى بعد النفى إقرار إثبات الوحدانيه لله تعالى و هذا الإقرار ينبع من صميم القلب المؤمن ، و يقطع عنه جميع الظنون الفاسدة ، التى يقع فيها من لا إيمان له ، و لما كان الإقرار بهذه الحقيقة محله القلب ، قبل جريانه على اللسان ، كان الإيمان بها أشد و أعمق [1]، عن أنس بن مالك رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه و سلم و معاذ رديفه على الرحل قال : (يا معاذ بن جبل ، قلت لبيك يا رسول الله و سعديك ثلاثاً ، قال : ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار ، قال يا رسول الله أفلا أخبر بها الناس فيستبشروا ؟ ، قال : إذاً يتكلوا ، و أخبر بها معاذ عندموته تأثما) [2]

و لا يكون المؤمن صادقاً بها إلا إذا اتخذ من هذه الكلمة حصناً منيعاً وقاه الله بها سوء الرذائل ، و حفظه من الشيطان ، و صرف عنه مكائده [3] لأنها عماد الدين و مطلبه ، فلا حاكمية و لا سيادة إلا لله تعالى .

٣ - دلائل لا إله إلا الله كما هي في القرآن الكريم :

إن كلمة التوحيد تحمل بين طياتها مدلول عظيم على إثبات الألوهية لله تعالى ، و هي القاعدة الأساسية التي يبنى عليها الدين ، لذا فقد

---

١ - الإيمان في القرآن : مصطفى عبد الواحد : ط١ : القاهرة : دار الصحوة : ١٤٠٧ ، ص٥٩
انظر رسائل الجزائرى : أبو بكر الجزائرى : ط٢ : جده : دار الشروق : ١٩٨١ ، ص١١

٢ - رواه البخارى و مسلم ، و اللفظ للبخارى : صحيح البخارى : محمد البخارى : دار الفكر : ١٤٠١ : جـ١ ، ص ٤١ . فى صحيح مسلم : النووى : كتاب الإيمان : جـ١ ، ص ٢٤٠

٣ - انظر : أسرار المعاني فى أسماء الله الحسنى : محمود حسن ، ص ٢٣
انظر الإسلام : سعيد حوى : الطبعة الأولى : بيروت : دار الكتب العلمية : ١٣٨٩ : جـ ١ ، ص ٥٤

احتلت فى القرآن الكريم مكانة كبيرة ، فقد وصلت فى القرآن الكريم عشرين [1] موضعا دالا على معنى لا إله إلا الله ٠

---

١ - انظر : المرجع السابق ، ص ٢٣

الصيغ التي وردت بها لا إله إلا الله في القرآن الكريم إجمالا ٠

الصيغة الأولى	:	كلمة التوحيد ٠
" الثانية	:	كلمة الإخلاص ٠ لهذا سميت سورة قل هو الله أحد سورة الإخلاص و ما فيها إلا التوحيد الخالص لله تعالى ٠
" الثالثة	:	كلمة الإحسان : كما في قوله تعالى : "هل جزاء الإحسان إلا الإحسان" سورة الرحمن الآيه ٦٠
" الرابعة	:	دعوة الحق : كما في قوله تعالى : " له دعوة الحق " سورة الرعد جزء من الآية ١٤
" الخامسة	:	الطيب من القول كما فى قوله تعالى " وهدوا إلى الطيب من القول و هدوا إلى صراط الحميد " سورة الحج : الآية ٢٤
" السادسة	:	الكلمة الطيبه كما في قوله تعالى : " ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت و فرعها في السماء " سورة ابراهيم الآيه ٢٤
" السابعة	:	كلمة التقوى : كما في قوله تعالى : " و ألزمهم كلمة التقوى و كانوا أحق بها " سورة الفتح : جزء من الآية ٢٦ ٠
" الثامنة	:	الكلمة الباقية كما في قوله تعالى : " و جعلها كلمة باقية في عقبه " سورة الزخرف جزء من الآية ٢٨
" التاسعة	:	كلمة الله العليا كما في قوله : " و جعل كلمة الذين كفروا السفلى و كلمة الله هي العليا " سورة التوبة جزء من الآيه ٤٠
" العاشرة	:	المثل الأعلى ٠ كما في قوله تعالى : " و لله المثل الأعلى و هو العزيز الحكيم " سورة النحل جزء من الآيه ٦٠
" الحادية عشر	:	كلمة السواء : كما في قوله تعالى : " تعالوا إلى كلمة سواء بيننا و بينكم " سورة آل عمران جزء من الآية ٦٤
" الثانية عشر	:	أنها كلمة النجاة كما في قوله تعالى : "إن الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء " سورة النساء الآيه ٤٨
" الثالثة عشر	:	العهد كما في قوله تعالى : " لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا " سورة مريم الآيه ٨٧
" الرابعة عشر	:	كلمة الاستقامة كما في قوله تعالى : " إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا و أبشروا بالجنة التي كنتم توعدون " سورة فصلت الآية ٣٠
" الخامسة عشر	:	مقاليد السموات و الأرض ، كما في قوله تعالى :"له مقاليد السموات و الأرض " سورة الشورى جزء من الآية ١٢
" السادسة عشر	:	الدين الخالص كما في قوله تعالى : " ألا لله الدين الخالص " سورة الزمر الآيه ٣

و لما في ذلك من بالغ الأهمية كان من الواجب بيان الصيغ التي وردت بها لا إله إلا الله في قصة نوح عليه السلام ٠

الصيغة الأولى : كلمة التوحيد [1] و إلى هذه الكلمة كانت دعوة كل رسول أرسل إلى قومه يدعوهم إلى لا إله إلا الله بقوله

• يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ " [2] وكما في قوله تعالى :

" وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ " [3]

***

الصيغة السابعة عشر	:	الصراط المستقيم كما في قوله تعالى : " اهدنا الصراط المستقيم " سورة الفاتحة الاية ٥
" الثامنة عشر	:	كلمة الحق كما في قوله تعالى : " و لا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد الحق بالحق و هم يعلمون " سورة الزخرف الاية : ٨٦
" التاسعة عشر	:	العروة الوثقى كما في قوله تعالى : " فمن يكفر بالطاغوت و يؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى " سورة البقرة : جزء من الآية ٢٥٦
" الصيغة العشرون	:	كلمة البر كما في قوله تعالى : " ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق و المغرب و لكن البر من آمن بالله " سورة البقرة : جزء من الآية ١٧٧

١ - إحياء علوم الدين : الغزالي : بيروت : دار المعرفة : جـ١ ، ص ٢٩٨

٢ - سورة الأعراف : جزء من الآية ٥٩

٣ - سورة الأنبياء : جزء من الآية ٢٥

و لكلمة التوحيد ثمرتان :-

الثمرة الأولى : إن الانسان خلق في أصله مشرفاً ، كما جاء في قوله تعالى :
" وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ " (١) و كرامة التفضيل هذه تجعل الإنسان طاهراً . و نظير ذلك المشرك و هو نجس بشركه كما جاء ذلك في قوله تعالى :
" يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا " (٢)

فبكلمة التوحيد تُزال نجاسة الإشراك ، فيصير الإنسان طيباً طاهراً و هو بهذه الخاصية يصبح من أصفياء الله و أحبائه و هو ممن خصه تعالى برحمة منه .

و دعوة نوح عليه السلام جاءت مبينة هذه الكلمة كما في قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام :
" قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ " (٣)

فالبينة التي عرفها نوح عليه السلام هي : أنه لا إله إلا الله و مثوبة ذلك الرحمة من عند الله تعالى المتمثلة في الإسلام و كلمته لا إله

---

١ - سورة الإسراء الآية ٧٠

٢ - سورة التوبة : جزء من الآية ٢٨

٣ - سورة هود : الآية ٢٨

إلا اللـه و الهـدى و الإيمـان و الحكم و النبـوه . (١)

الثمرة الثانية : أن الشرك سبب لدمار العالـم و لخرابه كمـا قـال تعالـى :

" تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ (٢)

و إذا كان هـذا الشـرك سـبب لدمـار السموات و الأرض ، كان الأولـى أن يكـون التوحيـد سـبب لعمـارة العالـم . و الأولـى مـن هـذا أن يكـون سـبب لعمارة القلـب الـذى هـو محـل لمعر فة التوحيـد ، و كـذا صار النطـق بهـا عـادة اللسـان الـذى هـو محـل لـذكـر التوحيـد . (٣)

لهـذا كان مقـصـود دعـوة جميـع الأنبيـاء عليهـم السـلام اثبـات كلمة التوحيـد و جعلهـا الهـدف من إرسالهـم جميعـا عليهـم السـلام بقولهـم :

" اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ " (٤)

الصيغة الثانيـة : كلمـة التقـوى : ان لأمـر التقـوى شأن عظيم لذا فقد تردد كثيـراً فـي قصـة نـوح عليـه السـلام ، منهـا مـا جـاء فـي قوله تعالى علـى لسـان نـوح عليـه السـلام : " أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ " (٥)

و التقـوى هنـا هـي [توحيـده و إخـلاص الإيمـان و العمل بطاعتـه](٦) سبحانه ليكـون لهـم الفـوز برحمتـه عز و جـل ، و كذلك ما جاء في قوله تعالـى :

---

١ ـ انظر : جامع البيان : الطبرى : جـ ١٢ ، ص ٢٩

٢ ـ سـورة مريم : الآية ٩٠

٣ ـ أسرار المعاني في أسماء الله : محمود حسن ، ص ٢٣

٤ ـ سورة الأعراف : جزء من الآية ٥٩ ٥ ـ سـورة الأعراف : الآية ٦٣

٦ ـ جامع البيان الطبري : جـ٨ ، ص ٢١٤ . انظر : التحرير و التنوير : ابن عاشور : الدار التونسية ١٩٨٤ : جـ١ ، ص٢٢٦ ، تفسير القرآن العظيم : ابن كثير : جـ٢ ، ص٢٢٢

" وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ " (١) فالآية تدل على إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة ، وان فعلوا غير هذا [حذرهم بقوله : " أفلا تتقون " لأن ذلك زجر ووعيد بإتقاء العقوبة لينصرفوا عما هم عليه .] (٢)

ومقصود إفراد الله بالعبادة بأن يشهد أن لا إله إلا الله وهذا هو توحيد العبادة .

وهذا المعنى يشمل قوله تعالى : " إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ " (٣)

وإنما قدمت تقوى الله عز وجل على الأمر بالطاعة هنا ، ذلك لأن تقوى الله سبحانه وتعالى علة لطاعته ، لهذا قدمت العلة على المعلول . وجاءت أيضاً في قوله تعالى :

" أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ " (٤) في هذه الآية الكريمة نجد أن نوحاً عليه السلام حض [قومه على التقوى التي طريقها التوحيد والعبادة] (٥)

ولأهمية التقوى ، كان لابد من بيان معناها لحصول الفائدة ان شاء الله .

---

١ ـ سورة المؤمنون : الآيه ٢٣

٢ ـ التفسير الكبير : الرازي : جـ ٢٣ ، ص ٩٢

٣ ـ سورة الشعراء : الآيات ١٠٩ ، ١١٠ ٤ ـ سورة نوح : الآيه ٣

٥ ـ الأساس في التفسير : سعيد حوى : جـ ٤ ، ص ١٩٣٥ . انظر : التفسير الكبير : الرازي : جـ ٢٤ ، ص ١٥٤

التقوى لغة : توقى و اتقى ، و قد توقيت و اتقيت الشيء أي حذرته .[1] وهي في الأصل : جعل النفس في وقاية ، و لا يكون ذلك إلا لمن يخاف منه . و أصلها الخوف من الله عز و جل و هذا الخوف يستدعى العلم بالمخوف ، و من هنا كان الذي يعرف الله حق المعرفة يخشاه ، و من خشي الله فهو يتق الله .

ذكر التقوى في القرآن :

و لما كانت حقيقة التقوى هي الخوف و الخشية إلا أنها وردت في

١- القرآن الكريم بعدة معاني و الغرض الأصلى منها الإيمان كما في قوله تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ " [2]

و قوله تعالى : " وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ " [3] أي كلمة التوحيد .

و قد سبق بيانها أنها جاءت في قصة نوح عليه السلام بقوله : " أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ " [4]

٢ - و قد ورد ذكر التقوى في القرآن الكريم بمعنى التوبه[5] كما

---

١ - انظر : لسان العرب : ابن منظور : جـ ١٥ ، باب الباء ، فصل الواو ، ص ٤٠٢

٢ - سورة آل عمران : الآية ١٠٢ ٣ - سورة الفتح : جزء من الآية ٢٦

٤ - سورة الأعراف : الآية ٦٣

٥ - انظر التفسير الكبير : الرازي : جـ ٢ ، ص ٢٣

في قوله تعالى : " وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ " [1]

و قد جاءت الدعوة الى التوبة و بيان ثبوتها في قصة نوح عليه السلام كما في قوله تعالى :

" أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ " [2] و ذلك لأن الله تعالى أرسل الرسل ليعبد الله وحده ، وأن تتقى محارمه ، وأن يطاع أمره ، و ما وعدهم به من مغفرة الذنوب و إذا غفرت الذنوب حصلت معها النجاة من العذاب و الفوز بالثواب .

لهذا رتب الله تعالى على أن من اتقى الله تعالى حصل له أربعة أشياء كل منها خير من الدنيا و ما فيها :-

الأول : الفرقان : و هو العلم و الهدى الذي يفرق به صاحبه بين الحق و الباطل .

الثاني و الثالث : تكفير السيئات ، و مغفرة الذنوب ، حيث أن كلاً منهما يدخل في الآخر عند الإطلاق ، أما عند الإجتماع فتفسر تكفير السيئات بالذنوب الصغائر ، و مغفرة الذنوب بتكفير الكبائر .

الرابع : الأجر العظيم لمن اتقى الله وآثر رضاه على نفسه . [3]

٣ - الطاعة و ترك المعصية : كما جاء في قوله تعالى آمراً رسوله أن أن ينذر قومه : " أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ۝ " [4]

---

١ - سورة الأعراف : جزء من الآية ٩٦ ٢ - سورة نوح الآية ٣ و جزء من الآية ٤

٣ - انظر : تيسير الكريم الرحمن : ابن السعدي : المدينة المنورة : الجامعة الإسلامية ١٣٩٨ ، الجزء الأول ، ص٧٨ : الجزء الثامن ، ص ١٧٦ . انظر : جامع البيان : الطبري ج ٢٩ ، ص ٩١

٤ - سورة النحل : جزء من الآية ٢

و هو أيضا ما جاء في قصة نوح عليه السلام مخاطبا قومه بطاعة الله تعالى :

" كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ " (١) و قال

" قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ " (٢)

هذه الآيات الكريمة توضح أن نوحاً عليه السلام أمر قومه بخشية الله و ترك المعاصي و طاعته في نصيحته إياهم .

٤ - الصبر : و قد تجلى هذا المعنى في كثير من آيات القرآن الكريم مخاطباً بها سيد الخلق محمد صلى الله عليه و سلم :

" فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ " (٣) أمره بذلك تأسياً بنوح عليه السلام ذلك أن الخير من عواقب الأمور لمن اتقى و أدى فرائضة و اجتنب معاصيه فهؤلاء الفائزون في الآخرة ، (٤) و هذا ما كان من شأن نوح عليه السلام حيث أثابه الله تعالى على صبره في قومه و أنجاه و المؤمنين منهم، و أهلك الكافرين بالغرق جزاءً لهم .

و على هذا فتعريف التقوى لا يجمع أمرا و احدا و لا يكون عليه تعريف واحد ، بل قيل فيه تعاريف كثيرة و أشملها و أوجزها تعريف عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، حين سُئل عن التقوى فقال له :(أما سلكت

---

١ - سورة الشعراء : الآيات ١٠٥ - ١١٠ ٢ - سورة نوح الآيات ٢ - ٣

٣ - سورة هود : جزء من الآيه ٤٩

٤ - انظر جامع البيان : الطبري : ج ١٢ ، ص ٥٦

طريقا ذا شوك ؟ قال : بلى قال : فما عملت ؟ قال شمرت و اجتهدت ، قال : فذلك التقوى) [١]

و تعريف علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنها : الخوف من الجليل ، و العمل بالتنزيل ، والرضى بالقليل ، والاستعداد ليوم الرحيل . [٢] وبها جاءت الوصية للذين آمنوا كما في قوله تعالى : " وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ " [٣]

فهي وصية كل رسول إلى قومه . و هي هدف عام بعث من أجله الرسل عليهم السلام و لأجل هذا الهدف كانت التشريعات و هي متى ما [وجدت في قلب بشر لم يحتج بعدها إلى رقيب أو حسيب فتقواه حاجز له من كل شر ، دافعة له لكل خير] [٤]

لهذا كان جماع الأمر لكلمة التقوى أنها مجتمعة في كلمة لا إله إلا الله المنجية من عذاب أليم ، ذلك أن أبا طالب لما حضرته الوفاة ، جاءه رسول الله صلى الله عليه و سلم (فقال : قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله) [٥] فمتى استقر لفظ لا إله إلا الله في القلب حساً و معنى و منهاجاً و سلوكاً كان ذلك أقرب للتقوى .

و على ما سبق يتضح أن جميع ألفاظ التقوى التي وردت في قصة نوح عليه السلام كانت تدعوا إلى الخوف من الله تعالى ، و أن لا يعبد إلا الله وحده

---

١ - تفسير القرآن العظيم : ابن كثير : جـ٤ : ص٤٠ : انظر : جامع البيان : الطبري : جـ ١ ، ص ١٠٠ . ارشاد العقل السليم : أبي السعود : بيروت : دار المعرفة : دار احياء التراث العربي : جـ١ ، ص ٢٨ ، روح المعاني : الألوسي : جـ١ ، ص ١٠٨ الأساس في التفسير : سعيد حوى : جـ ١ ، ص ٨٤

٢ - موعظة المتقين : أحمد القطان : الطبعة الأولى : الكويت : مكتبة سندس : ١٤٠٧ ، ص١٠٣

٣ - سورة النساء : جزء من الآيه ١٣١

٤ - جند الله : سعيد حوى : ط ٣ : بيروت : دار الكتب العلمية : ١٣٩٩ ، ص ٢٥٧

٥ - فتح الباري : ابن حجر : جـ١١ : كتاب الإيمان و النذور ، باب إذا قال و الله لا أتكلم اليوم فصلى أو قرأ أو سبح ، ص ٥٦٦

لا شريك له و الأمر بطاعة الرسول عليه الصلاة و السلام و للتقوى شأن عظيم لا يسعنا الكلام فيه في هذا الموضع . [١]

الصيغة الثالثة : وردت لا إله إلا الله تحت لفظ الإحسان : و هو توحيد الفعل عياناً و يقيناً و مشاهدة . [٢]

قال تعالى : " إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ " [٣] و الاحسان في العبادة هو أشرف مقامات الإيمان بالله و الإنقياد لطاعته . [٤] و هو ما يتضح في قوله تعالى : " هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿٦٠﴾ " [٥] فجزاء من أحسن في العبادة في طاعة الله تعالى أن يجعل له لسان صدق يذكر به بعده بحسب مرتبته في ذلك ، و هل جزاء من أفرد الله تعالى في ألوهيته و ربوبيته إلا الجنة ! و هذه هي أشرف مقامات الإيمان بالله و الإنقياد له و لا يتحقق هذا إلا باخلاص العبادة له و حده . [٦] لكل هذا كانت لا إله إلا الله هي أول قاعدة من قواعد الإسلام و هي مفتاح دعوة كل نبي لقوله :

" يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ " [٧]

فقوله أولاً اعبدوا الله ، و ثانياً ما لكم من اله غيره ، كون الثاني علة للأول كذا [وجبت عبادة الله لأجل العلم بأنه لا إله إلا الله] [٨] و لو أمعنا النظر لوجدنا أن كل آيه في كتاب الله أساسها لا إله إلا الله القائمة على توحيد الألوهية .

---

١ ـ انظر : أسمى الرسالات : عبد الحميد الخطيب : الطبعة الأولى : مصر : مطابع دار الكتاب ١٣٧٣ ، ص ٣٧٢ + جند الله : سعيد حوى : ص ٢٢١ ـ ٢٩١ . روح الدين الاسلامي : عفيف طباره : الطبعة ٢٣ : بيروت : دار العلم للملايين : ١٩٨٣ ، ص ٢١١ ـ ٢١٣

٢ ـ الله القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد : السكندري : الأزهر : مطبعة صبيح : ص ٢١

٣ ـ سورة الصافات : الآيه ٨٠

٤ ـ انظر : التفسير الكبير : الرازي : ج٢٦ ، ص ١٤٤ : انظر تفسير القرآن العظيم : ابن كثير ج ٤ ، ص ١٣

٥ ـ سورة الرحمن : الآيه ٦٠

٦ ـ انظر : جامع البيان : الطبري : ج٢٣ ، ص٩٨ ، فتح القدير : الشوكاني : ج ٤ ، ص ٤٠٠

٧ ـ سورة هود : جزء من الآيه ٦١

٨ ـ التفسير الكبير : الرازي ج ج١٤ ، ص١٥٦ : أنظر : معنى لا إله إلا الله : الزركشي: الطبعة ٣ : دار البشائر الإسلامية : ١٤٠٦ ، ص ٧٧

٤ - شهادة الله سبحانه و تعالى على وحدانيته :

لقد شهد الله سبحانه و تعالى على وحدانيته كما جاء في قوله عز وجل : " شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ " (١)

فشهادة الله تعالى و بيانه و إعلامه كما هو في هذه الآية الكريمة يكون بأمرين :-

الأول : بقوله تعالى على ما أرسل به رسله و أنزل به كتبه و أوحاه إلى عباده و قد علم بالتواتر و الإضطرار أن جميع الرسل عليهم السلام أخبرو عن الله تعالى أنه شهد أن لا إله إلا هو بقوله و كلامه ، و هذا معلوم من جهة كل من بلغ عنه كلامه . (٢)

و مصداق ذلك جاء في قوله تعالى :
" أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ " (٣) فالآية الكريمة صريحة في هذا المعنى ، ذلك أن المقصود بذكر من قبلي إبتداء من دعوة نوح عليه السلام إلى دعوة محمد صلى الله عليه و سلم ، لقولهم : " يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره . "

الثاني : شهادته سبحانه و تعالى بفعله ، فهو على [ما نصبه من الأدلة الدالة على وحدانيتة التى تعلم دلالتها بالفعل و إن لم يكن هناك خبر عن الله ،

---

١ - سورة آل عمران : الآيتان : ١٨ و جزء من الآية ١٩
٢ - دقائق التفسير : ابن تيمية : جـ٢ ، ص ٢٠٣
٣ - سورة الأنبياء : الآيه ٢٤

و هذا يستعمل فيه لفظ الشهادة و الدلالة و الإرشاد] (١)

و الدليل على ذلك من كتاب الله تعالى :

" لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ " (٢)

و لسان الحال يشهد على صلاحها ، و هكذا يثبت وجود إله واحد لصلاحهما .

ثم أتبعها بقوله : " لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ "

فشهادة الله سبحانه و تعالى الأولى " شهد الله أنه لا إله إلا هو " فيها وصف توحيد ، و الشهادة الثانية من أولي العلم و الملائكة ذكرت مجردة ليقولها من يتلو القرآن فيكون [التالي قد شهد بها أنه لا إله إلا هو . فالأولى خبر عن الله بالتوحيد لنفسه ، و هذه خبر عن الله بالتوحيد] (٣)

و بهذا فشهادة الله تعالى لنفسه بأنه لا إله إلا هو و شهادة غيره له بالوحدانية ، إقرار الخلق أجمعين بوحدانيته تعالى ، و ذلك عندما أشهدهم على أنفسهم ، ألست بربكم قالوا بلى ، كما جاء في قوله تعالى : " وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ " (٤)

و كما كان هذا الإستشهاد بالواحدانية في ظهر الغيب جاء عيانا من رسول الله نوح عليه السلام إلى قومه ، و دعوتهم لذلك متمثلاً في قوله

---

١ - دقائق التفسير : ابن تيمية : جـ٢ ، ص ٣٠٣ . انظر : شرح الطحاوية : على أبي العز الحنفي : جـ ١ ، ص ٩٣

٢ - سورة الأنبياء : جزء من الآية ٢٢

٣ - دقائق التفسير : ابن تيمية : جـ ٢ ، ص ٣٠٦

٤ - سورة الأعراف : الآية ١٧٢

تعالى : " يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ " [١] و قوله تعالى : " أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ " [٢] إلى غير ذلك من الآيات المقرة بالتوحيد و داعية له .

و هذا هو أول ما طلبه نوح عليه السلام من قومه ، و أول ما دعاهم إليه و وجه إليه الأنظار بدعوتهم إلى توحيد الألوهية ، إلا أنهم عتوا عن أمر ربهم ، و أصروا على ما في أنفسهم من شرك صرفهم عن تلبية هذا النداء و أصروا و استكبروا استكباراً .

و بهذا فالأنبياء عليهم السلام عرفوا الله سبحانه و تعالى بالوحي المعرفة التي هي معرفة حقه و عبدوه العبادة التي هي حق له بحسب ما منحهم الله تعالى . [٣]

. . .

---

١ - سورة المؤمنون : جزء من الآيه ٢٣

٢ - سورة نوح : الآيه ٣

٣ - أنظر : مجموع الفتاوى : ابن تيمية : جـ٢ ، ص ٦٧

المطلب الثاني : توحيد الربوبية :

وهو القسم الثاني من أقسام التوحيد .

بعدما تم تعريف توحيد الألوهية والتعرف على مضمونه ، وإثبات تمام الألوهية وإفراد العبودية لله تعالى ، نبين القسم الثاني من أقسام التوحيد وهو توحيد الربوبية .

تعريف الربوبية في اللغة : الرب في اللغة السيد المالك ، وهذا من أسمائه تعالى ، ولا يقال في غير الله تعالى إلا بالاضافة ، والربوبية إسم من الرب ، وله الربوبية على جميع الخلائق لا شريك له . [1]

وفي الإصطلاح : الإقرار بأنه خالق كل شيء ، وأنه ليس للعالم صانعان متكافئان في الصفات والأفعال [2] ، وهذا هو توحيد الله بأفعاله.
لذا كان الإقرار بأنه سبحانه هو وحده خالق الخلق ، ومالكهم ومحييهم ومميتهم ، ونافعهم وضارهم ومجيب دعائهم عند الإضطرار ، والقادر عليهم ومعطيهم ومانعهم ، وله الخلق وله الأمر كله ، وهذا [3] يمثل الإيمان بجانب من جوانب التوحيد الذي دعت إليه الرسل .
والآيات الدالة على قدرته تعالى وتفرده في خلق السموات والأرض كثيرة قال تعالى : " وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ " [1]

---

١ - انظر : الصحاح : الجوهري : جـ١ ، باب الباء ، فصل الراء : ص١٣٠ ، لسان العرب : ابن منظور : جـ١ : باب الباء : فصل الراء ، ص٣٩٩ . المنجد في اللغة العربية ، باب الراء : فصل الباء ، ص ٢٤٣

٢ - شرح الطحاوية : أبي العز الحنفي : جـ١ ، ص ٧٩

٣ - الإيمان : نعيم ياسين : ط ٤ : دم ، د ت ، ص ١٦

٤ - سورة ق : الآية ٣٨

وبهذا القسم من أقسام التوحيد تعترف جميع الأمم السابقة وهذا النوع من التوحيد حق لا ريب فيه .

فمن هذا المنطلق الإيماني ناقش الأنبياء عليهم السلام أقوامهم ، لينطلقوا من هذا المبدأ إلى توحيد الألوهية .

وقد ذكر القرآن الكريم هذا الخطاب بين الرسل وأقوامهم ، كما جاء في قوله تعالى : " أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ " (١)

هاتان الآيتان الكريمتان فيهما إخبار من الله سبحانه وتعالى قص فيهما أخبار الأمم السابقة وما كان من تكذيبهم لرسلهم [لما سمعوا كلام الله عجبوا ورجعوا بأيديهم إلى أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به ، فهم يقولون لا نصدقكم فيما جئتم به فإن عندنا فيه شكاً قوياً ، قالت لهم رسلهم أفي الله شك] !؟ (٢)

---

١ ـ سورة ابراهيم : الآيتان ٩ ـ ١٠

٢ ـ تفسير القرآن العظيم : ابن كثير : جـ٢ ، ص ٥٢٤

فجاء بعده قوله تعالى : " يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم و يؤخركم إلى أجل مسمى "

و هذا الجواب من الرسل مبني على إعتراض من أقوامهم . كما في قوله تعالى : " إنا لفى شك مما تدعوننا إليه مريب " و في هذا إستفهام على سبيل الإنكار ، فلما ذكر المعنى أردفه بالدلالة الدالة على وجود الصانع المختار ، كما في قوله تعالى : " فاطر السموات والأرض "[1]

و قال صاحب الكشاف في ذلك : إنما [أدخلت همزة الإنكار على الظرف لأن الكلام ليس في شك ، إنما هو في المشكوك فيه ، و لأنه لا يحتمل الشك لظهور الأدلة و شهادتها عليه] [2]

فموضع شك القوم ليس في وجود الله تعالى ، إنما فيما جاء به الأنبياء و المرسلين و هو من خلوص التوحيد لله عز و جل .

و هذا الشك يحتمل أمرين :-

١ - أفي وجود الله شك ؟ فإن الفطرة شاهدة على وجوده ، و مجبولة على الإقرار به ، فإن الإعتراف به ضروري في الفطرة السليمة ، و لكن قد يعرض لبعضها شك و اضطراب ، فتحتاج إلى النظر في الدليل الموصل إلى وجوده سبحانه ، و لهذا قالت لهم رسلهم ترشدهم إلى طريق معرفته بأنه فاطر السموات و الأرض .

---

١ - انظر: التفسير الكبير : الرازى : جـ ١٩ ، ص ٩٣

٢ - الكشاف : الزمخشرى : ط ١ : بيروت : دار الفكر : ١٣٩٧ ، جـ ٢ ، ص ٣٦٩

٢ - أفي الله شك ! أي أفي ألوهيته و تفرده بوجوب العبادة له شك ، و هو الخالق لجميع الموجودات ، و لا يستحق العبادة إلا هو وحده لا شريك له ، فإن غالب الأمم كانت مقرة بالصانع ، و لكنها تعبد معه غيره من الوسائط . [١] و هم بهذا مقرين بتوحيد الربوبية ، إلا أن موطن شكهم كان في الألوهية فقط .

فالدعوة هنا أصلاً [دعوة إلى الإيمان المؤدى إلى المغفرة ، لكن السياق يجعل الدعوة مباشرة للمغفرة ، تتجلى نعمة الله، و عندئذ يبدوا عجيبا أن يدعى القوم الى المغفرة فيكون هذا تلقيهم للدعوة] [٢]

و لو نظرنا إلى المنن التى وهبها الله سبحانه و تعالى لهم لوجدناها عديده ، منها : تأجيلهم إلى أجل مسمى حيث لا عذاب بعد التكذيب مباشرة ، و هذا الأجل قد يكون تأخيره في الدنيا إلى الآخرة ، حيث ترجعون فيه إلى أنفسكم و تتدبرون آيات الله ، و هى رحمة و سماحة من الله تعالى .

و قد دل على ذلك قوله تعالى : « قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ﴿٥﴾ » (٣)

---

١ - انظر : تفسير القرآن العظيم : ابن كثير : جـ ٢ ، ص ٥٢٥

٢ - فى ظلال القرآن : سيد قطب : جـ ٤ ، ص ٢٠٩٧

٣ - سورة نوح : الآيات من ٢ - ٥ .

أما قولهم و لو شاء الله لأنزل ملائكة ، فهذا إقرار منهم بوجود الله تعالى بأنه فاطر السموات و الأرض ٠

يقول الطبرى في قوله تعالى : " و لو شاء الله أن لا نعبد شيئاً سواه لأنزل ملائكه " [يقول : لأرسل بالدعاء إلى ما يدعوكم إليه نوحاً ملائكة تؤدى إليكم رسالته ٠

و قولهم ما سمعنا هذا الذى يدعونا إليه نوح ، من أنه لا إله لنا غير الله في القرون الماضية ، و هي أباؤكم الأولون ٠] (١)

فهم مقرون بوجود رب خالق السموات و الأرض ، الا أنهم لا يقرون بتوحيد ألوهيته سبحانه و تعالى ٠

و مما جاء من الإقرار بوحدانية الله تعالى عن طريق التذكير بأنعم الله عز و جل ، ما خاطب به نوحا قومه قائلا :

" فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ " (٢)

---

١ - جامع البيان : الطبري : جـ ١٨ ، ص ١٦

٢ - سورة نوح : الآيات : ١٠ - ٢٠

فسياق الآيات الكريمة يبين أن نوحاً عليه السلام أطمعهم في خير الدنيا و الآخرة .

أطمعهم في المغفرة إن هم استغفروا ، فهو سبحانه غفار للذنوب ، و أطمعهم في الرزق الوفير و سقوط الأمطار ، و كذلك ما يرجونه من الذرية التي يحبونها ، كل هذا ربط بين الإستغفار و جلب لهذه الأرزاق .

إلى جانب ما طلبه نوح عليه السلام من قومه أن ينظروا في آفاق السموات و الأرض ليتجلى لهم الإقرار بتوحيد الربوبية ، فهو هنا عليه السلام وجه قومه إلى كتاب مفتوح ، محتواه النظر في هذه الآفاق حيث أن هذا التوجيه منه عليه السلام يكفي [لاثارة التطلع و التدبر فيما وراء هذه الخلائق الهائلة من قدرة مبدعهم .] (١)

و هذا الجانب من التوحيد لم يصعب على الأنبياء تعريف أقوامهم به ، كما ورد ذلك في قوله تعالى : " وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ " (٢)

فهم بهذا الإقرار لا سبيل لهم للإنكار و التردد ، و قد أنكر الله عليهم هذا الصنيع فكيف [يصرفون عن الإقرار بتفرده عز و جل في ألوهيته مع إقرارهم بتفرده سبحانه فيما ذكر من الخلق و التسخير ؟] (٣)

لهذا جاء الأنبياء عليهم السلام مخاطبين قومهم موجهين دعوتهم إلى أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

---

١ - في ظلال القرآن : سيد قطب : ج ٦ ، ص ٣٧١٤

٢ - سورة العنكبوت : الآية : ٦١

٣ - روح المعاني : الألوسي : ج ٢١ ، ص ١١

أما توحيد الربوبيه فهم مقرين بذلك دون شك فيه .

لذا لم يحتج الأنبياء عليهم السلام لوجود دلائل لإثبات وجود الصانع عز وجل ، لإقرارهم المسبق بوجوده تعالى .

. . .

المطلب الثالث : توحيد الأسماء و الصفات :

و هو القسم الثالث من أقسام التوحيد .

من تمام الإيمان بالله تعالى ، الإيمان بأن الله عز و جل ليس كمثله شيء و هو السميع البصير .

و هو [الإيمان بما و صف به نفسه في كتابه ، و بما وصفه به رسوله محمد صلى الله عليه و سلم من غير تحريف و لا تعطيل ، و من غير تكييف و لا تمثيل ، بل يؤمنون بأن الله سبحانه ليس كمثله شيء و هو السميع البصير .] (١)

و قال أهل السنة : بأنه لا يجوز إطلاق اسم على الله من جهة القياس بل ما ورد به الشرع في الكتاب و السنة و أجمعت عليه الأمة . (٢)

و هذه هي طريقة الرسل عليهم السلام أجمعين .

و بما أن جميع الأنبياء دينهم واحد ، فإن أصول هذا الدين واحدة ، و كما أرسل عليه السلام لإثبات توحيد الألوهية و توحيد الربوبية أرسل أيضا عليه السلام مشيرًا إلى توحيد الأسماء و الصفات و قد أنعم الله عز و جل علينا حيث تم بيان هذا الموضوع بعد ذلك على لسان محمد صلى الله عليه و سلم .

و قد جاءت الآيات القرآنية مبينة لبعض تلك الصفات التى خاطب بها نوح عليه السلام قومه و منها :-

---

١ - مجموع الفتاوى : ابن تيمية : جـ٣ ، ص ١٣٠ . الرسالة التدمرية : ابن تيمية : القاهرة : المطبعة السلفية : ١٣٨٧ هـ ، ص ١٤

٢ - أنظر : أصول الدين : للبغدادى : ط ٢ : بيروت : دار الكتب العلمية : ١٤٠٠ ، ص ١١٦

صفة العين : وقد تجلى ذلك واضحاً كما في قوله تعالى :

" وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ " (١)

وقد أورد الطبرى في تفسيره أن العين هي عين الله و وحيه . (٢)

و العين حقيقة في الجارحة - من غير تمثيل و لا تشبيه - و هي جارية مجرى التمثيل كأن لله سبحانه أعينا تكلؤه من تعدي الكفرة و من الزيغ في الصنعة .

و قد جاءت بصيغة الجمع للمبالغة و قيل [أن ملابسة العين كناية عن الحفظ و ملابسة الأعين لمكان الجمع كناية عن كمال الحفظ و المبالغة فيه .] (٣) و قيل هم الملائكة الذين جعلناهم عيوناً على مواضع حفظك . و قال ابن كثير بأعيننا " أى بمرأى منا " (٤)

و أيا ما كان المقصود في التفسير فالعين هنا المقصود بها هي عين الله ، و لكن مع كامل الإيمان منا بأنه لا تمثيل و لا تشبيه في ذلك ، كما علمنا بذلك من رسول الله صلى الله عليه و سلم و أهل السلف بأنه الإيمان دون تحريف و لا تعطيل و لا تكييف و لا تمثيل .

ثانيا : صفة الرحمة :

كما جاء فى قوله تعالى :

" وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ " (٥)

---

١ - سورة هود : الآيه ٣٧
٢ - روح المعانى : الألوسي : ج ١٢ ، ص ٤٩
٣ - المرجع السابق : نفس الصفحه .
٤ - تفسير القرآن العظيم : ابن كثير ، ج ٢ ، ص ٤٤٤
٥ - سورة هود : الآيـه ٤١

فـي هـذه الآيـة اجتمعت صفتان للـه تعالـى ، صفـة الرحمـة ، و صفة المغفرة ، و المقصـود مـن هـذه الآيـة الكريمـة [ان ربـى لسـائر ذنـوب مـن أنـاب اليـه غفـور رحيـم بهـم مـن أن يعذبهـم بعـد التوبـة] (١)

و الرحمـة : الرقـه و العطـف ، و الرحمـن الرحيـم : اسمان مشتقان مـن الرحمة ,الا أن الرحمـن إسـم مختص باللـه تعالـى و لا يجـوز أن يسـمى بـه غيـره . و الرحيـم تكـون بمعـنى المرحـوم و الراحـم ، و قـال ابن عباس : همـا إسمان رقيقـان أحدهمـا أرق مـن الآخـر فالرحمـن الرقيق و الرحيـم العاطـف علـى خلقـه بالرزق . و رحمـة اللـه : عطفـه و إحسانه و رزقـه . (٢)

و صفـة الرحمـة صفـة كتبت فـي اللـوح منـذ الأزل ، و قد روي عـن أبـي هريـرة رضـي اللـه عنـه أنه قـال : قـال رسـول اللـه صلى اللـه عليـه و سلـم (لمـا قضـى اللـه الخـلق كتب فـي كتـابه فهـو عنـده فوق العرش : ا ن رحمـتى غلبت غضبـى) (٣)

و ذكـر ابـن حجـر قائـلاً [تعلـق الرحمـة غالب سـابق علـى تعلق الغضـب ، لأن الرحمـة مقتضـى ذاتـه المقدسـة ، و أما الغضب فانـه متوقف على سابق عمـل العبـد الحادث] (٤) و صفـة الرحمة صفـة لجميع الخلائق من اللـه تعالى .

أما صفـة الرحيـم : فهي بالمؤمنيـن خاصة يـوم القيامة لقوله تعالـى :

" وكـان بالمؤمنيـن رحيـماً "

---

١ - انظر : جامع البيان : الطبرى : جـ ١٢ ، ص ٤٥

٢ - الصحاح للجوهرى : جـ٥ : باب الميم فصل الراء ، ص ١٩٢٨ ، لسان العرب : ابـن منظور م ، ١٢ ، باب المبيم فصل الراء ، ص ٢٣٠ - ٢٣١

٣ - فتح البارى : ابن حجر : جـ٦ ، كتاب بدء الخليقه ، باب ما جاء فى قوله " وهو يبدأ الخلق ثم يعيده " ص٢٨٧

٤ - المرجع السابق : ص ٢٩٢

قال الطبري في ذلك [فما وصفنا في اللطف لهم في دينهم فخصهم به دون من خذله من أهل الكفر به ، و أما ما خصهم به في الآخرة فكان به رحيماً لهم دون الكافرين] (١)

أما في قوله وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم ، فهذه المبالغة لعدة أمور :-

١ - إما بحسب شمول الرحمن للدارين .

٢ - و إما بحسب كثرة أفراد المرحومين و قلتها .

٣ - و إما بحسب جلالة النعم و دقتها كما اختاره في التسمية .

و هو بهذا يقصد بصيغة المبالغة أنها رحمة زائدة بوجه ما . (٢)

و على أي تقدير فرحمة الله تعالى واسعة لكل شيء [و هو تعالى متفضل فيها فاعل بقضية رحمته السابقة من غير وجوب عليه و بأنها واقعة على أحسن ما يكون] (٣)

و في التعليل بالمغفرة و الرحمة رمز إلى أن الله سبحانه و تعالى قد وعد بنجاتهم ، و ذلك من تمام غفرانه تعالى و رحمته . (٤)

ثالثاً : صفة الحكمة لله تعالى :

كما جاء في قوله تعالى : " وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ " (٥)

---

١ - جامع البيان : الطبري : ج ١ ، ص ٥٧

٢ - انظر : حاشيه الشريف علي بن محمد بن علي السيد الجرجاني : ج ١ ، ص ٤١

٣ - تفسير أبي السعود : ج ١ ، ص ١٥

٤ - انظر : التحرير و التنوير : ابن عاشور : ج ١٢ ، ص ٧٤

٥ - سورة هود : الآية ٤٥

هذه الآية الكريمة بينت صفة من صفات الله تعالى بأنه أحكم الحاكمين .
و الحكم : مصدر قولك حكم بينهم يحكم أى قضى و حكم له و حكم عليه .[1]
و هو حكيم له الحكم سبحانه و تعالى .

و من صفات الله الحكم و الحكيم و الحاكم ، و معاني هذه الأسماء متقاربة
و الله أعلم بما أراد الله بها و علينا الإيمان بأنها من أسمائه .
و الحكيم ذو الحكمة . و الحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل
العلوم .[2] و في الآية الكريمة السابقة نداء من نوح عليه السلام
داعياً الله تعالى أن ينجي ابنه ، قال الطبري في قوله تعالى : [و أنت
أحكم الحاكمين بالحق فاحكم لي بأن تفي بما وعدتني من أن تنجي لي
أهلي و ترجع لي ابني .] [3]
ففي هذا جميل التوسل إلى من عهده منعماً و متفضلاً عليه أولاً و آخراً،
هنا جاء نداء الحق : " قال يا نوح انه ليس من أهلك " أي هم الذين دعوت
انجاءهم لأني إنما وعدتك بنجاه من آمن من أهلك .[4]

و هذه من رحمة الله بعبادة أن يرحم من عباده المؤمنين . و كانت رحمته
تعالى هنا متمثلة في إنجائهم من الغرق .

رابعاً : صفة المغفرة

إن الآيات التي جاءت تبين صفة المغفرة كثيرة في قصة نوح عليه السلام كما

---

١ - الصحاح : للجوهري : جـ ٥ : باب المبيم : فصل الحاء ، ص ١٩٠
٢ - لسان العرب : ابن منظور : جـ ١٢ : باب الميم : فصل الحاء ، ص ١٤٠
٣ - جامع البيان : الطبري : جـ١٢ ، ص٤٢ ، انظر روح المعاني : الألوسي : جـ١٢ ، ص٦٨
٤ - تفسير القرآن العظيم : ابن كثير : جـ ٢ ، ص ٤٤٧

جاء في قوله تعالى :

" وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ " (١)

و قوله : " قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ " (٢) و قوله :

" وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا " (٣) و قوله :

" فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا " (٤) و قوله :

" رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا " (٥)

و في هذه الآيات الكريمة جاءت صفة المغفرة خاصة بالله تعالى .

و الغفر : التغطية و منه الغفران ، (٦) و الغفور الغفار ، جل ثناؤه و معناها الساتر لذنوب عباده المتجاوز عن خطاياهم و ذنوبهم .

و يقال: اللهم اغفر لنا مغفرة و غفراً و غفراناً ، و انك أنت الغفور الغفار يا أهل المغفرة . (٧)

و تغافرا : دعا كل واحد منهما لصاحبه بالمغفرة .

و قول نوح عليه السلام لقومه "استغفروا ربكم انه كان غفاراً" [أي سلوا ربكم غفران ذنوبكم و توبوا إليه من كفركم ، و عبادة ما سواه من الآلهة

---

١ - سورة هود الآية ٤١

٢ - سورة هود الآية ٤٧

٣ - سورة نوح الآية ٧

٤ - سورة نوح الآية ١٠

٥ - سورة نوح الآية ٢٨

٦ - الصحاح : للجوهري : ج ٢ باب الراء : فصل الغين ، ص ٧٧٠

٧ - انظر : لسان العرب : ابن منظور : باب الراء فصل الغين: ج ٥ ، ص ٢٤

و وحدوه و أخلصوا له العبادة يغفر لكم انه كان غفارا لذنوب من أناب إليه و تاب إليه من ذنوبه .] (١)

و هنا كان دور نوح عليه السلام بأن علل ذلك لهم بأن الله موصوف بالغفران و هى صفة ثابتة تعهد الله بها لعباده المستغفرين .

فوجود حرف إن أفاد التعليل و ثبوت الصفة لله .

و بذكر فعل كان و كمال غفرانه : بصيغة المبالغة بقوله (غفاراً) (٢)

أما ما ورد عن ابن عباس في تفسيره لقوله تعالى " اركبوا فيها بسم الله مجراها و مرساها " يريد بذلك أنها تجرى باسم الله و قدرته ، و ترسوا باسم الله و قدرته . (٣)

و هذا مجمل لبعض الأسماء و الصفات التى وردت في قصته عليه السلام .

و لما كانت دعوة نوح عليه السلام أولى الدعوات الى الله تعالى كان جماع التوحيد الذي دعت إليه هو توحيد الألوهية المتضمن لكل من توحيد الربوبيه و توحيد الأسماء و الصفات .

و لما كانت دعوة التوحيد أكثر ما تركز عليه هو الإيمان بالله تعالى وحده لا شريك له رباً و خالقاً و معبوداً ، و أن الواجب تجاه هذا القسم من أقسام التوحيد هو الإيمان بما وصف به الله عز و جل نفسه و ما علمه نبيه محمد صلى الله عليه و سلم و ما أنزله في كتابة من غير تشبيه و لا تحريف و لا تعطيل .

---

١ - جامع البيان : الطبرى : ج ٢٩ ، ص ٩٣

٢ - انظر : التحرير و التنوير : ابن عاشور : ج ٢١ ، ص ١٩٦

٣ - التفسير الكبير : الرازى : ج ١٧ ، ص ٢٣٧

المطلب الرابع : الربط بين توحيد الألوهية و الربوبية و الأسماء و الصفات :

بعد ما تم التعرف على الأسماء و الصفات التي وردت في قصة نوح عليه السلام ، جدير أن نبين أن هناك ربط بين أقسام التوحيد الثلاثة و أنها متلازمة لا ينفك أحد ها عن الآخر .

فتوحيد الربوبية قائم على أن الله تعالى خالق كل شيء و ربه و مليكه فمن كانت له هذه الأحقية فلا تنفك العبادة عنه ، بل تستلزم له .

فتوحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهيه كما قال تعالى :

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ " (١)

و هذا هو ما دعا إليه نوح عليه السلام قومه كما في قوله :

" فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ " (٢)

---

١ - سورة البقرة : الآيات : ٢١ - ٢٢

٢ - سورة نوح : الآيات : ١٠ - ٢٠

بين لهم نوح عليه السلام هنا مدى الربط بين توحيد الربوبية وأنه خالق كل شيء ومليكه ، فلابد لهم من توحيد العبادة له سبحانه .

وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية ، ذلك أن من عبد الله وحده في عبادته لابد أن يعتقد أنه لا رب ولا مالك له سواه ، فيعبد الله سبحانه وحده على إعتقاد جازم بأنه بيده الخير وأنه وحده يملك ضره ونفعه وأنه لو اجتمعت الإنس والجن على أن ينفعوه بشيء لن ينفعوه إلا بشيء قد كتبه الله عليه .

وأما توحيد الأسماء والصفات : فهو متضمن لتوحيد الألوهية والربوبية معا ذلك أنه تعالى متفرد بصفات الكمال والجلال وبأسمائه الحسنى ومن مقتضياتها : أنه رب واحد لا شريك له في ربوبيته وإله واحد لا شريك له في ألوهيته ، فمن وحد الله في ألوهيته وربوبيته ثم سمى غير الله تعالى بأسمائه أو ألحد بشيء منها ، فإنه بهذا لا يكمل له ذلك التوحيد . [1]

---

١ - انظر : دعوة التوحيد : خليل هراس : مكتبة الصحابة : طنطا ، ص ٨١

المطلب الخامس : موقف الجاهلية الدائم من قضية التوحيد :

يتبين لكل باحث يعي حقيقة هذه الحياة و دوره فيها الغاية من خلقه في هذا الوجود .

و يتبين لأصحاب المبادىء النزيهة و الفكرة السامية من خلال ما تقدم في قصة نوح عليه السلام بيان دوره في الدعوة إلى توحيد الله عز وجل و ما كان من إثبات الحاكمية لله عز وجل .

و يتضح من خلال القصة و الفترة الزمنية التى قضاها نوح عليه السلام في قومه بأنها تصف أولى تجربة بين عقيدتى الحق والباطل ، عقيدة خالدة بخلود الزمان ، وعقيدة متقلبة حسب الأهواء ، فالأولى حقيقة ربانية ، و الأخرى صناعة بشرية ، و هذا اللقاء الذى تم بين نوح عليه السلام و قومه يمثل دورة من دورات العلاج الدائم الثابت المتكرر للبشرية و تصف شوطاً من أشواط المعركة الخالدة بين الخير و الشر و الهدى و الضلال ، و الحق والباطل و هى نفسها تكشف صورة من صور البشرية العنيدة الضالة الذاهبة وراء القيادات المضللة المستكبرة عن الحق ، المعرضة عن دلائل الهدى و موجبات الإيمان المعروض أمامها في غيابات الأنفس و سعة الآفاق ، المسطورة في كتاب الكون المفتوح و كتاب النفس المكنون .

لهذا كانت دعوته عليه السلام منطلقة من قوله تعالى : " اعبدوا الله ما لكم من إله غيره " ، لهذا عالج نوح عليه السلام هذه القضية من منطلق التركيز على قضية خلق الإنسان من ماء مهين الى كونه

إنساناً على قيد الوجود ثم يبين لهم إلى أين يكون مصير هذا الوجود فإن كان خيراً فخيراً ، وإن كان شراً فشراً ، وربط هذه النشأة بالكون ومدى ارتباط ذلك الإنسان بها؟ وهذا الكون بخالقه ٠

وهذه هي قضية الوجود الإنساني التي ستظل منذ أن خلق الله الخلق، إلى أن يرث الأرض ومن عليها سبحانه ٠

وتتعاقب السنوات وتتجدد هذه القضية مع خير رسل الله محمد صلى الله عليه وسلم ، حيث عالج هذه القضية مرتبطة بقضية الألوهية والعبودية لله عز وجل ، لأجل هذا شاءت حكمة الله سبحانه وتعالى أن تكون قضية التوحيد هي القضية التي تتصدى لها كل دعوة منذ اليوم الأول للرسالة وابتدائها بالدعوة إلى لا إله إلا الله التي عرفتها أنفسهم واستيقنتها قلوبهم ، إلا أنهم رفضوا أن ينطقوا بها لأن ذلك من العسير عليهم تجاه هذه القضية ، وهي لمن الحاكمية ؟! وماذا تعني هذه العبارة بالنسبة لأوضاعهم ورياستهم وسلطانهم ٠

لهذا كان استقبالهم لها هذا الإستقبال العنيف الداعي إلى الصد عن قبول هذه الدعوة ومحاربتها أينما كانت وبأي وسيلة هي، ذلك للمحافظة على مراكزهم ، وخوفاً على عروشهم ٠

وتتجدد الجاهلية ويتغير الأفراد ولكن يثبت أسلوب الطغيان ٠ ومازالت الدعوة الحقة ترفض وتحارب إلى وقتنا الحاضر من قبل أعداء الله بكل ما أوتوا من قوة وعتاد ٠ إنها قضية واحدة متكررة في التاريخ ٠ قضية الجاهلية الواحدة مع دين الله الواحد دين الإسلام الذى لا يرتضى غيره لعباده ، ولكن يريدون ليطفئوا نور الله

بأفواههم و الله متم نوره و لو كره الكافرون ٠

و بهذا يتضح أن موقف الجاهلية من قضية التوحيد واحد في كل زمان و مكان لا يتغير ٠

إنها ترفض الإهتداء بهدى الله ، و ترفض الحكم بما أنزل الله كما في قوله تعالى : " أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٥٠ " (١)

فالجاهلية اذن بنص القرآن الكريم هي مقابل معرفة الله ، و الإهتداء بهدى الله و الحكم بغير ما أنزل الله و ليست مقابل ما يسمى العلم و الحضارة المادية و وفرة الإنتاج ٠ (٢)

فكل من اتبع غير هدى الله فهو في جاهلية ساحقة و سيعلم الذين كفروا أي منقلب ينقلبون ٠

٠ ٠ ٠

---

١ - سورة المائده : الآيه ٥٠

٢ - انظر : جاهلية القرن العشرين : محمد قطب : القاهرة : دار الشروق : ١٤٠٨، ص٧

الفصل الثاني

قضية النبوة

وفيه تمهيد وثمانية مباحث :

تمهيد

المبحث الأول : معنى النبي والرسول .

المبحث الثاني : الحكمة من ارسال الرسل .

المبحث الثالث : وظيفة الرسل .

المبحث الرابع : الأنبياء أفضل خلق الله .

المبحث الخامس : أولي العزم من الرسل .

المبحث السادس : أدلة الكتاب والسنه على أن نوحا عليه السلام أول رسل الله لأهل الأرض .

المبحث السابع : بشرية الرسول والشبه الواردة على ذلك .

المبحث الثامن : عصمة الأنبياء والشبه الواردة على ذلك .

تمهيد

الإيمان بالرسل عليهم أفضل الصلاة و أزكى التسليم هو الركن الثاني من أركان الإيمان : و هو يشمل الإيمان بهم بأنهم صادقون فيما أخبروا به عن الله تعالى ، مع وجوب الإيمان بهم جملة و تفصيلاً ، طبقاً لما جاء في قوله تعالى : " ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ " (١)

و قد جاء الخطاب موجهاً للرسول صلى الله عليه و سلم بالإيمان بالمرسلين من قبله كما في قوله تعالى :

" قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ " (٢)

فعقيدة الإيمان بالله تعالى لا تنفك عن الإيمان برسله عليهم الصلاة و السلام لأن مقتضى الإيمان بالله تعالى ، يقتضي تصديق رسله الذين أرسلهم بالخبر داعين بأمره عز و جل مبلغين لشريعته التي لا يمكن الدلالة عليها إلا بواسطتهم .

و الأنبياء والمرسلون هم أفضل خلق الله سبحانه و تعالى و أعلاهم منزلة عنده عز و جل ، و هم المصطفون من عباده الذين سلّم

١ - سورة البقره : الآية ٢٨٥

٢ - سورة آل عمران : الآية ٨٤

عليهم في العالمين كما في قوله تعالى : " وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْ " (١)
و في قوله " سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ " (٢) و قوله تعالى :
" قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ " (٣)
و يكفي لهم الفضل بأن الله سبحانه و تعالى فضّلهم و خصّهم بوحيه
و جعلهم أمناء على رسالته، و أنهم الوسطاء بينه و بين عباده .

و قد فضلهم الله سبحانه و تعالى بعضهم على بعض تفضيلاً من عنده ،
فأفضلهم و أكرمهم على الله هم أولو العزم من الرسل لقوله تعالى :
" شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ
وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ
ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ " (٤)

و عليهم جميعاً تدور الشفاعة حتى ترد إلى خيرهم سيدنا محمد صلى الله
عليه و سلام .

و يأتي بعدهم من أرسلهم الله سبحانه و تعالى من رسله و عددهم في كتابه،
و ما لا يعلم بحقيقة عددهم إلا هو سبحانه ، و من بعدهم من الأنبياء الذين
بلغوا بوحيه سبحانه و لم يؤمروا بتبليغ ذلك . و إن الله سبحانه وتعالى
أرسلهم جميعاً لحكمة علّمنا إياها . و قد خصهم الله تعالى من البشر
لا من غيرهم لئلا يكون في ذلك حجة للناس ، و الله أعلم حيث يضع رسالته ، و بيان
حقيقة هذه الأمور يتضح بين طيات هذا الفصل ان شاء الله .

---

١ - سورة الصافات : الآية ١٨١ ٢ - سورة الصافات : الآية ٧٩

٣ - سورة النمل : الآية ٥٩ ٤ - سورة الشورى : الآية ١٣

المبحث الأول

معنى النبي و الرسول

في معرض الحديث عن النبوة و حكمة إرسال الرسل، و طبيعتهم، و الشبه الواردة في ذلك؛ كان لابد من بيان معنى النبي، و الرسول، و الفرق بينهما؛ لحصول الفائدة المرجوة من ذلك :

معنى النبى : النبى مشتق من النباوة، و هي الشيء المرتفع؛ و على هذا يكون النبى الرفيع المنزلة عند الله تعالى . و منه النبأ أى الخبر لقوله تعالى "عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝١ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ۝٢" [١] و هو من أنبأ عن الله تعالى و أوحي إليه بملك؛ أو ألهم في قلبه ، أو نُبِّه بالرؤيا الصالحة . [٢]

و هو في الشرع : أن من نبأه الله بخير السماء ولم يأمره أن يبلغ غيره. [٣]

و الرسول في اللغة هو الذى يتابع أخبار الذي بعثه ، و هو من أرسلت ، و أرسلت فلاناً في رسالة فهو مرسل و رسول، و الجمع رسل . [٤]

و الرسول في الشرع : إنسان بعثه الله إلى الخلق لتبليغ الأحكام . [٥]

و على هذا فكل من النبى و الرسول مرسل من الله سبحانه و تعالى و أوحي

---

١ - سورة النبأ : آيه ١ ـ ٢

٢ - لسان العرب : إبن منظور : جـ١ : باب الهمزة : فصل النون ، ص ١٦٣ ، أنظر : العقيده الطحاوية : ابى العز ، ص١٦٧ . العقيدة الإسلامية و أسسها : الميداني : ط٢ بيروت : دار القلم : ١٣٩٩هـ، ص٢٩٧ . أصول الدين : البغدادي : ط٢ : بيروت : دار الكتب العلمية : ١٤٠٠ ، ص ١٥٤

٣ - العقيدة الطحاوية : أبى العز : ص١٦٧ . انظر : طريق الهجرتين : إبن القيم ، ص ٥٧٢

٤ - لسان العرب : إبن منظور : جـ١١ : باب اللام : فصل الراء ، ص ٢٨٤ . الصحاح الجوهرى : جـ ٤ ، ص ١٧٠٩

٥ - التعريفات : الجرجانى : ص٢٥٨ ، الطحاوية : أبى العز : ص ١٦٧

إليه بشرع .

وهذا يبين أن الرسول أخص من النبي . فكل رسول نبي و ليس كل نبي رسولا . و في ذلك دلالة على أن كلاً من النبوة و الرسالة بنص إلهي ، و اصطفاء رباني لا يأتي عن طريق الكسب و الإجتهاد . (1)

. . .

---

١ - انظر : مجموع الفتاوى : ابن تيمية : جـ١٨ ، ص٧ ، التعريفات للجرجاني ص ١١٥
العقيدة الإسلامية و أسسها : الميداني ، ص٣٠٠

المبحث الثاني

الحكمة من إرسال الرسل :-

لما كان الإيمان بالرسل ركناً من أركان الإيمان بالله تعالى ، و أنهم مصطفون من قبل الله تعالى و خصهم بوحيه فانه لا يتأتى لمقدور البشر معرفة الخير المأمور به ، و الشر المنهي عنه ، إلا عن طريقهم .

ففي إرسالهم مصالح عظيمة لا تحصى ، ذلك أن الإنسان لا يستطيع بعقله أن يدرك كل الأمور ، بل يدرك البعض منها ، و يقصر فهمه عن البعض الآخر .

و لكي يهتدي البشر الى ما قصر فهمهم عنه ، كان لابد من ارسال الرسل لتعليمهم ما جهلوه .

و بهذا تستوي للإنسان الأدلة العقلية و النقلية . [1] لهذا قال تعالى : " وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ " [2] و قوله تعالى :

" رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ " [3]

---

١ - انظر : التحقيق التام فى علم الكلام : محمد الظواهرى : ص ١٥٢
٢ - سورة الإسراء : جزء من الآية ١٥
٣ - سورة النساء : الآية ١٦٥

و لأجل هذا لم يترك الله سبحانه و تعالى الإنسان الى عقله وحده لينظم سلوكه في هذه الحياة ؛ لأن معنى الخير في نظر إنسان ما ، يختلف عند غيره من الناس ، وكذا في باقي المعاني ، فإدراك عقلية الفرد في عمر معين يختلف عنها في فترة أخرى ، وكذا المجرب يختلف عن غيره ، والعالم عن الجاهل إلى غير ذلك من فروق .
لأجل هذا أرسل الله تعالى رسله [رحمة بالناس لتنظيم أمور المعاش ، و لئلا يقصروا في عبادته بحجة أنه ما جاءهم من بشير و لا من نذير و لئلا ينكروا وجود الله و اليوم الآخر .] (١)

و قد قال ابن القيم رحمة الله في ذلك : [و من ها هنا تعلم اضطرار العباد فوق كل ضروره إلى معرفة الرسل ، و ما جاء به و تصديقه فيما أخبر به ، و طاعته فيما أمر ، فإنه لا سبيل إلى السعادة و الفلاح لا في الدنيا ، و لا في الآخرة ، إلا على أيدى الرسل ، و لا سبيل الى معرفة الطيب و الخبيث على التفصيل إلا من جهتهم ، و لا ينال رضا الله البتة إلا على أيديهم فالطيب من الأعمال و الأقوال و الأخلاق ، ليس إلا هديهم و ما جاؤوا به .] (٢) فكل خير حث عليه الأنبياء عليهم السلام ، وكل شر نهوا عن اتباعه .

---

١ - انظر : النبوات : الرازى : مكتبه الكليات الأزهرية : ط١ : ١٤٠٦ ، ص ٧

٢ - زاد المعاد : ابن القيم : مؤسسة الرسالة : ج ١ ، ص ٦٩
انظر : العقيدة الإسلامية : الميداني : ص ٣٠٢

المبحث الثالث

وظيفة الرسل :-

لمّا كانت الحكمة من إرسال الرسل هي التبليغ عن الله عز و جل فقد بين القرآن الكريم و السنة النبوية المطهرة مهمات الرسل و وظائفهم كما يلي :-

أولاً : البلاغ المبين :-

و هذا البلاغ جاء به أول الرسل إلى أهل الأرض ، جاء نوح عليه السلام إلى قومه كما في قوله تعالى :

" أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ " (١)

و المقصود بالتبليغ : هو أن يعرفهم أنواع التكاليف ،و الأوامر، و النواهي من قبل الله عز وجل . (٢) فهم بهذا سفراء الله تعالى إلى عباده .

و إلى هذا البلاغ أرسل جميع الرسل كما جاء في قوله تعالى :

" الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ " (٣)

ثانيا : الدعوة إلى الله :-

ان مهمة الرسل لا تقف عند الإبلاغ فقط بل بإقناع الناس إلى الإستجابه إلى دعوتهم و العمل بها و تحقيق ذلك في أنفسهم ،و هم في هذا يبلغون الجهد العظيم و لنا في نوح عليه السلام أسوة حسنة، مكث يدعوا قومه تسعمائة و خمسين عاماً بشتى الأساليب ليستجيبوا إلى

---

١ - سورة الأعراف : الآية ٦٢
٢ - انظر : التفسير الكبير : الرازى : جـ ١٤ ، ص ١٥٧
٣ - سورة الاحزاب : جزء من الآية ٣٩

دعوته كما في قوله تعالى :

" لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ " (١)

وبهذا جاء جميع الرسل، فهي مهمتهم العظيمة التى من أجلها يصبرون على أذى أقوامهم قال تعالى مخاطباً محمد صلى الله عليه وسلم :

" وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ " (٢)

ثالثاً : التبشير والإنذار :

وهذا من أحد أساليب الرسل في دعوتهم إلى الله تعالى مبشرين ومنذرين متخذين في ذلك طرق الترغيب والترهيب ، وهذا هو موضوع الرسالة التى من أجلها كانت المهمة العظمى لهم ، (٣) ولقد جاء نوح إلى قومه قائلاً كما في قوله تعالى :

" إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ " (٤) وما جاء في عامة الرسل :

" وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ " (٥)

---

١ - سورة الاعراف : الآية ٥٩

٢ - سورة الأنبياء : الاية ٢٥

٣ - انظر الكواشف الجليلة عن معاني الواسطية : عبد العزيز السمان : ط٤ ، مؤسسة مكة للطباعة والنشر ، ص ٤٠

٤ - سورة نوح : الآيتان ١ - ٢

٥ - سورة الكهف : الآية ٥٦

الأمـور التى أنـذر بهـا نـوح قومـه :ـ

١ ـ أنذرهم يوم القيامة وعذابه .

٢ ـ أنذرهم من عذاب الطوفان .

٣ ـ أنذرهم من المسيح الدجال لقوله صلى الله عليه وسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما : (قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فأثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال : إني لأنذركموه ، وما من نبي إلا أنذره قومه ، لقد أنذر نوح قومه ، ولكني أقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه ، تعلمون أنه أعور ، وأن الله ليس بأعور) (١)

وهذا مما يدل على صدق رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وصدق نبوته . فكل نبي جاء مرسلاً من عند الله تعالى أنذر قومه بما أنذر به نوح عليه السلام من فتنة المسيح الدجال .

رابعاً : إصلاح النفوس وتزكيتها :ـ

ولا يكون هذا الإصلاح إلا بإخراجهم من الظلمات إلى النور وأمرهم إياهم بالتقوى ، قال تعالى عن نوح :

" إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ " (٢)

فخطاب نوح عليه السلام لقومه بألا تتقون أى ألا تخافوا الله وتخشونه ومن خاف الله سبحانه وخشيه ، فقد اتقاه .

---

١ ـ فتح الباري : إبن حجر : ج ٦ ، كتاب الأنبياء ، باب ولقد أرسلنا نوحاً ، ص ٣٧٠

٢ ـ سورة الشعراء : الآيات : ١٠٦ ـ ١٠٨

و سبب تقديم نوح عليه السلام التقوى هنا ذلك أن [القوم إنما قبلوا تلك الأديان للتقليد ، و المقلد إذا خُوِّف خاف ، و ما لم يحصل الخوف في قلبه لا يشتغل بالإستدلال] (١) و هو هنا يقول لهم ألا تتقون مخالفتي و أنا رسول الله إليكم ، و في المرّة الأخرى لذكر التقوى : ألا تخافون مخالفتي و لست آخذ منكم أجراً . و متى دخل هذا القول لقلب إنسان بدأ يبحث في منازل نفسه لإصلاحها و تزكيتها . و هذا ما كان في شأن باقي الرسل عليهم السلام كما في قوله تعالى :

" رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ " (٢)

خامساً : تقويم الفكر المنحرف و العقائد الزائفة :-

خلق الله سبحانه و تعالى الخلق على فطرة الإسلام فاختلفوا من بعد ذلك و دخلت الوثنية بينهم ، فكان لابد من إرسال رسول يبين لهم ماوقعوا فيه و هذه مهمة كل الرسل كما في قوله تعالى :

" كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ " (٣)

و ما من رسول إلا قال لقومه " اعبدوا الله ما لكم من إله غيره . "

و إنذارهم هنا ما وقع فيه أقوامهم من الشرك بالله و من قبل أنذر

---

١ - التفسير الكبير : الرازى : جـ ٢٤ ، ص ١٥٤

٢ - سورة البقرة : الآية ١٢٩

٣ - سورة البقره : جزء من الآية ٢١٣

نوح قومه كما في قوله تعالى :

" وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ " (١) فهو عليه السلام [نذير للعصاة من العقاب ، و أنه مبين بمعنى أنه بين ذلك الإنذار على الطريق الأكمل و البيان الأقوى الأظهر] (٢) و من ثم بين سبحانه أن هذا الإنذار إنما حصل في النهي عن عبادة غير الله تعالى ٠

سادساً : إقامة الحجة عليهم :-

لا أحد أحب إليه العذر من الله و هذا من رحمته سبحانه و تعالى لعباده أن لا يعذبهم إلا بعد اقامة الحجة عليهم كما في قوله تعالى :

" رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ " (٣)، وكل رسول يوم القيامة يشهد على قومه بأنه بلّغ لهم و محمد صلى الله عليه و سلم و أمته يشهدون لكل رسول أنه بلغ قومه و هذه ميزة ميّز الله بها سبحانه و تعالى أمة محمد صلى الله عليه و سلم ، بحيث جعلهم شهداء على الناس فيمن هم بينهم و فيمن هم قبلهم ٠ (٤) لقوله تعالى :

" وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ " (٥) وحديث رسول الله صلى الله عليه و سلم :

---

١ - سورة هود الآيتان : ٢٥ - ٢٦
٢ - التفسير الكبير : الرازى : ج ١٧ ، ص ٢١٣
٣ - سورة النساء : الآية ١٦٥
٤ - انظر : تفسير القرآن العظيم : ابن كثير : ج ١ ، ص ١٨٩
٥ - سورة البقرة : جزء من الآية ١٤٣

عن ابي سعيد قال : (يجيء نوح و أمته : فيقول الله تعالى : هل بلغت ؟ فيقول : نعم أي رب ، فيقول لأمته : هل بلغكم ؟ فيقولون : لا ، ما جاءنا من نبي ، فيقول لنوح من يشهد لك ؟ فيقول محمد صلى الله عليه و سلم و أمته ، فتشهد أنه قد بلغ) (١)

سابعاً : قيادة الأمة و سياستها :

كل رسول بعث الى قوم ، و كل قوم بحاجة إلى من يسوسهم و يقودهم و يدبر أمورهم ، و لمّا كان الرسل عليهم السلام يقومون بهذه المهمة في حال حياتهم . لهذا كانت طاعتهم واجبة ، و هي من طاعة الله سبحانه وتعالى لقوله عز وجل " يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ".(٢) ومن طاعة الأمم لرسلهم يتسنى لهم آنذاك الحكم فيما بينهم لقوله : فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ".(٣)

و قد طلب نوح عليه السلام من قومه طاعته كما في قوله تعالى : " فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ " (٤). و من هذا المنطلق تكون الطاعة لورثة الرسل و خلفائهم في أممهم ، و لذا فقد أقرنهم الله تعالى في كتابه بالأنبياء لأنهم قائمون بما بعث به الأنبياء عليهم السلام علماً و عملاً ، و دعوة الخلق إلى الحق سبحانه

---

١ - فتح الباري : ابن حجر : ج ٤ : كتاب الأنبياء : باب قوله و لقد ارسلنا نوحا إلى قومه ، ص ٣٧١

٢ - سورة النساء : الآية ٥٩ .

٣ - سورة المائدة : جزء من الآية ٤٨

٤ - سورة الشعراء : الآية ١٣١

كمـــا في قوله :

" وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم
مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ
أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ " (١)

. . .

---

١ ـ سـورة النسـاء : الآيـة ٦٩

المبحث الرابع

الأنبياء أفضل خلق الله :

إن من يحمل أمانة التبليغ من الله تعالى إلى البشر و من كانت وظيفته الدعوة إلى الحق لابد أن يكون أعلى درجات الفضيلة، بحيث يكون هو أفضل الخلق المبعوث لهم ، ليكون في ذلك محط القدوة الحسنة .

و الأنبياء عليهم أفضل الصلاة و السلام [أفضل الخلق بإتفاق المسلمين ، و بعدهم الصديقون و الشهداء و الصالحون .] (١) و هم أصحاب الدرجات العلى في الآخرة . فلا يعقل أن يكون النبي من الفجار ؛ بل و لا يكون من عموم أصحاب اليمين ؛ بل من أفضل السابقين المقربين . (٢)

فهم من صفوة الخلق الذين اصطفاهم المولى سبحانه على سائر عباده لقوله تعالى :

" إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ " (٣)

---

١ - دقائق التفسير : ابن تيميه : جـ٣، ص١١٦ : انظر : طريق الهجرتين : ابن القيم : ص ٥٧٠

٢ - المرجع السابق : جـ ٣ ، ص ١١٧

٣ - سورة آل عمران : الآيتان : ٣٣ ـ ٣٤

فالإصطفاء من الله تعالى بأن اجتبى آدم و نوحاً و اختارهما لدينهما ، و آل ابراهيم و آل عمران لدينهم الذي كانوا عليه ، لأنهم كانوا أهل إسلام ، و جعل بعضهم من بعض في الموالاة في الدين ، و المؤازرة في الإسلام و الحق .

فدين هذه الذرية بعضها من بعض فكلمتهم واحدة، و ملتهم واحدة ، في توحيد الله، و طاعته . (١)

و أفضل أولياء الله أنبياؤه ، و أفضل أنبيائه المرسلون، و أفضل المرسلين أولو العزم ، و أفضل أولو العزم محمد صلى الله عليه و سلم خاتم النبيين، و إمام المتقين، و سيد ولد آدم، و إمام الأنبياء إذا اجتمعوا . (٢)

. . .

---

١ - انظر : جامع البيان : الطبري : جـ ٣ ، ص ٢٣٤

٢ - الكواشف الجليلة : السمان : ص ٤٠

المبحث الخامس

أولى العزم من الرسل :

أولو العزم من الرسل الذين نص عليهم القرآن الكريم خمسة كما جاء فى قوله تعالى :

" ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَالَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ " (١)

وروى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : [سيد الأنبياء خمسة ، ومحمد صلى الله عليه وسلم سيد الخمسة ، ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم .] (٢)

---

١ - سورة الشورى : الآية ١٣

٢ - المستدرك على الصحيحين للحاكم : الطبعة ٢ : بيروت : دار الفكر : ١٣٩٨ : جـ ٢ ، ص٥٤١

شريعة أولي العزم من الرسل :

سبق بيان أن دين الإسلام هو الدين الذى أتى به جميع الرسل

إلا أن فى آية التشريع إشكال يجب بيانه ، قال تعالى :

" شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَالَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ " (١)

قال الشنقيطي رحمه الله ، [الدين في قوله : " شرع لكم من الدين " الآية ، نصوص الأصول التي هي التوحيد دون الفروع العملية ٠] (٢)

وهذا يعنى أن أمور العقيدة واحدة لدى جميع الأنبياء من لدن آدم عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه و سلم لما في قوله تعالى :

" وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ " (٣)

وقال تعالى :

" وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّٰغُوتَ " (٤)

وقال تعالى :

" وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ " (٥)

وقال الرازى فى تفسيره [و المعنى شرع الله لكم يا أصحاب محمد من الدين ما وصى به نوحاً و محمداً و إبراهيم و موسى و عيسى ٠]

---

١ - سورة الشورى : الآية ١٣
٢ - أضواء البيان : الشنقيطى : جـ ٢ ، ص ٦٤
٣ - سورة الأنبياء : الآية ٢٥
٤ - سورة النحل : جزء من الآية ٣٦
٥ - سورة الزخرف : الآية ٤٥

المبحث السادس

أدلة الكتاب و السنة على أن نوحاً عليه السلام أول رسل الله لأهل الأرض

عرفنا من قبل الفرق بين النبي و الرسول و اتفق أهل العلم على أن آدم عليه السلام كان نبياً في أولاده وكان بمثابة المربي لهم . و من بعده كان إدريس عليه السلام جداً لنوح عليه السلام*، و هو أيضاً نبي على ما كان عليه آدم عليه السلام . و يبدو فيما تقدم أن الوثنية لم تظهر إلا في قوم نوح عليه السلام و لذلك أرسل إليهم .

و لحديث أبي أمامة عن ابن عباس [كان بين آدم و نوح عشرة قرون كلهم على الإسلام .] (١)

و من الآيات التي تثبت رسالة نوح عليه السلام في قومه كما في قوله تعالى : " شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ " (٢)

و قد سبق بيان المقصود من هذه الآية . في وظيفة الرسل . و أنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض . (٣)

و من أدلة السنة : ـ

ما جاء في حديث الشفاعة المروى عن أبي هريرة رضي الله عنه (فيأتون نوحا فيقولون :

---

* ـ انظر ص ٢٣١ في نسب نوح عليه السلام .

١ ـ رواه ابن حبان في صحيحه : تحقيق كمال الحوت : الطبعة التاسعة : بيروت : دار الفكر : ١٤٠٧ ، كتاب التاريخ ، رواه الحاكم في المستدرك : كتاب بدء الخلق ، ص ٢٤

٢ ـ سورة الشورى : جزء من الآية ١٣

٣ ـ دقائق التفسير : ابن تيمية : ج ٢ : ص ٣٥١

يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ، و سماك الله عبداً شكوراً ... الحديث) [١] و قد قال ابن حجر في ذلك كما في كتاب التيمم أن المقصود من هذا إثبات أولية إرساله . [٢] و هذا مجمل ما عليه أهل العلم لما في قوله تعالى :

" وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ " [٣]

و قد قال الرازي : إنما بدأ تعالى بذكر نوح لأنه أول نبي شرع الله تعالى على لسانه الأحكام و الحلال و الحرام . [٤] و هي تبين أنه أول من أوتي بشرع . و هو بهذا أول رسل الله إلى أهل الأرض .

و بناء على هذه الاية الكريمة ، علينا أن نؤمن بمن سمى الله تعالى في كتابه من رسله ، و الإيمان بأن الله تعالى أرسل رسلاً وأنبياء سواهم ، لا يعلم أسماءهم و حقيقة عددهم إلا الله تعالى .

فالإيمان بهم جمله واجب لأنه لم يأت نص متواتر في حقيقة عددهم ، و عددهم في القرآن خمسة و عشرون نبياً ، منهم ثمانية عشر نبياً ورسولاً ، [٥] كما ذكرتهم الآية . وهم : آدم و نوح وإدريس و صالح

---

١ - فتح الباري : ابن حجر : ج٦ : كتاب الأنبياء : باب : "إنا أرسلنا نوحاً" : ص ٣٧١

٢ - المرجع السابق : ج١ : كتاب التيمم : ص ٤٣٦

٣ - سورة الانعام : الآيات من ٨٣ - ٨٦ .

٤ - التفسير الكبير : الرازى : ج ١١ ، ص ١١٠ . لعله يقصد أنه أول من أوتي بشرع وأمر بتبليغه.

٥ - انظر : العقيدة الطحاوية : أبي العز : ص ٣٤٩

وابراهيم وهود ولوط ويونس وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وأيوب وشعيب وموسى وهارون واليسع وذو الكفل وداود وزكريا وسليمان وإلياس ويحيى وعيسى ومحمد ، صلى الله عليهم أجمعين ٠

وإنما بدأ بنوح عليه السلام في الآية لأنه أبو البشر الثاني وأول نبي شرع الله تعالى على لسانه الشرائع والأحكام ، وأول نبي عذبت أمته لردهم دعوته وقد أهلك الله بدعائه أهل الأرض ٠ (١)

وهذا يبين أن نوحاً عليه السلام أول رسل الله لأهل الأرض ، وأن آدم عليه السلام كان في أولاده بمثابة النبي ٠ أما نوح فقد أرسل إلى قوم دبّ فيهم الشرك ، ودعاهم من بعد إلى توحيد الله تعالى ، والله تعالى أعلم ٠

---

١ ـ ارشاد العقل السليم : أبو السعود : جـ٢ ، ص ٣٥٥ : انظر نفس المرجع جـ ٢ ، ص ٢٦ ٠ انظر الجامع لأحكام القرآن : القرطبى : جـ ٤ ، ص٦٢ـ٦٤

تفضيل الأنبياء بعضهم على بعض :

قال تعالى : " تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ " (١) لقد أخبر الله تعالى بتفضيل الأنبياء بعضهم على بعض في الدرجات ، فمنهم من أرسل إلى الناس كافة و منهم من خص بقوم ، و منهم من كلمه الله وحياً و من وراء حجب إلى غير ذلك ، و لكن هذا التفضيل لا يأتى في حقنا من جهة الإيمان بهم . ذلك أن المطلوب منا الإيمان بهم جميعاً دون تفضيل بينهم ، " لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ " (٢) و قوله صلى الله عليه و سلم : (لا تفضلوا بين أولياء الله) (٣)

و أما ما ورد من حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : (أنا سيد الناس يوم القيامه) (٤) و في رواية مسلم عن أبي هريرة (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة) (٥) لم يقلها الرسول صلى الله عليه و سلم من باب الفخر و إنما علم أنه أفضل الأنبياء و قالها بهذا تواضعا ، ليعلم الناس بها . فقد أخبر صلى الله عليه و سلم عن فضله على السابقين له و ليعلم من هو بعده ليخبر بهذا ، فقد قالها عليه السلام من باب الإخبار لا من باب الفخر .

---

١ - سورة البقرة : جزء من الاية ٢٥٣

٢ - سورة البقرة : جزء من الآية : ٢٨٥

٣ - فتح الباري : ابن حجر : جـ٦ : كتاب الأنبياء : باب إن يونس لمن المرسلين : ص ٤٥١

٤ - المرجع السابق : باب "ولقد ارسلنا نوحا إلى قومه : جـ٦ ، ص ٣٧١ ، جـ٨ ، ص ٣٩٥

٥ - صحيح مسلم : النووي : كتاب الفضائل : جـ ١٥ ، ص ٣٧

و الأنبيــاء عليهــم الصّلاة و الســلام يتبعــون نبينــا محمــد صــلى اللــه عليــه و ســلم فــي الفضــل ، فمرتبتهـــم بعــد مرتبتــه صلــى اللــه عليــه و ســلم ، و إن تفارقــوا فيهــا ، يليــه ســيدنا إبراهيــم ، فســيدنا موســى ، فســيدنا عيســى فســيدنا نــوح ، و هــؤلاء هــم أولــوا العزم مــن الرســل ، لتحملهــم بالغ الصــبر و المشــاق فــي نشــر دعوتهــم . (١)

...

* ـ لما جاء من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول اللــه صلى الله عليه وسلم : أنا سيد ولد آدم يوم القيامه ، وأول من تنشق عنه القبر ، وأول شافع وأول مشفع . صحيح مسلم بشرح النووى.ج ١٥، ص٣٧.

١ ـ انظر : تحفة المريد : على جوهرة التوحيد : البيجوري : ص ٨٣.

انظر : ص ٨١ ، ٨٣ فى تفضيل محمد صلى الله عليه وسلم على الأولين والآخرين .

المبحث السابع

بشرية الرسول و الشبه الواردة على ذلك

الشبهة الأولى : كونه بشراً مثلهم :

إن ما عليه جمهور سلف الأمة و أئمتها إن الله يصطفى من الملائكه رسلاً و من الناس ، و الله أعلم حيث يجعل رسالته ، فالله تعالى يختص لرسالته من يشاء ، و كون الرسل من البشر فيعتريهم بهذا ما يعترى سائر أفراد البشر من الأمور البشرية العامه. وفيما لا يتعلق بتبليغ الأحكام ، قال تعالى :-

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١)

و هذه هي الحجة الأولى في الطعن في نبوة نوح عليه السلام لقوله تعالى : " فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا " (٢)

و المقصود من قولهم : نحن و أنت مشتركون في البشرية و لا نرى لك ميزة تستحق أن تكون فيها علينا نبياً .

و هذا القول عارض فيه كفار قريش محمداً صلى الله عليه و سلم بقولهم " وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ "(٣)

و في هذا الإعتراض جهل محض من وجوه هي :-

أولاً :- لو كان النبي ملكاً كما زعموا لكانت الشبهة أقوى و لكان الطعن أشد ، ذلك أنه لو أتى بمعجزة لقالوا أتى بها من عند نفسه لكون

---

١ - سورة النحل : جزء من الآية ٤٣
٢ - سورة هود : جزء من الآية ٢٧
٣ - سورة الأنعام : الآية ٨

ماهيته خارجة عن حدود البشر .

ثانياً :- لو كان النبي ملكاً لما استطاعوا رؤيته لإختلاف الطبيعة الجسمية بين بني البشر و الملائكة ، و لو كان ملكاً كما يزعمون لجعله الله تعالى على صورة الرجال ليمكنهم التعرف عليه،و ليسكنوا إليه لكيلا يفزعوا منه و هو بهذا يماثل صورة بني آدم ، و لظنوا أنه رجل مثلهم ثم هم بهذا يعودون لنفس شبهتهم ، [١] كما في قوله تعالى :

" وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ " [٢]

و هذه الشبهة أعترض بها جميع الأقوام على أنبيائهم، والإنكار هو طبيعة البشر ، لقد كان هذا حال الجاهلية دائماً في عدم قبول الحق و إصرارها على الباطل ، و البحث عن حجة يعترضون بها من أجل بقاء حكم الجاهلية سائداً فيهم .

لقد كان ذلك قمة الجحود و المغالاة ، لقد رفضوا أن تكون الحاكمية فيهم لغيرهم ، حتى وصل بهم الأمر رفض كونها لله تعالى ، لقد علم كفار قريش و فهموا معنى لا إله إلا الله و استيقنتها أنفسهم ، فانهم لو قالوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ، لانتقلت الحاكمية بهذا من بين أيديهم ، التي سادوا بها البشر فترة من الزمن ، و وصلت لغيرهم . لذا كان هذا الإصرار منهم بعدم قبولها و لا حتى مجرد التلفظ بها . كما كان من شأن عم رسول الله صلى الله عليه و سلم

---

١ - انظر : فتح القدير : الشوكاني : جـ٢ ، ص ١٠١

٢ - سورة الأنعام : الآية ٩

حيث كان يطلب منه أن يقلها ليشفع له بها عند الله تعالى ،
و لكنه أبى و أصر إما خوفاً من قول العرب على أنه صبأ عن دين
آبائه ، أو لأنه رفض أن تكون الحاكمية لغير قومه .

فهذه الكلمة استيقنتها أنفسهم إلا أن ألسنتهم جحدتها . و هم لهذا يدافعون عن ذلك بشتى الطرق و الحجج الزائفة . و هذا ما كان عليه حال الأمم على مر العصور الغابرة ، قالوا لقومهم يبحثون عن حجج لعلهم يسلكونها في إقناعهم إلا أن كلمة الله هي الباقية إلى أن يرث الله الأرض و من عليها .

و قد تمثلت هذه الشبه في قوله تعالى :

" أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ " (١)

---

١ - سورة ابراهيم : الآيات ٩ - ١٠

و في إعراض قوم نوح عنه لكونه بشر مثلهم أمور هي :-

١ - التعريض به لأنه بشر مثلهم و أنهم أحق بالنبوة منه ، و أن الله لو أراد أن يجعلها في أحد من البشر لجعلها فيهم ، [1]
و هذا شأن كفار قريش لما قالوا :
" لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم " [2]

٢ - أنهم أرادوا أن يكون ملكاً لا بشراً لأنهم قالوا " بشراً مثلنا " فلا ينبغي أن تكون النبوة في بشر مثلنا ، بل خارج عن طبيعتنا و المراد أن يكون ملكاً . [3] و في هذا دحض لهذه الشبهة في كون المراد من طبيعة الرسول أن تكون على هيئة الملائكة و إلا لا عترضتوا عليها بمثل ما أخبر عنه القرآن الكريم ، و الله سبحانه و تعالى أعلم بنفوس عباده .

الشبهة الثانية التى اعترض فيها على نبوة نوح عليه السلام اتباع الأراذل من القوم كما في قولهم :-

" وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا " [4] و الأراذل هم ضعفاء النا س و فقراؤهم . [5]

وقولهم ما نراك اتبعك إلا أراذل القوم و نحن أصحاب الفكر و النظر ، و ما علموا بهذا أن أصحاب العقول الضعيفة على حسب رأيهم حاموا

---

١ - انظر : الكشاف : الزمخشري : ج ٢ ، ص ٢٦٥

٢ - سورة الزخرف : الآية ٣١

٣ - أنظر : روح المعاني : الألوسي : ج ١١ ، ص ٣٢

٤ - سورة هود : جزء من الآية ٢٧

٥ - انظر : الجامع لأحكام القرآن : القرطبي : ج٩ ، ص٢٣ - الكشاف : الزمخشري ج٢ ، ص٢٦٥

بعقولهم حول الحق ، لا يرجون إلا ماإلتفتت إليه أرواحهم و رأته نفوسهم بأنه الحق لأنهم لا يملكون من الدنيا ما يجعلهم يعترضون به على ذلك، و ليس لديهم من المال و الجاه و الكبرياء ما يجعلهم يقارنون فيمن و لمن سيكون الأمر ، إن هم اتبعوا ذلك .

أما ما عليه القوم فانهم يبغون جاه الدنيا و ما هو محسوس لديهم متمثل بين أعينهم من مادية رعناء ، أما الآخرة فلا نصيب لها من أ ن يمعنوا النظر و التفكر و التدبر بها ليصلوا إلى مجرد التفكير في أمرها و ما يلزم لها من أمور الإيمان . و هذا هو حال جاهلية كل زمان و مكان .

ثم لما وجد قوم نوح عليه السلام أن من اتبعه من المؤمنين به قد تمسكوا بما آمنوا به على الرغم مما عوقبوا به من أشد البلاء و الإضطهاد ، أخذوا يحدثونهم و هم بهذا يحدثون أنفسهم : بعدة أمور :- [1]

١ - أسلوب التهكم و الإعتراض :-

و أسلوب التهكم و معارضة الحق قائم منذ القدم ، منذ أن قام أول رسول يدعو الى الله إلى يومنا الحاضر و الحق و الباطل في صراع . و أهل الباطل يصارعون لتكون الغلبة لهم و لكن يأبى الله إلا أن يتم نوره و لو كره المشركون .

١ - فقال الملأ من قوم نوح ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ليسودكم فلم يجد لهذا طريقاً إلا إدّعاء النبوة . [2]

---

١ - انظر : محاسن التأويل : القاسمي : جـ ٩ ، ص ١١٢

٢ - انظر : التفسير الكبير : الرازي : جـ ٢٣ ، ص ٩٢

٢ - ولو شاء الله هذا لجعله ملكاً وليس من بني البشر .

٣ - الطعن فيما أتى به نوح عليه السلام قالوا :

" مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ " [١] وفي هذا إشارة إلى أنه عليه السلام قام بدعوتهم الى هذا الأمر من توحيد الله في العبادة وهو بهذا قد حذرهم عن عباده ما سواه من الآلهه .

٤ - قولهم : " إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ " .[٢] وهم بهذا يخاطبون العوام وهم يعلمون بالضرورة كمال عقله ورجاحة فهمه .

٥ - قولهم " فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ " [٣] أي واصبروا وانتظروا حتى تروا أنا صادقون ، فما عليكم إلا أن تصبروا على ما يدعيه حتى حين ، أي لعله يرجع عما يدعيه ، فان هو بقي على ما هو عليه وأتى بآيات تنصره رجعنا عن قولنا واتبعناه، وإلا فلا حاجه لاستعجالكم من بادىء الأمر في اتباعه .

والجواب عن هذه الأمور لم يذكره تعالى في الآيات ذلك لوضوح أمرها وركاكه ما يدّعون ، وفساد أمرهم .

وذلك :

١ - أن البشرية كما تقدم لابد وأن تكون من أمور النبوة لحصول الألفة والمؤانسة بين البشر بعضهم لبعض ، ولكونهم يمتازون بنفس

---

١ - سورة المؤمنون : جزء من الآية ٢٤

٢ - سورة المؤمنون : جزء من الآية ٢٥

٣ - سورة المؤمنون : جزء من الآية ٢٥

الصفات الإنسانية البشرية · حتى لا تكون حجة في عدم إتباعهم الرسول و يقولون هو ملك و طبيعته غير طبيعتنا . و التكاليف التى أتى بها يستطيع أن يقوم بها لكونه خارج عن ما هيتنا ، و لكن القدير جعله من البشر حتى تتساوى سائر التكاليف ثم إن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها ·

٢ - قولهم يريد أن يتفضل عليكم : إن الله سبحانه و تعالى حكيم فى أفعاله ،ذلك أن النبوة إصطفاء منه لا كسب من البشر فهو يصطفى من الناس رسلاً حيث يشاء و الله أعلم حيث يضع رسالته ، و جميع الأنبياء المصطفين كانت صفاتهم من أعلى الصفات المتمثلة في بني البشر من صدق و أمانة و فطانة ، و سلامة من العيوب المنفرة ، و أنهم لا يفعلون سوءاً ، و هذا ما كان عليه الرسل جميعاً ، و لقد لُقب محمد صلى الله عليه و السلم في بني قومه قبل بعثته بالأمين ، و قد كانوا يجعلون أموالهم أمانة عند محمد صلى الله عليه و سلم لما إتصف به من صدق و أمانة ·

فهم يعلمون هذا جيداً و لكنهم لا يفقهون · لقد اختار الله سبحانه و تعالى النبى بهذه الأوصاف ،حتى يلزمهم للإنقياد لطاعته ·

٣ - أما قولهم به جُنة فهم كذبوا في ذلك و ما هي بجنة بل فى كمال رجحان العقل ·

٤ - فتربصوا به حتى حين و هذا ضعيف لأنه إن ظهرت الدلالة على نبوته وهى المعجزة وجب عليهم قبول قوله في الحال و لا يجوز توقيف ذلك إلى ظهور دولة الحق لتدل على الحقيقة ، و من لم يؤمن بمعجزة أنىّ له أن يؤمن بدوله · (١)

---

١ - انظر : التفسير الكبير : الرازي : ج ٢٣ ، ص ٩٣

الشبهة الثالثة :- عدم وجود فضل له عليهم في مراتب الدنيا :

قالوا : " وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ " (١)

و المعنى لا نرى لك و لا لمن تبعك فضل علينا أى زيادة تؤهلنا لإتباعكم لا في العقل، و لا في رعاية المصالح العامة، ولا في قوة الجدل ٠

و هم بهذا كاذبون فقد نفوا عنه الأفضلية في قولهم أولاً ما نراك إلا بشراً مثلنا ٠ ثم قالوا ما اتبعك إلا الضعفاء ، و ما لهم بهذه التبعية من فضل ، فلو كان فضلاً ما تبعوك إليه و سبقونا إلى هذا ، و لعدم تبصرهم و رؤيتهم للحق قالوا ما لك و لا لهم من فضل فى الإتباع بل نظنكم كاذبين ؛

و هنا رد الله عليهم هذه التهمة بأمور :-

أولاً : إن حصول المساواة في البشرية لا يمنع من حصول المفارقة في صفة النبوة و الرسالة ، فإن خفيت عليكم هذه الأمور مع البينة و البرهان على صحتها و عميت عليكم فهل أستطيع أن أوصلكم إليها سواء شئتم أم أبيتم فلا طاقة لي بهذا ، و هو ما جاء في قوله تعالى :

" قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ " (٢)

---

١ - سورة هود : جزء من الآية ٢٧

٢ - سورة هود : جزء من الآية ٢٨

ثانيـا : فـي بيـان حكـم تعـاطي الأجـر في الدعـوه الى اللـه تعـالى.

قوله تعالى :

" وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ " (١)

ففـي هـذا رد علـى شبهتـهم الثانيـة بأنـه أتبعـه أراذل القوم، وفـي الأمـرين رد على شبهتهـم الأولـى و الثانيـة ذلك أن الشبهـة الثالثة جمعـت الشبهة الأولـى و الثانيـة .

وقـد أكـد لهـم نـوح عليـه السـلام هنـا ثلاثـة أمـور :-

١ - أنـي لا أسألكم عليـه مالاً إن أجـري إلا علـى اللـه فلا فرق فـي تبليغ الدعـوه لفقيـر أو غنـي .

٢ - أنـي لم أدع النبـوة لأطلب مالاً ذلك أنهـم أخـذوا بظاهر الأمـور ، لأنـه لم يكن مـن الأغنيـاء منهـم ؛ بل يبتغـي الأجـر مـن اللـه تعالـى .

٣ - إن اللـه تعالـى سبحانـه فضلـه على كثير منهـم ، و بموجب هـذا

---

١ - سـورة هـود : الآيـات ٢٩ - ٣١

الفضل نجده هنا يسعى معهم ، فى طلب الاعداد للآخرة ، والاعراض عن الدنيا .(١)

- الا أنه يحسن القول هنا عن أمر مهم وهو :-

حكم تعاطى الأجر على الدعوه الى الله ؛ فقد سلك العلماء فى ذلك الأمر الى عدة آراء ؛ منهـا :-

الأول : أنه الأصل فى كل طاعه يختص بها المسلم لايجوز الاستئجار عليها مثل الإمامه والآذان ، والحج وتعليم القرآن ، والجهاد ، وهو قول عطاء والضحاك بن قيس ، وابى حنيفه ، ومذهب الامام أحمد.

الثاني : أجاز الامام مالك والشافعى أخذ الأجر على هذه الطاعات ،وعلى قراءه القرآن وتعليمه ؛ وقد وافقهم المتأخرون من الفقهاء وقد استندا الى فعل الرسول صلى الله عليه وسلم عندما زوج رجلا على ما معه من القرآن.

وعزوا ذلك الى أن الداعيه ينقطع الى هذا العمل فانه يفرض له ما يكفيه ويسد حاجته وأهله .(٢)

لذا لم يأت الأنبياء عليهم السلام طلبا فى الأجر وذلك لأنهم جميعا جاءوا داعين الى الله باذنه ؛ لا طلبا فى تعاطى الأجر والمثوبه من المدعويين .

والله أعلم .

---

١ - انظر : التفسير الكبير : الرازي : ج١٧ ، ص ٢٢٣

٢ - انظر : الدعوه الى الله : توقيق الواعى : ص ٣١٧ ، ٣١٨

نهايه المحتاج ج٥ / ص ٢٨٩ / المغنى لابن قدامى ج٦ ص ١٣٩، ١٤٠ ، ١٤١.

ونستطيع أن نقول : لأجل هذا الخطأ الناشيء من سوء الفهم ، كان إنكارهم أن يكون الرسول بشراً منهم هذا الإنكار كان يحول بين المرء وإيمانه بالرسالة والرسول . لأجل هذا ركز القرآن الكريم على قمع هذه المفاهيم الخاطئة وبين أن البشر هو الذى يصلح أن يقوم لهداية البشر ، ذلك أن المقصود من بعث الرسل ليس إنزال التعاليم فحسب ، بل من أجل تطبيقها في واقع الحياة ، ومن أجل تقديم قدوة يقتدى بها ، وأن باستطاعة الغير القيام بما يقوم به الرسول .

أما لو كان ملكاً لأنكروا فعله لأن طبيعة الملك غير طبيعة البشر والملائكة لم تُفطر على ما فطر عليه البشر .

ثم ركز القرآن الكريم على أن قدرة الرسول وقوته قدرة عادية كباقي البشر ، وهو لا يملك من الأمور شيئا ، لا يعلم الغيب ولا يستطيع أن يهدى من يشاء ، بل كل ذلك بيد الله سبحانه وتعالى ، وقد خاطب نوح عليه السلام قومه بهذا قائلاً لهم :

" وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٣٤﴾ " (١)

---

١ - سورة هود : الآيات ٣١ - ٣٤

وكما نفى عليه السلام عن نفسه علم الغيب هنا ، يتضح أيضًا في موقف آخر وقف به نوح عليه السلام أمام ربه يدعوه أن ينجي ابنه من الغرق ، وجاءه الرد كما في قوله تعالى :

" قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ " (١)

وأيضا نفى عن نفسه عدم علمه بما كان يفعل قومه وهل كانوا مؤمنين حقًا أم من المنافقين الذين يظهرون إيمانهم ، قال :

" قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ " (٢)

كل هذا يبين أن طبيعة الرسول لابد أن تكون بشرية لما تتضمنه من فوائد بعثته للناس وليتحقق هدف هذه البعثة إليهم .

لأجل هذا كانت طاعة الرسول واجبة لا لكونه أحد أفراد البشر بل لإعتباره قد أوتى الحكم والنبوة من الله تعالى وقد أمرنا بالإيمان به .

حقاً : عجبا لمن ينكر أن يكون النبى بشراً ، ويجعل الإله حجراً .

النبوة إصطفاء لا كسب :

لما كانت النبوة لابد أن تكون بشرية فلابد أن نبين أنه وفق هذا تكون النبوة إصطفاء من الله تعالى لا عن طريق الكسب والمجاهدة

---

١ - سورة هود : الآيتان ٤٦ - ٤٧

٢ - سورة الشعراء : الآيتان ١١٢ - ١١٣

كما في قوله : " الله يصطفي من الملائكه رسلا و من الناس "
و قوله : " ان الله إصطفى آدم و نوحا و آل ابراهيم و آل عمران على العالمين ، ذرية بعضها من بعض و الله سميع عليم "

[فالذي ذهب إليه المسلمون جميعاً أن النبوة خصيصة من الله تعالى لا يبلغ العبد أن يكتسبها] (١) خلاف ما قاله الفلاسفة أنها مكتسبة . (٢)

. . .

١ - تحفة المريد على جوهرة التوحيد : البيجوري : ط الأخيرة : ١٣٥٨ ، ص ٧٩

٢ - جوهرة التوحيد : اللقاني : ص ٧٨ بهامش : تحفة المريد .

المبحث الثامن

عصمة الأنبياء و الشبه الواردة في ذلك

لما كان الرسول هو المثل الأعلى في أمته - و أنه كان المصطفى من بين قومه لتحمل أعباء الرسالة - الذى يجب الإقتداء به في كل أمر من أمور الاعتقاد و الأفعال و الأقوال و الأخلاق ، ذلك أنه يمثل القدوة الحسنة في قومه ، لهذا وجب أن تكون كل هذه الأمور من أقوال و أفعال موافقه لما يحبه الله و يرضاه ، و أن لا تدخلها معصية قط . و لعظم مهمة الرسول في التبليغ إلى الناس وجب أن يكون معصوماً عن المعاصى .

و لكي نعرف ما هى العصمة و مقتضايتها ، و هل هي جائزة في حق الرسول أم واجبة ، كان لابد من تعريف العصمة لنصل إلى مفهومها إن شاء الله .

تعريف العصمة :-

العصمة في اللغة : العصمة في كلام العرب المنع ، و هى مطلق الحفظ ،[1] يقال عصمه الطعام أى منعه من الجوع ، و اعتصمت بالله أى إذا امتنعت بلطفه من المعصية وقوله "قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ "[2]

---

١ - تحفة المريد : على جوهرة التوحيد : البيجووري : ص ٨٤

٢ - سورة هود : جزء من الآيه ٤٣ : انظر : روح المعاني : الألوسي : جـ١٢ ، ص ٦٠

أي لا معصوم إلا المرحوم ، وقيل أي لا مانع . وقوله :
" قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ " (١) أي يمنعني من الماء ،
قال الزجاج : وأصل العصمة : الحبل ، وكل ما أمسك شيئاً فقد عصمه ،
تقول : اذا كفرت فقد زالت العصمة . (٢)

العصمة في الإصطلاح :- من عصمه الله بأن حماه من الوقوع في
الهلاك أو ما يجر إليه ، (٣) وهذا هو معنى العصمة في اصطلاح الشرع ،
ودل عليه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سعيد الخدري
رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ما استخلف
خليفة إلا له بطانتان ، بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه ، وبطانة
تأمره بالشر وتحضه عليه ، والمعصوم من عصم الله) (٤)

وهذه من حق عامة الناس وهي جائزة في حقهم فعلى قدر
ايمان المرء تكون عصمته من المهالك ، هذا إذا كان المقصود بها
" البطانتين " النفس اللوامة المحرضة على الخير والنفس الأمارة بالسوء ،
وقد يقصد بالبطانتين الأولياء والأصفياء ، وعلى كل من الأولياء
والأصفياء إن كانا على خير فإنهم لا يأمرون الا بخير وهم بمثابة النفس
اللوامة ، أما إن كانا على شر فهم كالنفس الأمارة بالسوء . (٥)

---

١ - سورة هود : جزء من الآية ٤٣ : انظر : جامع البيان : الطبري : ج ١٢ ، ص٤٥

٢ - الصحاح : الجوهري : ج٥ ، باب الميم فصل العين ، ص١٩٨٩ ، لسان العرب : إبن منظور : ج ١٢ ، ص ٤٠٣

٣ - فتح الباري : ابن حجر : ج ١١ ، ص ٥٠١

٤ - المرجع السابق : ج١١ ، كتاب القدر ، باب المعصوم من عصم الله ، ص ٥٠١

٥ - انظر المرجع السابق : ج ١٣ ، ص ١٩١ ، كتاب الاحكام .

أما عصمة الأنبياء :- فهي واجبة [1] في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهي : حفظهم من النقائص وتخصيصهم بالكمالات النفسية والنصرة والثبات في الأمور، وإنزال السكينة . [2] وهي في قول إبن حجر تعني عصمتهم بعد النبوة .

وقيل في العصمة :-

حفظ الله للمكلف من الذنب مع إستحالة وقوعه . [3] وهي في هذا المعنى تعني العصمة من الذنوب قبل وبعد البعثة .

والفرق بين التعريفين أنها في الأول تحيل وقوع الذنب بعد البعثة وفي الثاني تحيله مطلقاً قبل البعثة وبعدها .

وعلى كل فإن العصمة تعني في حق الأنبياء تنزيه الله تعالى لهم وحفظهم من الوقوع في الذنوب [فهم معصومون فيما يخبرون به عن الله سبحانه وتعالى ، وفي تبليغ رسالاته باتفاق الأمة ، ولهذا وجب الإيمان بكل ما أوتوه] [4] كما جاء في قوله تعالى :

" ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ " [5]

---

١ - عمده القاري : العيني : ج ٢٣ ، كتاب القدر ، باب المعصوم من عصم الله ، ص ١٥٥
انظر تحفة المريد : البيجووي : ص ٨٤
٢ - فتح الباري : ابن حجر : ج ١١ ، ص ٥١٢
٣ - تحفه المريد على جوهرة التوحيد : البيجووي : ٨٤
٤ - تفسير لا إله إلا أنت : إبن تيميه : تحقيق : عبد العلي حامد : ص ٧٨
٥ - سورة البقره : الآيه ٢٨٥

عصمة الأنبياء عليهم السلام قبل البعثة :-

لما كانت العصمة تنزيه الأنبياء عليهم السلام من الوقوع في الذنوب ، كان من باب أولى عدم وقوعهم في الكبائر منها لهذا قال العلماء : [أنه لا يجوز أن يكون لله تعالى رسول يأتي عليه وقت من الأوقات إلا وهو لله تعالى موحد ، وبه عارف ، ومن كل معبود سواه بريء] (١) وبهذا النص يتضح أن الأنبياء عليهم السلام معصومون من الكبائر قبل النبوة ، وذهب أهل السنة أنهم معصومون قبل النبوة وبعدها من الكبائر والصغائر ، كما جاء : فبيقين ندرى أن الله تعالى عصمهم قبل النبوة من كل ما يؤذون به بعد النبوة (٢) .

استدل ابن حزم على قوله بحديث رواه بسنده عن الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أنه قال : (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما هممت بقبيح مما كان أهل الجاهلية يهمون به إلا مرتين من الدهر كلتاهما يعصمني الله منهما ، قلت لفتى معي من قريش بأعلى مكة في أغنام لها ترعى : أبصر لي غنمي حتى أسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الفتيان ، قال نعم ، فلما خرجت فجئت أدنى دار من دور مكة سمعت غناء وصوت دفوف وزمير فقلت : ما هذا ؟ قالوا : فلان تزوج فلانة لرجل من قريش ، فلهوت بذلك الغناء ، وبذلك الصوت حتى غلبتني عيني فما أيقظني إلا مس الشمس ، فرجعت إلى صاحبي ، فقال : ما فعلت ؟ فأخبرته ، ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك ، ففعل فخرجت

---

١ - روح المعاني : الألوسي : جـ٧ ، ص ١٩٩ ، انظر : جامع البيان الطبري : جـ٧ ، ص٢٤٩

٢ - الفصل في الملل والنحل : ابن حزم الأندلسي : طبعة ١٣٩٥ : بيروت : دار المعرفة جـ ٤ ، ص ٣١

فسمعت مثل ذلك ، فقيل لي مثل ما قيل لي ، فلهوت بما سمعت حتى غلبتني عيني ، فما أيقظني إلا مس الشمس ، فرجعت إلى صاحبي فقال لي : ما فعلت ؟ قلت : ما فعلت شيئاً . فو الله ما هممت بعدها بسوء مما يعمل أهل الجاهلية حتى أكرمني الله بنبوته) (١)

و قد خرجه محقق الكتاب و قال [الحديث رواه البيهقى بسنده عن على ابن أبى طالب .]

و هذا الحديث يدل على أنه عليه السلام لم يذنب قبل النبوة ولا بعدها لا بكبيرة و لا صغيرة ، و كذا لم يؤثر عن نبى الله نوح عليه السلام ذلك فقد كان أبواه مؤمنين (٢) و من كان أبواه مؤمنين منهم استحال عليه أن يقع منه هذا .

أما درجة صحة الحديث المروي فقد خرجه د . عويد المطرفي و قال : [هو صحيح (٣) السند و المتن و من هنا خرج المحققون بهذا أن الأنبياء عليهم الصلاة و السلام معصومون عن الصغائر قبل النبوة] . (٤) كما قال ابن تيمية رحمه الله : [و القول الذى عليه جمهور الناس : اثبات العصمة من الإقرار على الذنوب مطلقا] (٥)

و هذا يعنى أن الأنبياء عليهم السلام معصومون من الكبائر و الصغائر مطلقا قبل البعثه .

---

١ ـ الفصل فى الملل و النحل : ابن حزم : تحقيق محمد ابراهيم نصير : عبد الرحمن عميرة : ط ١ : جده : مكتبة عكاظ : ١٤٠٢ : جـ ٤ ، ص ٥٩
و كذلك ورد فى البداية و النهاية : ابن كثير : جـ ٢ ، ص ٢٨٧

٢ ـ انظر : التفسير الكبير : الفخر الرازى : جـ ٣٠ ، ص ١٤٦

٣ ـ آيات عتاب المصطفى : د . عويد المطرفى : القاهرة : دار الفكر : ص ٣٥ ـ ٤٠

٤ ـ المرجع السابق : ص ٤٠

٥ ـ تفسير لا إله إلا أنت : ابن تيمية : ص ٨٢

عصمة الأنبياء عليهم السلام بعد البعثة :-

قدمنا أن الأنبياء عليهم السلام معصومون قبل البعثة من الكبائر و الصغائر و هذا هو الجائز في حق الأنبياء عليهم السلام ، أما في القول بالعصمة بعد البعثة قالوا بوجوبها إجماعاً . خاصه ما يتعلق منها بأسلوب تبليغ الرسالة كما جاء أن الانبياء صلوات الله عليهم معصومون فيما يخبرون به من الله سبحانه ، و في تبليغ رسالاته باتفاق الأمة ، [1] و لهذا وجب الإيمان بكل ما أوتوه .

أما ما وقع من الأنبياء عليهم السلام على سبيل السهو و النسيان فقد إختلفوا في ذلك كثيراً ، هل هي من المعاصي الكبيرة أم من المعاصي الصغيرة ، و هل تجوز عليهم أو لا تجوز .

و مجمل القول في ذلك أن الذنوب كبيرها و صغيرها تختلف بحسب درجه إيمان العبد كيف ذلك و هي في حق الأنبياء و لا يسعنا القول عنها إلا أن حسنات الأبرار سيئات المقربين . ذلك أن كل نبي صدر منه أمر من الأمور رجع فور صدور الأمر منه و استغفر و تاب الى الله تعالى ، و الله هو التواب الرحيم .

---

١ - تفسير : لا إله إلا أنت : إبن تيميه ، ص ٧٨ . أنظر : أصول الدين للبغدادي : ص ١٦٨ ، الإرشاد : للجويني : مصر : مكتبة الخانجي : ١٣٦٩ ، ص ٣٥٦ ، عصمة الأنبياء : الرازى : الطبعة الأولى : القاهرة : مكتبة الثقافة : ١٤٠٦هـ ، ص ٤٠ ، مجموع الفتاوى : ابن تيميه : جـ ٤ ، ص ٣١٩ الجامع للأحكام القرآن : القرطبى : جـ ١ ، ص ٣٠٨

الشبه الواردة في عصمة نوح عليه السلام :-

سبق القول بأن الأنبياء معصومون من الذنوب كبيرها و صغيرها إلا أنه وردت عدة شبهات تعرض إلى عصمة الأنبياء و أنهم وقعوا في بعض الأمور منها ما هو سهو، و منها ما هو على سبيل النسيان كما حصل مع نوح عليه السلام و كيف تجوّز له ذلك :-

الشبهة الأولى :-

إستمر نوح عليه السلام يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً إلى توحيد الله تعالى، فلم يؤمن معه إلا القليل و اجتهد عليه السلام في دعوته بشتى الأساليب و الطرق ، و هنالك إستجار إلى الله تعالى لمّا كانوا يعارضوه و يؤذونه هو و من آمن معه و قال "رب انصرني بما كذبون" [١] ، و أنه لم يذدهم دعاؤه إلا فرارا و جاءه الرد كما في قوله تعالى : " وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ " [٢] هنالك دعا نوح عليه السلام على قومه بعدما عرف أنه لن يؤمن أحد بعد اليوم :

" وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ " [٣] و بين سبب لجوئه لمثل هذا الدعاء " إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ " [٤]

موطن الشبهة : هذه الآية تبين : ١ ـ أن نوحاً عليه السلام دعا على قومه بما فيهم الأطفال و لا ذنب لهم حتى يهلكوا ، مع إحتمال أن يولد منهم من يؤمن بالله .

---

١ ـ سورة المؤمنون : الآية ٢٦ .
٢ ـ سورة هود : الآية ٣٦
٣ ـ سورة نوح : الآية ٢٦
٤ ـ سورة نوح : الآية ٢٧

٢ - أنه تحكم على الله تعالى في قوله :

" وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا " فيما لا يعلمه .

والذى دعا نوح على الدعاء عليهم أن يخلص نفسه والمؤمنين معه من الأذى الذى لحق بهم من قومهم .

ومما يدل على أنه إرتكب ذنبا أمران :-

أولاً : أنه استغفر لنفسه ولمن آمن معه بعد الدعاء على قومه بقوله :

" رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾ " (١)

ثانياً :- أنه عليه السلام إعتذر عن الشفاعة في يوم القيامة كما صح من حديث الشفاعه ، لأنه دعا على قومه كما فى حديث الشفاعه المروى عن أبي هريرة رضى الله عنه (فيأتون نوحاً فيقولون أيا نوح ، إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ، وقد سماك الله عبداً شكوراً ، إشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ فيقول : إن ربى عز وجل قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وإنه قد كانت لى دعوة دعوتها على قومي ، نفسي نفسي نفسي ، إذهبوا إلى غيرى .) (٢) فإن قيل : إذا كان الله قد غفر له فلماذا يمتنع الرسول عن الشفاعة ، وما امتنع عنها إلا لما بدا منه .

---

١ - سورة نوح : الآيه ٢٨

٢ - فتح البارى : ابن حجر : جـ٦ ، كتاب التفسير : باب ذرية من حملنا مع نوح ، ص ٣٩٥

الجـواب عـن ذلك :-

أولاً : أن نوحا عليـه السـلام لم يدع علـى قومـه إلا بعدما أوحـى إليـــه : " وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ " [(١)] هـذا على قـول قتـادة .

ثانيـاً : فـى قوله " و لا يلدوا إلا فاجراً كفاراً " ليس فيـه تحكـم علـى اللـه و لا إدعـاء علـم الغيـب ، ذلك أن نوحـاً عليـه السـلام عرف هـذا بالنـص و الإستقراء .

أما بالنص أولا : لمـا فـي قوله :"إنـه لـن يؤمـن من قومك إلا من قـد آمـن " فقط أقنطه اللـه من إيمانهم [(٢)].

أمـا الإسـتقراء فإنه عليـه السـلام إستنبط ذلك من خـلال المدة التـى عاشهـا بينهـم و عرف أحوالهم [(٣)].

ثانياً : قيل أن اللـه سبحانه و تعالى أعقم أصـلاب ر جالهم و أرحام نسائهم قبـل الطوفان بأربعيـن سنة فلم يكن آنـذاك أطفـال ، و يـدل عليـه أنهـم عنـدما ذهبوا إلـى نـوح يشكون إليـه قلـه المطر و الرزق و البنين ، طـلب منهـم عليـه السـلام أن يستغفـروا ربهـم كمـا فـى قولـه : " فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾ " [(٤)] فجعـل نـوح عليه السـلام الإستغفار عـلاج لما يشكون إليـه من قلة الرزق و الأموال و الأولاد .

---

١ - سورة هود : جزء من الآيه ٣٦ ، انظر : جامع البيان الطبرى : ج٢٩ ، ص١٠١
روح المعانى : الألوسـى : ج ٢٩ ، ص ٩٩

٢ - حاشية شيخزاده على تفسير القاضي البيضاوى ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل مصـر : دار الكتب العربية : ١٣٠٦ : ج ٢ ، ص ٤٣

٣ - انظر المرجع السابق ج ٤ ، ص ٥٥٢

٤ - سـورة نـوح : الآيات : ١٠ - ١٢

الى جانب ما روى أن الرجل كان يأتي بابنه اليه ، و يقول : احذر هذا فإنه كذاب ، وإن أبي أوصاني بمثل هذه الوصية ، فيموت الكبير و يبقى الصغير على هذا . (١)

أما ما كان من دعاء نوح و طلبه المغفرة فمن باب أنه ترك الأولى، و هو أن يتم صبره عليهم . أو بسبب الإنتقام منهم لأنهم تمادوا في تعذيبه لما فيه من طلب حفظ النفس . (٢)

و لما كان المقام الأعلى أجل من أن يقدره أحد حق قدره قال: "اغفر لي" فإنه لا يسعني و إن كنت معصوماً إلا حلمك و عفوك و رحمتك (٣)، و هو هنا أظهر بتواضعه عظمة الله تعالى .

أما إعتذار نوح عليه السلام عن الشفاعة فمن أمرين :ـ

<u>أولهما</u> : فكما قيل سابقا أنه ترك الأولى بأن يترك أمر قومه إلى الله تعالى إن شاء أهلكهم ، و إن شاء أبقاهم . و ترك الأولى ليس ذنباً، ومع هذا استغفر منه نوح لسمو إيمانه، و خشيته لله تعالى ، و خوفاً من أن تكون دعوته على قومه و إجابة الله تعالى له بأن أهلكهم هي الدعوة المجابة له و هو بهذا استوفى دعوته المجابة لقوله عليه السلام ،(لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها و أريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي) (٤)

---

١ ـ انظر : التفسير الكبير : الرازى : جـ٢٩، ص١٤٦، الدر المنثور : السيوطي : بيروت : دار المعرفة، جـ ٤ ، ص ٣٢٧

٢ ـ النظر المرجع السابق

٣ ـ نظم الدرر : البقاعى : جـ ٢٩ ، ص ٤٥٩

٤ ـ فتح البارى : إبن حجر : جـ١١ : كتاب الدعوات : ص ٩٦

أما ثانياً : نهي الله تعالى له أن يسأل ما ليس له به علم فخشي أن تكون شفاعته لأهل الموقف من ذلك . (١)

وهذا جواب عن الشبهة الثانية وهى طلبه من الله تعالى أن ينجي ابنه من الغرق فطلب منه المولى أن لا يسأل ما ليس له به علم . فنوح عليه السلام هنا خشي أن يسأل الله ما ليس له به علم .

ومنها ما يريد الله به إكرام محمد صلى الله عليه وسلم بهذه الشفاعة ذلك أن عيسى عليه السلام لما طلبوا منه الشفاعة قال إذهبوا إلى من غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . وتأخر عيسى عليه السلام عن المقام المحمود الذى خص به محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذا من فضائل عيسى عليه السلام .

[فعلم بهذا أن تأخرهم عن الشفاعة لم يكن لنقص درجاتهم لما كانوا عليه ، بل لما علموه من عظمة المقام المحمود الذى يستدعي من كمال مغفرة الله للعبد ، وكمال عبودية العبد لله ما اختص به من غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .] (٢)

وعلى هذا يقاس كل ما كان فى حق الأنبياء عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام .

---

١ - انظر : المرجع السابق : جـ١١ ، كتاب الرقاق : باب صفة الجنة والنار : ص ٤٣٤

٢ - منهاج السنة النبوية : ابن تيمية : تحقيق محمد رشاد سالم : الطبعة الأولى : الرياض : جامعة الامام محمد بن سعود : ١٤٠٦ ، ص ٤٢٥

الشبهة الثانية :-

أن نوحاً عليه السلام سأل ربه نجاة ابنه من الغرق قال تعالى :

" وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ " (١)

فمضمون هذه الآيات يفيد بأنه عليه السلام إرتكب ذنبا من وجهين :-

الوجه الأول : إن نوحا عليه السلام صدر منه كذباً هنا و ذلك عندما قال : " ان ابني من أهلي " فرد عليه تعالى " انه ليس من أهلك " فيكون قول نوح عليه السلام هنا كذباً ، و الكذب معصيةً .

الجواب :-

أولا : إختلف العلماء في ابن نوح عليه السلام هل كان إبنه حقيقة أم لا. على ثلاث أقوال :

الأول : أنه إبنه على الحقيقة (٢) لأن الله تعالى نص على ذلك كما في قوله " و نادى نوح ابنه " و نص عليه قول نوح عليه السلام " يابُني " روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : هو ابنه غير أنه خالفه في النية و العمل . (٣)

---

١ - سورة هود : الآيات ٤٥ - ٤٧

٢ - الكشاف : الزمخشري : جـ٢ ، ص٢٧٢ : قصص الانبياء : النجار : ص ٣٨

٣ - الدر المنثور : السيوطي : جـ٤ ، ص٣٣٤ ، تفسير القرآن العظيم : إبن كثير : جـ٢ ، ص٤٤٨

وقد عورض هذا القول بأنه ليس إبنه في الحقيقة ولكن كان ربيباً له، وذلك لأنهم استبعدوا أن يكون للرسول ابن كافر .

والرد على هذا : أن كفر ابنه لا يمنع أن يكون ابنه على الحقيقة ذلك أن والد إبراهيم عليه السلام كان كافراً، وكذا أبو طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرغم من كل الجهد الذى بذله لحماية الرسول والدفاع عنه ضد كفار مكه، ثم إختلف القائلون بهذا القول أنه عليه السلام لما قال : "رَب لا تَذَرْ عَلى الأَرض مِن الكافِرينَ دَيّاراً" فكيف نادى نوح ابنه وهو يعلم كفره .

الجواب :

١ - إن ابنه كان منافقاً يظهر إيمانه فلذ لك ناداه نوح عليه السلام ولولا هذا لما أحب نجاته .

٢ - أن نوحا عليه السلام كان يعلم بكفر ابنه ولكن عندما ناداه يا بني إركب معنا ولا تكن مع الكافرين، كأنه يرجو منه أن يؤمن في اللحظة الأخيرة، وهذا هو المنتقى من القول لأمور :-

أ - إن المدّه التى دعا نوح قومه كافيةٌ لأن تبين له المشرك من المؤمن من المنافق .

ب - لجوء إبن نوح عليه السلام إلى الجبل، وقول أبيه له " لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم " يرجح مجاهرة ابنه بالكفر .

جـ - قوله عليه السلام " لا تكن مع الكافرين " يوضح أن ابنه كان مجاهراً بكفره .

د - دعاء نوح عليه السلام " رب إن ابنى من أهلى " ولم يقل من المؤمنين .

٣ ـ أن شفقة الأبوة هي التي حملته على ذلك النداء لما سبق في قوله " إلا من سبق عليه القول " فكان هذا قول مجمل ، و ظن أنه ممن يجوز عليه أن يكون داخلاً فيه ، [1]

و الثاني : أنه ليس بابنه و أنه ابن زوجته على قراءة رويت عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه " و نادى نوح ابنه " و هي قراءه شاذة [2] بلغة طيء ، و على هذا لا يصح أن يكون إبن زوجته ، بل هو إبنه على الحقيقة .

الثالث : قالوا إنه ولد على فراشه لغير رشده ، و هذا قول لا يجوز في حق الأنبياء فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه (إن نساء الأنبياء لا يزنين) ، و عنه قوله (ما بغت إمرأه لنبي قط) [3] وقد أسندوا قولهم هذا أولا إلى قوله تعالى : " فخانتاهما " من قوله " ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا " [4] وقد أجمع المفسرون أن الخيانة كانت خيانة في الدين و الشرك لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : [ما زنتا ، أما خيانه امرأه نوح فكانت تقول للناس انه مجنون ، و أما خيانة امرأه لوط فكانت تدل على الضيف ، فتلك خيانتها] ، [5] وقد ورد في شأنها أطلقت لسانها بالسخرية من نوح عليه السلام خاصة عندما شرع في صنع الفلك ، [6] و في هذا

---

١ ـ انظر : الدر المنثور : السيوطي : ج٤ ، ص٣٣٤ . التفسير الكبير : الرازي : ج١٧ ، ص٢٤٠ الجامع لأحكام القرآن : ج٩ ، ص٣٨ ، روح المعاني : الألوسي : ج١٢ ، ص ٥٨

٢ ـ الدر المنثور : السيوطي : ج ٤ ، ص ٣٣٥

٣ ـ الجامع لأحكام القرآن : القرطبي : ج ١٨ ، ص ٢٠٢

٤ ـ سورة التحريم : جزء من الآية ١٠

٥ ـ الدر المنثور : السيوطي : ج٦ ، ص٢٤٥ ، جامع البيان : الطبري : ج٢٨ ، ص ١٧٠ .

٦ ـ إمرأتان في الجنة ، و امرأتان في النار : محمد علي قطب ، ص ٤٧

رد على من زعم أن خيانه إمرأه نوح عليه السلام أنها بغت . (١)

فدلاله قول ابن عباس رضى الله عنهما صريحة ، و إجماع المفسرين على أنها خيانةٌ في الدين ، و يسند إلى هذا أيضا تحريم الزواج من نساء النبي صلى الله عليه و سلم بعده ، لأن ذلك يؤذى النبي صلى الله عليه و سلم كما في قوله تعالى " وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ (٢)

و في الآية إن سؤال زوجات الرسول من وراء حجاب يؤذيه ، فمن باب أولى أن يؤذيه تزويجهن من بعده و كان هذا عند الله عظيماً ، فكيف إذا كان ذلك بدون سؤال و لا زواج . فهذا عند الله عظيم . و هذا يبطل ما روى أن خيانه زوج نوح عليه السلام كانت بالفراش و هو مستبعد ، لأن الله سبحانه و تعالى طهر الأنبياء عليهم السلام من ذلك، و عما هو دونه من نقص ، فحاشاهم أن يشاز إليهم بمثل هذا و هم صفوة خلق الله . (٣)

و الدليل القاطع على فساد هذا القول قوله تعالى :

" ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ " (٤) و قوله تعالى " ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ " (٥)

---

١ ـ انظر : دعوات الأنبياء و الصالحين : محمد الدوادى : ص ٧٤

٢ ـ سورة الأحزاب : جزء من الآيه ٥٣

٣ ـ انظر : أضواء البيان : الشنقيطي : بيروت : عالم الكتب : جـ٨، ص ٣٨١ ، أنظر : قصص الأنبياء : النجار : ص ٤٣

٤ ـ سورة النور : جزء من الآية ٢٦

٥ ـ سورة النور : الآية ٣

وكذلك ما ورد فى براءه السيدة عائشة رضي الله عنها مما رميت به زوراً وبهتاناً فى حادثة الإفك " إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ " (١) وقد استدل على هذا ابن كثير فى تفسيره . بقوله (لأن نساء الأنبياء معصومات عن الوقوع فى الفاحشه لحرمة الأنبياء. (٢)

وقد عارض هذا الدليل الأستاذ : محمد الدوادى في كتابه دعوات الأنبياء والصالحين قائلا [أما أنا فلا أحيد عما أرى فيه صحه المعتقد فأقول : ان امرأه نوح خانت في الفراش لا في الدين بدليل صريح الآية : " إنه ليس من أهلك "، وبدليل الإخبار بالمصدر "أنه عمل غير صالح " وبدليل " ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأه نوح و امرأه لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما "] (٣)

وهو هنا يخطئ ابن كثير فيما ذهب إليه وغيره من المفسرين، ولا يجعل قولهم حجة حيث أنه لا وجه للقياس بين امرأه نوح والطاهرة عائشه . ويمكن القول أنه لا قياس بينهما في شيء إلا أنه لا يجوز لامرأة نبي أن تكون بهذا الخلق لما فيه من تنفير الناس من الرسول .

والله حفظ نساء الأنبياء من الزنا حتى لا يعود ذلك بالإنتقاص، والإخلال بمهمتهم فى دعوة الناس إلى الله . (٤)

وعلى هذا فإن ابن نوح إبنه على الحقيقة وهو بهذا لم يكذب وحاشا لنبى أن يقع في الكذب .

---

١ ـ سورة النور : جزء من الآية ١١.

٢ ـ تفسير القرآن العظيم : ابن كثير :ج٤ ، ص ٣٩٣ ،انظر ج٣ ، ص ٢٧٢ نفس المرجع.

٣ ـ دعوات الأنبياء والصالحين : محمد الدوادى : ص ٧٤

٤ ـ انظر : عصمة الأنبياء : الرازى : ص ٢٦٣ ، قصص الأنبياء : النجار : ص ٤٥

ثانياً : أسندوا قولهم أنه وُلِدَ على غير رشده لقوله : " انه ليس من أهلك " و إلى قوله : " إنه عمل غير صالح " .

و مما تقدم يتضح أن المنادى في قوله " و نادى نوح ابنه " أنه ابنه على الحقيقة و على هذا فقوله تعالى " انه ليس من أهلك أن المقصود بالأهلية هنا هي أهلية الدين ، و قد إنقطعت هذه الأهلية بكفر ابنه إلا إن حقيقة بنوته له باقية ، و هذه الآية تبين أن العبرة بأهلية الدين لا بقرابة النسب . و لما كانت أهلية القربى ثابتة ، انتفت قرابة الدين بأبلغ الألفاظ "إنه ليس من أهلك" .[1] و قيل لسعيد ابن جبير يقول نوح " ان ابنى من أهلى " أكان من أهله ؟ أكان ابنه ؟ فسبح طويلاً ثم قال : لا إله إلا الله : يحدث الله محمداً صلى الله عليه و سلم أنه ابنه ، و نقول انه ليس إبنه ! نعم كان ابنه ، و لكن كان مخالفاً في النية و العمل ، و الدين و لهذا قال تعالى : " انه ليس من أهلك " [2].

أما ما قيل أنه عمل غير صالح : فيها أقوال :

١: قالوا أنه وردت قراءة عن ابن عباس بفتح لام عَمل أى أنه عَمَلَ عملاً غير صالح و ذلك بكفره . و هذا رد على من قال أنه ليس ابنه و لم يصح شهرة سماع ذلك عن النبى صلى الله عليه و سلم . [3]

---

١ ـ انظر : التفسير الكبير : الرازي : جـ ١٨ : ص ٣

٢ ـ الجامع لأحكام القرآن : القرطبي : جـ ٩ ، ص ٤٦

٣ ـ انظر : جامع البيان : الطبري : جـ١٢ : ص٥٣ ، الدر المنثور : السيوطي : جـ٤ :ص٣٣٦
عصمه الأنبياء : الرازي : ص ٥٧
معارج الصعود إلى تفسير سوره هود : الشنقيطي : الطبعة الأولى : دار المجتمع : ١٤٠٨ : ص ١٢٦

٢- و قيل هي عملٌ بالتنوين ، بلفظ المصدر و هذا ما عليه قُرّاء الأمصار و هو ما أجمع عليه المفسرون و هو على معنى أنك بسؤالك إياي نجاة ابنك من الغرق عملٌ غير صالح منك [لأنه مسألة منك إلى أن لأفعل ما قد تقدم مني القول بأني أفعله في إجابتي مسألتك إياي فعله ، فذلك هو العمل غير الصالح .][1] و هذا ما كان من ذنب نوح عليه السلام .

٣ - و قيل عمل غير صالح أي أنه ابن زنا و قد تقدم بيان ذلك في كون الخيانة كانت خيانة دينية : ذلك أن الجواب " انه عمل غير صالح " يحمل المقياس و المبدأ الصحيح عند الله أحكم الحاكمين ، ذلك أن المبدأ و المقياس الذى عليه الثواب و العقاب هو العمل و ليس أي شيء آخر ، مهما كانت مكانة المتوسل و الشاكي و الداعي عند الله و مهما كان رسولاً نبياً و له المكانة العظمى عند الله تعالى [فالعمل و العمل فقط هو مناط القبول و الرفض و الثواب و العقاب عند الله سبحانه و تعالى][2]

فبنوة نوح عليه السلام كانت حقيقية و أنه لم يكن منه عليه السلام كذباً ، بل حاشاه، كان صادقاً في قوله . و الله أعلم .

---

١ - جامع البيان : الطبرى : جـ ١٢ ، ص ٥٣

٢ - أضواء على التصوف : د . طلعت غنام : القاهره : عالم الكتب : ١٩٧٩ م : ص ١٤

الوجه الثاني من الشبهة الثانية :-

و هي مخالفة نوح عليه السلام ربه بأن سأله نجاة ابنه و هو يعلم حقيقة ابنه و ما هو عليه من الكفر كما في قوله :

" قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ " (١)

في هذه الآيات ما يفيد صدور ذنب و معصية من نوح عليه السلام بأنه نهي عن سؤال ربه نجاة ابنه المتضمن في قوله " رب ان ابني من أهلي " و هو معصية من عدة أمور :-

أولاً : أنه نهي عن هذا في قوله " و لا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون " فيكون طلبه بنجاة ابنه الكافر معصية ٠

ثانياً : - قوله " فلا تسألن ما ليس لك به علم " و يدل على أنه سأل بغير علم و السؤال بغير العلم ذنب ٠

ثالثاً : - أن نوحا عليه السلام اعترف بإقدامه على الذنب و ذلك بقوله " إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم ، و إلا تغفر لي و ترحمني أكن من الخاسرين " و اعترافه يدل على أنه مذنب ٠

الجواب عن هذه الشبهة :

أولا : ان سؤال نوح عليه السلام ربه بأن ينجي ابنه ليس بمعصية إنما هو من قبيل مخالفة الأولى أو الخطأ في الإجتهاد ٠

---

١ - سورة هود : الآيتان ٤٦ - ٤٧

أمـا ما كان مـن قبيـل مخالفة الأولـى :فذلك أن اللـه تعهـد لنـوح عليـه السـلام أن ينجـى المؤمنيـن، ولـما كان ابنـه مـن غيرهـم وطلب هـذا من اللـه تعالـى ، فلمـا كان الجواب أنـه ليس من أهلـه ، وأنـه عمل غير صالح كان هـذا الجـواب أن ترك السـؤال كان أولـى ، وذكر أمرا كلياً يندرج فيـه، فقال : " فلا تسألن " بأي نـوع مـن الأسـئله ماليس لك به علـم لأنك لا تعلـم أصـواب السـؤال فيـه أم خطـأ . (١)

وهذا يبين ما يجب أن يكون عليه أولـو القربى من التحقيق والانتظار ، في صدق الخبر وما كان من إعتـراف نـوح عليـه السـلام بذنبـه بقوله " إنى أعوذ بك " فهـو يعنـي بهـذا أنـه لـن يعـود لمـثل هـذا السـؤال الذي لا علـم لـه به مرة أخـرى. وهنـا إعـلان توبـة مـن نـوح عليـه السـلام إلـى اللـه تعالـى، وهـو بهـذا يـؤدى حقيقـةَ التوبـة ـ بالعـزم علـى التـرك بقوله " إنى أعوذ بك أن أسألك ما ليـس لـي بـه علمُ . (٢)

والثاني / النـدم علي ما كان بقولـه وإلا تغفـر لـي وترحمني أكـن مـن الخاسرين (٢) وهـذا تأدب منـه عليـه السلام بأن بادر بالإعتـراف بالخطأ وطلب المغفـرة من اللـه تعالـي .

ومـمـا سبق يتضح أنها لا تكون ذنبا كما هـو المعروف إنما هي مـن باب مدى رفعة منزلة الأنبيـاء عليهم السـلام عند اللـه تعالى ، وأن حسـنات الأبرار هي سيئات المقربين .

---

١ ـ انظر : نظم الدرر : البقاعي : جـ ٩ ، ص ٢٩٧

٢ ـ سـورة هـود : آيـة ٤٧

وهكذا تمضى سنة الحق عز وجل بنصر أنبيائه عليهم السلام وكشف شبه الملحدين وردها . وتنطلق كلمه الحق مدويه مجلجله لنصر الله تعالى للمؤمنين بقوله " ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ " (١)

وهكذا تكون العاقبة لمن كان من حزب الله " ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ " (٢) ذلك الوعد الذى وعد به الله عز وجل من سار على هديه واتبع سنة نبيه . فما وهن من عذب في سبيل الله ولا خسر وإن ذاق وبال العذاب في الدنيا ، كان حقاً على أن ينصره الله في الآخرة ويرزقه الخلد وأعلى درجات النعيم . فإذا ما كان هذا أجر العاملين المؤمنين عامة فكيف به لمن هم أعظم أجرا عند الله تعالى وأعظم رفعة ومنزلة وقد قال بهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يضاعف لنا البلاء كما يضاعف لنا الأجر .)

فرسل الله عليهم الصلاة والسلام وجدوا من الهون مالم يجده أحد من العالمين عذبوا واتهموا بالجنون والسفه والسحر وما كان هذا إلا لأنهم بدعوتهم يريدون أن ينزعوا الحاكمية والسلطان من بين أيدى الطغاة ، ويفردوا الله سبحانه وتعالى بالملك والخلق ، لأجل هذا كان الأمر شديد الوقع على الطغاة ولم يرضوا به وكان منهم ذلك الإعراض والإعتراض الشديد على أنبياء الله عز وجل، ما يمثلون بذلك النزاع كل قوى الشر رغبة منهم في التقليل من شأن الأنبياء وإتهامهم بالسوء ولكن الله بالغ أمره ولو كره الكافرون وكان حقا على الله نصر المؤمنين .

---

١ - سورة الروم : الآية ٤٧

٢ - سورة يونس : الآية ٦٢

الفصل الثالث

الإيمان باليوم الآخر

وفيه تمهيد ومبحثان :-

التمهيـــــــــد

الإيمـــان باليـــوم الآخـــر

لمـا كانت عقيـدة التوحيـد هـي العقيـدة التي دعـا إليهـا جميـع الأنبيـاء عليهـم السـلام ، وما من نبـى جاء إلـى قومـه إلا ليقول لهـم " أنه لا إلـه إلا أنـا فاعبـدون " ، وقوله " إعبدوا اللـه ما لكم من إلـه غيره " ومـن ضمـن القضايا التـى دعـوا إليهـا قضيـه الإيمـان باليـوم الآخـر ، وما فيه مـن بعث وجـزاء ، وأن الساعة آتيـة لا ريب فيهـا ، كما فـى قوله تعالى :

" إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ " (١)

ولقـد ذكـر هـذا جليـا واضحـا فـي قصـة نـوح عليـه السـلام ، ذلـك أن الإيمـان باليـوم الآخـر هـو صمـام الأمـان فـى هـذه الأرض ، وهـو الضابـط الوثيـق الـذي يحـرس الأخـلاق ، والحـارس الأميـن الـذى يضمن تنفيـذ شـرع اللـه فـي هـذه الدنيـا ولا يكـون ذلك إلا بصـرف النفس عن الماديـة الزائفـة ، وإعمالهـا علـى طاعـة اللـه تعالـى ، لهـذا كان من المهـم أن يبيـن كـل رسـول عـن كُنه هـذا اليـوم للعمـل لـه . (٢)

وقـد ورد ذكـر البعث فـي قصـة نـوح عليـه السـلام فـي مواطـن عديـدة منهـا كما فـى قوله تعالـى :

" إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ " (٣)

---

١ - سـورة الأنبيـاء : الآيـة ٥٩

٢ - العقيدة وأثرها فى بناء الجيل : عبد الله عزام : ط٣ : عمان : مكتبة الأقصى : ١٤٠٠ : ص٣٨

٣ - سـورة نـوح : الآيـة ١

وقال تعالى : " لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ " [١] وهذا الإنذار من عذاب الله أي عذاب يوم القيامة ، إذا لقوا الله تعالى وهم مشركون به " [٢] ولقد قال بهذا كثير من المفسرين ، [٣] على أن التقدير هو التخويف بيوم القيامه ، وقالوا قد يكون التخويف من يوم الطوفان :

وجاء في قوله تعالى :
" وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ " [٤] وقد عبر عن هذا اليوم بالأليم وذلك [أنه لما حصل الألم العظيم في ذلك اليوم، أسند ذلك الألم إلى اليوم] [٥] الواقع يوم الآخرة .

المبحث الأول : الإيمان بالبعث :

جاء الحديث عن اليوم الآخر مفصلاً بعض الشيء في قصة نوح عليه السلام ، فقد جاء ذكر البعث : تلك القضية التي جاء بها كل رسول يدعوا

---

١ - سورة الأعراف : الآية ٥٩

٢ - انظر : تفسير القرآن العظيم : ابن كثير : جـ ٢ ، ص ٢٢٣

٣ - انظر : جامع البيان : الطبري : جـ٨، ص٢١٣ ، ارشاد العقل السليم : أبو السعود : جـ٢ ، ص ٢٣٥ ، التفسير الكبير : الرازي : جـ١٤، ص١٥٥ : روح المعاني : الألوسي : جـ٨ ، ص١٥٠، فتح القدير : الشوكاني : جـ٣ ، ص٢١٦

٤ - سورة هود : الآيات ٢٥ ـ ٢٦

٥ - انظر : تفسير القرآن العظيم : ابن كثير : جـ٢، ص٢٤٢، التفسير الكبير : الرازي : جـ١٧ ، ص ٢١٩

قومه الى عباده الله وحده لا شريك له ، ذلك أن جزاء أعمالهم لن يكون جزاءا دنيويا و يقضى الأمر ، بل يسند ذلك الى يوم يجازى الله فيه من أحسن فله الحسنى و زيادة و من أساء فعليها ، و قد جاء ذكر ذلك كما فى قوله تعالى " وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ " (١)

قال المفسرون : أن الملاقاة هنا : هى ما يكون من رجعة بعد الموت و أنهم ملاقوا الله من أجل الفصل و الحساب ، و هو هنا عليه السلام يجادل قومه فى شأن ضعفاء قومه : قائلاً إن هؤلاء الذين تسألوني طردهم صائرون إلى الله سائلهم عما كانوا في الدنيا يعملون ، لا عن شرفهم و لا حسبهم . (٢)

ما جاء في تصوير البعث و كيف يكون :-

جاء فى قوله تعالى :

" وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ " (٣)

حيث صور لهم نوح عليه السلام كيفية نشأتهم كإنبات النبات ، و أن القادر على هذا الإيجاد ، قادر على الإعادة مرة أخرى من باب أولى ، و قد أكد هذا الإخراج مرة أخرى من القبور بقوله : إخراجاً و كان هذا التأكيد [بالمفعول المطلق لرد إنكارهم البعث .] (٤)

---

١ - سورة هود : الآية ٢٩

٢ - جامع البيان : الطبري : ج١٢ ، ص٢٩ : فتح البارى : ابن حجر : ج١ ، كتاب الإيمان ص ١١٨

٣ - سورة نوح : الآيات : ١٧ - ١٨

٤ - التحرير و التنوير : عاشور : ج ٢٩ ، ص ٢٠٥

وفي هذه الآية أمور :-

١ - تكلم فيها من بدء النشأة الأولى وشبه ذلك بالإنبات لوقوع التصوير الحسي في هذا الأمر لكونها وكونه مشاهدة حسية فلا مجال لإنكاره .

٢ - تكلم عن الموت وحقيقته بقوله " ثم يعيدكم فيها " .

٣ - تكلم عن البعث بعد ما صار الإنسان رفاة في الأرض .

وكان لتوجيه نوح عليه السلام أبصار قومه إلى حقيقة الإنشاء وتصويرها بالإنبات، ومن ثم تصوير اعادتهم مرة أخرى ، ذلك ليوجه أنظار قومه الى هذه الحقيقة [لتستشعر قلوبهم يد الله وهي تنبتهم من هذه الأرض نباتاً ، وهي تعيدهم فيها مرة أخرى، ثم تتوقع النشأة الأخرى وتحسب حسابها ، وهي كائنة بهذا اليسر وبهذه البساطة ، بساطة البداهة التى لا تقبل جدلاً .] (١)

وجاء مؤكدا لهذا ذكر الرجعة بلفظها الصريح في القصة كما فى قوله تعالى : " وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ " (٢)

وفي هذه الآية بيان نهاية الوعيد : أي هو إلهكم الذي خلقكم ورباكم ويملك التصرف في ذواتكم وفي ضعفائكم قبل الموت وعند الموت ، وبعد الموت مرجعكم إليه ، وهذا يفيد نهاية التحذير . (٣)

لاشك أن اراده الله المقصوده فى الآية هى اراده كونية ؛ حيث أراد كفره ولم يرضه، وأراد ايمان المؤمن وأحبه ورضيه .

---

١ - فى ظلال القران : سيد قطب : جـ ٦ ، ص ٣٧١٥

٢ - سورة هود : الآية ٣٤

٣ - التفسير الكبير : الرازى : جـ ١٧ ، ص ٢٢٨

المبحث الثاني : الإيمان بالحساب :ـ

إن من عدل الله عز و جل و رحمته بعث إلى عباده رسلا مبشرين و منذرين ، مبشرين بما أعده الله سبحانه لعباده المؤمنين من نعيم و رضوان ، و منذرين لما أعده للكافرين من جحيم و خسران ، و أن الله يجازي كل إنسان على ما كان من عمل .

لقد بين نوح عليه السلام إلى قومه أن هناك حساب حيث يجازى كل منهم على حسب عمله قال تعالى :

" قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ لَوۡ تَشۡعُرُونَ ﴿١١٣﴾ " (١) بين لهم أن قضية الحساب خالصة لله تعالى كل بما جنت يداه في هذه الدنيا و في هذا بيان أن إختصاص الرسول هو التبليغ فقط ، أما الحساب فهو فعل الله تعالى .

ما جاء في ذكر النار :ـ

لقد أنذر نوح عليه السلام قومه كما في قوله :

" فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ " (٢)

و المقصود بالعذاب المقيم أي : عذاب دائم مستمر أبداً ، (٣) و مما يوضح هذا قوله تعالى :

" مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا ﴿٢٥﴾ " (٤)

ففي ذلك إخبار لهم بالقيامة . (٥) و قيل هذا مآلهم في الحياة

---

١ ـ سورة الشعراء : الآيات ١١١ ـ ١١٣
٢ ـ سورة هود : الآية ٣٩
٣ ـ انظر :تفسير القرآن العظيم : جـ٢ ، ص٤٤٥ ، نظم الدرر : البقاعي : جـ١٢ ، ص٢٨٥
٤ ـ سورة نوح : الآية ٢٥
٥ ـ الفتاوى الكبرى : ابن تيمية : جـ٤ ، ص ٢٦٦

البرزخيه ، لقوله فأدخلوا نارا وهي نار البرزخ على أن المراد بذلك عذاب القبر ، (١) وإثبات ذلك من وجهين :-

١ - أن الفاء في قوله " فأدخلوا " تدل على أنه حصلت تلك الحالة - من الإدخال في النار - عقيب الإغراق ، فلا يمكن حملها على عذاب الآخرة وإلا بطلت دلالة هذه الفاء .

٢ - أنه قال فأدخلوا على سبيل الإخبار عن الماضي ، وهذا إنما يصدق لو وقع ذلك . (٢) وقال بذلك ابن كثير بقوله [نُقلوا من تيار البحار إلى حرارة النار] ، (٣) وإن كان المقصود بأنه عذاب البرزخ .

فان عذاب البرزخ على هذا التقدير أول عذاب الآخرة ومن كان في برزخه في النار فلا ينفى عنهم عذاب جهنم ، حيث يجوز أن يراد بها عذاب جهنم في الآخرة والله أعلم . (٤)

وبناء على ما سبق ، فكما جاءت دعوت نوح عليه السلام مبينة للأصول العامة في عقيدة التوحيد والنبوة ، فقد جاءت مبينة للأصول العامة لليوم الآخر وما يكون فيه من حياة برزخية وبعث ، ورجوع وحساب ، وعذاب .

وبهذا ابتدأت دعوته عليه السلام بأن دعاهم إلى عبادة الله

---

١ - روح المعاني : الألوسي : ج ٢٩ ، ص ٩٨

٢ - انظر : التفسير الكبير : الرازي ج٣٠ ، ص١٣٥ ، في ظلال القرآن : سيد قطب ج٦ ، ص٣٧١٦

٣ - تفسير القرآن العظيم : ابن كثير ج ٤ ، ص ٤٢٧

٤ - نظم الدرر : البقاعي : ج ٢٠ ، ص ٤٥٤

تعالى و من ثم أنذر بالعذاب الأليم إن هم عصوه ، و في ذلك إشارة إلى البعث ، و بعدها أقام عليهم الأدلة الكونية في الآفاق على أن هذا اليوم حق واقع و كل نفس حينذاك بما كسبت رهينة ٠

و من هنا يمكننا القول : بأن أصول قضايا العقيدة في قصة نوح عليه السلام ، هي أصول القضايا التي جاء بها محمد صلى الله عليه و سلم، و الأنبياء جميعاً ، و كذا مناهج الدعوة ، إلا أن نوحاً عليه السلام كانت له سابقة في الدعوة إليها و كل نبي يأتي بما يطيق قومه و أن الله سبحانه و تعالى بعباده رؤوف رحيم ٠

. . .

الفصل الرابع

بقية مسائل العقيدة

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث

التمهيد : وفيه الحديث عن بقية أركان الإيمان .

المبحث الأول : ما كان من دعاء نوح عليه السلام .

المبحث الثاني : ما كان من استغفار نوح عليه السلام .

المبحث الثالث : حكم التماثيل والصور .

. . .

تمهيـــــــــد

لما كانت دعوة الأنبياء جميعا عليهم الصلاة والسلام واحـده فى جوهرها العقدي وتدعو الى نصوص عقدية واحدة ، فقد جاءت جميعها تدعو الى أركان الايمان . الا أن دعـوة نوح عليه السلام لما كانت أولى الدعوات ، فقد ركز عليه السلام فى دعوتـــه الى عـدة أمـور :-

أولا : عقيدة الايمان بالله تعالى لأنها القضيه الأولى والكبري فى دعوتة عليه السلام .

ثانيا : الايمان بالنبوة واثبات رسالته عليه السلام ورد الشبه الموجه لها .

ثالثا : الايمان باليوم الآخر وما فيه من اثبات للبعث والمعاد .

ذلك أنهم ان آمنوا بالله تعالى وأطاعوه واتقوا يوما يرجعون فيه الى الله حصل بذلك لهم الايمان ، ومن ثم كان الاخبار بباقى أركـان الايمان .

رابعا : الايمـان بالقضاء والقـدر :-

أمـا الموضوعات التى تناولتها قصـه نوح عليه السلام فى القضاء والقدر أشارت اليها الآيات لما فى سابق علم الله تعالى وتقديره ؛ كما ورد ذكـر ذلك فى قوله تعالى "فالتقى الماء على أمـر قد قدر " (١) أي التقى ماء السماء وماء الأرض على حال قد قـدرها الله فى الأزل وقضاها باهـلاك المكذبين غـرقا .

أمـا ما جاء فى قوله تعالى " حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا أحمل فيها مـــن كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول ...." (٢)

فالمقصود من قوله (الا من سبق عليه القول) ايمان حكمنا بهلاكهم فى الأزل .
وهذه أيضا تدل على سابق علم الله تعالى وقضائه سبحانه ؛ وهذا ما تحدثت عنه الآيـــه الكريمه (وغيض الماء وقضى الأمـر).(٣)

أمـا ما تناولته الآية الثالثة فى قوله تعالى " قال سأوي الى جبل يعصمنى من المـاء قال لا عاصم اليوم من أمـر الله الا من رحـم ...." (٤)

---

١ ـ ســـورة القمـــر آيـــة ١٢.
٢ ـ ســـورة هـــود الآيـــة ٤٠.
٣ ـ ســـورة هـــود جـــزء من الآيـــة ٤٥.
٤ ـ ســـورة هـــود الآيـــه ٤٣.

نجد اشاره الآية للقضاء والقدر :(لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم)؛أي لا معصوم من أمر الله ولا ناجي من عقابه الا من رحمه الله تعالى . (١)

فهذه الآية وسابقيها تشير الى أمر القضاء والقدر فى قصه نوح عليه السلام. ذلك أنه قضى سبحانه فى الأزل باهلاك قوم نوح عليه السلام لما وقعوا فيه من كفر واعراض شديد لنبيهم .

أما ما كان من شأن البقية منها كما فى الايمان بالكتب ، فاننى لم أطلع على ما يفيد ذلك من خلال قصته عليه السلام، ولم يحدثنا القرآن الكريم عن هذه الأمور ، ولا عن موقف قوم نوح عليه السلام من خلال قصته عليه السلام وقد يسند هذا الى أنه ليس بعد الكفر ذنب.

أما ما كان من شأن الايمان بالملائكه : فتشير الآيات القرآنية الكريمة أن قوم نوح عليه السلام كانوا يعرفون الملائكه ويوءمنون بهم ، ذلك أن قومه جادلوه فى شأن النبوه ،وأنكروا عليه أن يكون الرسول بشرا وقالوا كما فى قوله تعالى على لسان قومه :

---

١ - انظر : معانى القرآن أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء المتوفى سنه ٢٠٧ تحقيق عبد الفتاح اسماعيل شلبى / الهيئة المصرية العامة للكتاب ج ٣ ص ١٠٦ / تفسير القرآن العظيم ابن كثير ج ٤ / ص ٢٦٣ التفسير القرآنى للقرآن / عبد الكريم الخطيب : دار الفكر ، م ١٨ ص ١١٣.
الكشاف ج ٢ ص ٢٦٩ ، ٢٧٠ .
الطبري ج ١٢ ص ٢٦٩.

" مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا " (١)

وقد ذكر الألوسي رحمه الله في تفسيره لهذه الآية أن فيها وجهان :-

الوجه الأول : أنهم أرادوا بقولهم هذا ما أنت إلا بشرا مثلنا ، أنه ليس فيك مزية قوية تخصك من بيننا بالنبوة توجب لك فضل اتباعك ،و يشهد لهذا قوله تعالى على لسان قومه :

" وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ " (٢).

الوجه الثاني : أنهم أرادوا بقولهم ، أن يكون ملكاً لا بشراً ، ولهذا عمد عليه السلام ليبرئ نفسه بقوله : " وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ " (٣) فهو هنا عليه السلام ينفي صفة الملائكة عن نفسه و يثبت صفة البشرية لهذه الدعوة . (٤)

و من هنا يتضح أن قوم نوح عليه السلام قد حاولوا مجادلته عليه السلام في شأن بشرية الرسول ، و وجوب كونه ملكاً . (٥)

أما ما كان من شأن بقية مسائل العقيدة فيجدر بيان ما كان من دعاء نوح عليه السلام حيث إن هذا الأمر قد شغل حيزاً كبيراً في قصته ولنتم به الفائده المرجوة ان شاء الله ، و كذا ما كان من شأن الإستغفار .

أما ما كان من شأن تقديم حكم التماثيل و الصور لما في ذلك من بالغ الأهمية

---

١ - سورة هود : جزء من الآية ٢٧
٢ - سورة هود : جزء من الآية ٢٧
٣ - سورة هود : جزء من الآية ٣١
٤ - انظر : روح المعاني : الألوسي : جـ ١٢ ، ص
٥ - سبق بيان ذلك في الفصل الثاني : ص

حيث أن الشرك ما وقع إلا بعد ما فسدت العقائد بسبب ما كان من وجود تماثيل لقوم صالحين في زمانهم ، كما سيأتى ذكر ذلك بالتفصيل بمشيئة الله تعالى . والله أعلم .

. . .

المبحث الأول

المطلب الأول : معنى الدعاء

نجد أن الدعاء كعبادة وعقيدة ، جاء به جميع الأنبياء عليهم السلام من لدن آدم عليه السلام إلى نبينا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ونجده في قصة نوح عليه السلام واضحاً تمام الوضوح . فقد دعا نوح ربه في وقت الشدة واليقين . ودعا على قومه بعد ما يئس من استجابتهم ، لهذا كان من الجدير أن نتحدث عن الدعاء معناه وآدابه .[1] وما كان من دعائه عليه السلام .

الدعاء في اللغة : الدعاء واحد الأدعية . وأصله " دعاو " لأنه من دعوت ، إلا أن الواو لمّا جاءت بعد الألف هُمزت .

والدعاء : الرغبة إلى الله عز وجل ، دعاه دعاء ودعوى .[2]
ومعنى الدعاء لله يأتي على أربعة أوجه ، على سبيل دعاء المسأله :

أولاً : بمعنى توحيده سبحانه وتعالى والثناء عليه ، كقول : ياالله لا إله إلا أنت ، وكقول : ربنا لك الحمد ، وسُمّيّ هذا دعاء لأن العبد عرف الله سبحانه وتعالى ثم وحده وأثنى عليه .

ثانياً : بمعنى طلب العفو والرحمة : ويكون ذلك بالتوبة عن الذنوب كقول القائل اللهم إغفر لي .

ثالثاً : بمعنى العبادة ، فيما رواه أنس بن مالك رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الدعاء مخ العباده.)[3] وفي

---

١ - الصحاح : الجوهري : ج ٦ : باب الياء ، فصل الدال ، ص ٢٣٣٧

٢ - لسان العرب : إبن منظور : ج ١٤ : باب الياء : فصل الدال ، ص ٢٥٧

٣ - الجامع الصحيح سنن الترمذي : أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة : تحقيق ابراهيم عوض : لبنان : دار احياء التراث العربي : ج٥ : كتاب الدعاء : باب ما جاء في فضل الدعاء : ٣٣٧١ ، ص ٤٥٦

رواية (الدعاء هو العبادة) [١] وفي قوله تعالى :

" وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ " [٢] ذلك أن الدعاء هو إعتراف بالعبودية و المذلة و المسكنة ، فكأنه قيل : إن تارك الدعاء إنما تركه لأجل أن يستكبر عن إظهار العبودية . [٣] لهذا كان جزاء من يستكبر عن دعاء الله جهنم و بئس المصير .

رابعاً : بمعنى طلب قضاء الحوائج . كقول القائل : اللهم ارزقني . و في جميع المعاني يأتي الدعاء بإخلاص العبودية لله تعالى و إفراده بكمال التوحيد .

. . .

---

١ - المستدرك على الصحيحين من الحديث : الحاكم النيسابوري : بيروت : دار الفكر : ١٣٩٨ هـ
جـ١ : كتاب الدعاء ، ص ٤٩١

٢ - سورة غافر : الآية ٦٠

٣ - التفسير الكبير : الرازي : جـ ٢٧ ، ص ٨١

المطلب الثاني : أفضل الدعاء

ورد عن الرسول صلى الله عليه و سلم : (أفضل الذكر لا إله إلا الله ، و أفضل الدعاء الحمد لله). (١)

و إنما سمي التهليل و التحميد دعاء لما له من المنزلة في حصول ثواب الله و جزاءه ، ذلك أن دعاء المسألة هو طلب ما ينفع الداعي ، و طلب كشف ما يضره و دفعه ، و دعاء العبادة هو أن يدعو الله سبحانه و تعالى خوفاً و رجاء فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة ، و كل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة ، (٢) لهذا كان أفضل العبادة هو الدعاء ، لحديث ابن عباس رضى الله عنهما : (أفضل العبادة هو الدعاء) . (٣)

و هنا يقع اعتراض على أن الذكر أفضل من الدعاء، ولا حاجة للدعاء ، حيث عُلم أنه أجيب ، فقد قال بعض الناس : [هذا تعبد محض لحصول المطلوب بدون دعائنا فلا يبقى سبب و لا علامة] . (٤)

و حيث أن حصول المطلوب هو من القضاء و القدر الذى قدر منذ خلق السموات و الأرض .

---

١ ـ انظر : إبن ماجة : ج٢ : كتاب الأدب : باب فضل الحامدين : ص ١٢٤٩
الجامع الصحيح لسنن الترمذى : بن سورة : ج٥ رقم الحديث ٣٣٨٣ ، ص ٤٢٦
المستدرك للحاكم النيسابورى : ج١ : كتاب الدعاء : ص ٤٩٨ ص ٥٠٣
موعظة المؤمنين : محمد القاسمى : تحقيق عاصم البيطار : الطبعة الأولى : بيروت : دار النفائس : ١٤٠١ ص١٣٧ . الأذكار : للنووى : تحقيق عبد القادر أرناؤوط : ط ٢ : الرياض دار الهدى : ١٤٠٩ : ص٤٠

٢ ـ انظر : مجموع الفتاوى : ابن تيمية : ج١٥ ، ص ١٠ ـ ١١. لسان العرب : ابن منظور : ج١٤ : باب الواو : فصل الدال ، ص ٢٥٧

٣ ـ المستدرك : للحاكم : كتاب الدعاء : ج١ ، ص ٤٩١

٤ ـ دقائق التفسير : ابن تيمية : ج ١ ، ص ٢٦٩

الجواب : وقد أجيب على هذا أنه إذا كان المقصود من الدعاء إظهار الذلة والمسكنة ثم بعد ذلك الرضى بما قدره الله وقضاه ، فذلك أعظم المقامات . ذلك أن العبد بدعائه لله تعالى يستمد منه العون والعناية . وهذا أهم مقامات العبودية .

اذاً : المقصود من الدعاء بهذا المعنى هو : إظهار العبوديه والذلة والإنكسار والرجوع إلى الله عز وجل بالكلية . لا مجرد الإعلام بالامر . وعلى هذا فالدعاء لم يشرعه الله تعالى إلا لحكمة، لأنه تعالى لا يأمر ولا ينهى إلا لحكمة يُعلمنا إياها أو لا يعلمها إلا هو سبحانه . (١)

الدعاء من أنفع الأدوية : الدعاء هو أنفع الأدوية : فهو عدو البلاء يدفعه ويعالجه ، ويمنع نزوله ، ويرفعه ، أو يخففه إذا نزل ، وهو سلاح المؤمن . (٢) والدليل على ذلك : ما رواه على بن أبى طالب رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (الدعاء سلاح المؤمن ، وعماد الدين ، ونور السموات والأرض .) (٣)

ثانياً : الدعاء من أقوى الأسباب في دفع المكروه وحصول المطلوب ، فقد يقول القائل : ان المرء يدعو ولا يستجاب له . وقد قال تعالى :

---

١ - انظر التفسير الكبير : الرازى : جـ ٥ ، ص ١٠٧

٢ - النظر : الداء والدواء : إبن القيم : جدة : دار المدنى : ١٤٠٣ ، ص ١٧ . انظر : محاسن : التأويل : جمال الدين القاسمى : ط٢ ، بيروت : دار الفكر : ١٣٩٨ : جـ٣ ، ص٩٧

٣ - المستدرك : للحاكم النيسابورى : جـ١ : كتاب الدعاء : ص٤٩٢ . انظر : الداء والدواء : ابن القيم ، ص ١٧

" وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ " (١)، قال بن تيمية في ذلك :

[أي اعبدوني و إمتثلوا أمري أستجب لكم .] (٢) و قال تعالى :

" وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ " (٣) و قال تعالى : " أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ " (٤)

و الجواب على ذلك من وجوه :

أولاً : هذه الآيات مطلقة و قد وردت آية مقيدة في ذلك و هي قوله تعالى :

" بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ " (٥)

و لا شك أن المطلق محمول على المقيد في مثل هذا المتعلق لمشيئة الله تعالى .

ثانياً : أن هذا المعنى يتقرر من وجوه في عدم اجابة الدعاء بعينه :

١ - أن الداعي لابد و أن يجد من دعائه عوضا ، إما إسعافا لطلبه الذي دعا به فاذا وافق القدر كان ، و إن لم يوافق القدر فانه يبدل به سكينة في نفسه و انشراحا في صدره و صبراً يسهل به احتمال البلاء الحاصل . و هو هنا على إحدى هذه الأمور لم يعدم الفائدة . و في هذا جانب من الإستجابة .

---

١ - سورة غافر : جزء من الآية ٦٠
٢ - تفسير لا إله إلا أنت : إبن تيمية : الطبعة الأولى : الهند : الدار السلفية : ١٤٠٧ ، ص١٠
٣ - سورة البقرة : الآية ١٨٦
٤ - سورة النمل : الآية ٦٢
٥ - سورة الأنعام : الآية ٤١

٢ - أن ما روى عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل . قيل يا رسول الله : ما الإستعجال ؟ قال : يقول قد دعوت و قد دعوت فلم أر يستجب فيستحسر عند ذلك و يدع الدعاء) (١)

ففى هذا بيان لاستجابة الدعاء و لو بعد حين من الوقت . أو تكون الاستجابة في الآخرة . و في هذا فائدة عظيمة تبين أن المرء إذا دعا بإثم أو قطيعة رحم لا يستجاب له ، لفضيلة الدعاء .

٣ - و من الحالات أيضا طلب الخير من الله تعالى و هذا يتطلب أن يكون العبد عارفاً بالله سبحانه و تعالى ، و بأسمائه و صفاته ، و تمام قضائه و قدره ، و أن يدعو دائماً بطلب الخير من الأمر ، لهذا شرعت صلاة الإستخارة . فهو يطلب الخير من الله لا لوجوب وقوع عين الأمر لحديث جابر رضى الله عنه قال : عن رسول الله صلى الله عليه و سلم : (اذا همّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم يقول : (اللهم اني استخيرك بعلمك و أستقدرك بقدرتك ، و أسألك من فضلك العظيم ، فانك تقدر ولا أقدر و تعلم و لا أعلم ، و أنت علام الغيوب ...... الحديث) . (٢)

هذا الحديث الشريف : يبين تمام تعليق أن الخير والشر بيد الله تعالى ، و بيان أن القضاء و القدر بيد الله تعالى و هو ركن من أركان الإيمان بالله تعالى الذى لا يكمل إيمان المرء إلا به .

---

١ - صحيح مسلم : بشرح النووى : ج١٧ : كتاب الذكر و الدعاء : باب أنه يستجاب للداعى ما لم يستعجل ، ص ٥٢

٢ - فتح البارى : ابن حجر : ج١ : كتاب الدعوات : باب دعاء الاستخارة ، ص ١٨٣

٤ - و من الحالات التى لا يجاب فيها الدعاء بعينه ما يحصل للقلب من ضعف ، و عدم اقباله على الله وقت الدعاء ، فيكون الدعاء بمنزلة القوس الرخو جدا حال خروج السهم منه، فإنه إذا كان ضعيفاً لا يصيب ٠ وكذلك لحصول موانع أخرى للإجابة كأكل الحرام ، و رين الذنوب على القلب ، و استيلاء الغفلة و الشهوة و اللهو و غلبتها عليه كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم (ادعو الله و أنتم موقنون بالإجابة ، و ان الله تعالى لا يقبل دعاء من قلب غافل لاه) ٠ [1] فخلوص قبول الدعاء متعلق بمشيئة الله سبحانه أولا و أخيرا ، ثم بمدى إخلاص قلب الداعي و توجهه إلى الله تعالى ٠ [2]

مقامات الدعاء مع البلاء :

أولاً : أن يكون أقوى من البلاء فيدفعه ٠
ثانياً : أن يكون أضعف من البلاء فيقوى عليه البلاء ٠ إلا أن تأثير الدعاء يخفف البلاء ٠
ثالثاً : أن يتقاوما و يمنع كل منهما الآخر ٠

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : (لا يغني حذر من قدر ، و الدعاء ينفع مما نزل و مما لم ينزل ، و ان البلاء ينزل ، فيلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة ٠) [3]

---

١ - المستدرك : للحاكم : كتاب الدعاء : ص٤٩٣ : انظر احياء علوم الدين : الغزالي ج١ ، ص٣٠٦

٢ - انظر : الداء و الدواء : ابن القيم ، ص ١٦

٣ - رواه الحاكم : في المستدرك : ج١ : كتاب الدعاء : ص٤٩٢ : انظر : الداء والدواء ، ص١٨

المطلب الثالث : آداب الدعاء

للدعاء آداب يجب مراعاتها و قد ذكرها الإمام الغزالي رحمه الله ، منها :ـ

١ ـ أن يترصد لدعائه الأوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة ، و رمضان من الأشهر و الجمعة من الأسبوع ،ووقت السحر من ساعات الليل حيث هو وقت صفاء القلب و إخلاصه و فراغه من المشوشات .

٢ ـ أن يغتنم الأحوال الشريفة : إذ تفتح أبواب السماء ، عند الزحف و عند نزول الغيث و عند إقامة الصلوات المكتوبة ، و عند السجود لحديث (أقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل و هو ساجد فأكثروا فيه من الدعاء .) (١)

٣ ـ أن يدعو مستقبلاً القبلة و رافعاً يديه .

٤ ـ خفض الصوت بين المخافتة و الجهر .

٥ ـ أن لا يتكلف السجع في الدعاء و ذلك أن حال الداعي حال متضرع .

٦ ـ التضرع و الخشوع و الرغبة و الرهبة .

٧ ـ أن يجزم الدعاء و يوقن الإجابة و يصدق رجاؤه فيه .

٨ ـ أن يلح في الدعاء و يكرره ثلاثا .

٩ ـ أن يفتتح الدعاء بذكر الله تعالى و الصلاة على رسول الله صلى الله عليه و سلم ، وأن يختمه بها .

١٠ ـ التوبة و رد المظالم و الإقبال على الله تعالى . (٢)

---

١ ـ صحيح مسلم : النيسابوري : جـ١ : رقم الحديث ٢١٥ / ٤٨٢ ص ٣٥٠ : انظر : إحياء علوم الدين الغزالي : دار المعرفة : بيروت : جـ١ ، ص ٣٠٤

٢ ـ انظر : إحياء علوم الدين : الغزالي : جـ١ ص ٣٠٥ ـ ٣٠٧ ،فتح الباري : ابن حجر : جـ١١ ، كتاب الدعوات : باب يستجاب للعبد مالم يستعجل : ص ١٤١

المطلب الرابع : لكل نبي دعوة مستجابة

سبق بيان أهمية الدعاء و فضله و الحث عليه و أنه مأمور بالقيام به كيف لا و قد كان هذا من شأن الأنبياء عليهم السلام و هم أكمل خلق الله فقد كانوا يدعون الله تعالى و يسألون رحمته . لذا كان لكل نبي من الأنبياء دعوة مستجابة دعا بها لما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : (لكل نبي دعوة مستجابة يدعوا بها ، و أريد أن أخبيء دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة .) (١)

و عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : (لكل نبي سأل سؤلا ، أو قال : لكل نبي دعوة قد دعا بها ـ فاستجيب ـ فجعلت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامه .) (٢)

فبناء على هذين الحديثين فقد وردت عدة أقوال في معنى قوله لكل نبي دعوة مستجابة منها :ـ

١ ـ أن لكل نبي دعوة مستجابة مقطوع بها ، و غيرها من الدعوات مرجو بها .

٢ ـ و قيل انها أفضل دعواتهم و لهم غيرها .

٣ ـ و قيل أن لكل منهم دعوة عامة مستجابة في أمتة ، إما بإهلاكهم أو بنجاتهم ، و منها الخاصة ما يستجاب منها و ما لا يستجاب . (٣)

---

١ ـ المرجع السابق : باب لكل نبي دعوة مستجابة ، ص ٩٦

٢ ـ المرجع السابق : ص ٩٦-٩٧ ، انظر : صحيح مسلم : بشرح النووي : حديث الشفاعة : ص ٩٦-٩٧

٣ ـ انظر : فتح الباري : إبن حجر : جـ١١ ، كتاب الدعوات : باب لكل نبي دعوة مستجابة ، ص ٩٧

وعلى أى من هذه الأقوال فالحديثان يبينان أن لكل نبى من الأنبياء عليهم السلام ، دعوة خاصة دعا بها واستجيبت له دعوته . إلا أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد خبأ دعوته ليوم القيامة ليشفع بها لقومه.

أما ما ورد بشأن دعوة نوح عليه السلام ، وهو ما كان من دعائه على قومه بالهلاك . فهذه هى دعوته الخاصة التى دعا بها وقد أجيبت له . إلا أن هناك صيغ كثيرة للدعاء وردت فى قصة نوح عليه السلام .

. . .

المطلب الخامس : ما كان من دعاء نوح عليه السلام

إن كل دعوة دعا بها نوح على قومه سبقها بث شكواه إلى الله تعالى وقدم لهذه الدعوة مصداقاً لقوله " أمن يجيب المضطر إذا دعاه " وهو هنا في دعائه مضطر لما لاقاه عليه السلام من شدة الإيذاء وما قابله به من بليغ صبره عليهم . فما كان منه عليه السلام إلا أن دعا عليهم بـ :-

الدعاء الأول قال تعالى " قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ " (١)

موطن الدعاء : هذا نداء من نوح عليه السلام الى الله عز وجل أن يقضي في أمره وينجيه من القوم الظالمين .

وهو على سياق دعائه الثاني قال تعالى :

" فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ " (٢)

سبب الدعاء : مكث نوح يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عاما الى توحيد الله في العبادة . إلا أنهم أعرضوا عنه رغم كل السبل التى طرقها نوح عليه السلام في دعوته اياهم ليلا ونهارا وسرا وجهارا . إلا أنهم عتوا عتواً كبيراً ولم يؤمن معه إلا قليل منهم .

---

١ - سورة الشعراء : الآيات : ١١٦ - ١١٨

٢ - سورة القمر : الآيتان : ١٠ - ١١

هنالك دعا ربه حيث لا ملجأ إلا إليه قائلا :

" فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ " [(١)] ثم جاء في موطن آخر " فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ﴿١٠﴾ " [(٢)] وقال :

" وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾ " [(٣)] فهذا دعاء منه على قومه لتمردهم وكفرهم وعنادهم . [(٤)]

مصير الدعاء : وتتجلى هنا الرحمة الالهية بسماع الله سبحانه وتعالى نداء نوح عليه السلام كما في قوله تعالى :

" وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ " [(٥)] وجاء ذلك الجواب وفق ما دعا الله عز وجل ، وغضب الله سبحانه لغضب نبيه عليه السلام ، حيث كان دعاؤه على قومه كما في قوله :

" وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ " [(٦)]

و اجابة النداء من الله عز وجل تدل على أن النداء كان بكمال الاخلاص له سبحانه . وهذا الإخلاص كان سببا لحصول الإجابة . وكانت الإستجابة من الله سبحانه وتعالى لدعائه عليه السلام ، بأن أغرق الكافرون ، وهم بهذا يستحقون الغرق ، ذلك أنهم بكفرهم قد أخطأوا مرات :

---

١ - سورة الشعراء : الآية ١١٨

٢ - سورة القمر : الآية ١٠

٣ - سورة نوح : جزء من الآية ٢٤

٤ - تفسير القرآن العظيم : ابن كثير : ج٤، ص٤٢٧ . انظر نفس المرجع : ج٣، ص٣٤٠ ، ج٤ ، ص١٢ . دعوات الأنبياء و الصالحين في القرآن الكريم : محمد الدواوي : القاهرة : مكتبة الإعتصام ، ص ٧٨ - ٨١

٥ - سورة الصافات : الآية ٧٥

٦ - سورة نوح : الآية ٢٦

١ - بكفرهم بالله سبحانه ثم الإيمان بالطاغوت ٠

٢ - تكذيبهم ربهم ٠

٣ - تكذيبهم رسوله عليه السلام ، وكان ذلك كافياً في إستحقاقه سبحانه للأخذ بهم ٠ لذا قال "خطيئاتهم" [1] كما جاء في قوله تعالى :

" مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ " [2]

و من النعم التي أنعم الله سبحانه و تعالى بها على نوح عليه السلام :-

النعمة الأولى : نجاته و أهله من الكرب العظيم ٠ و هذا الكرب يحتمل أحد أمرين :

١ - نجاتهم من أذى قومهم ٠ ٢ - نجاتهم من الغرق ٠

النعمة الثانية : أن جعل ذريته هي الباقية إلى يوم الدين كما في قوله تعالى : " وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ " [3] و كما في قوله سبحانه " وَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ " [4] وكما جاء عن رسول الله صلى الله عليه و سلم : قال : (سام أبو العرب ، و حام أبو الحبش ، و يافث أبو الروم) [5]

النعمة الثالثة : أكرمه الله عز و جل بأن جعل ذكره فيمن جاء بعده و سلم عليه في العالمين ، لقوله تعالى :

" وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَـٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ " [6]

---

١ - نظم الدرر في تناسب الآيات و السور : البقاعي : ط١ : وزارة المعارف و الشئون الثقافية للحكومة الهندية : ١٤٠٣هـ: ج ٢٠ ، ص ٤٥٣

٢ - سورة نوح : الآية ٢٥

٣ - سورة الصافات : الآية ٧٧

٤ - سورة الصافات : الآية ٧٦

٥ - انظر : تفسير القرآن العظيم : ابن كثير : ج٤، ص١٢ ٠ جامع البيان : الطبري : ج٢٣، ص٦٧ مسند أحمد ٥/٩ ٠

٦ - سورة الصافات : الآيتان ٧٨ ، ٧٩ ٠

ولفظ العالمين هنا معناه الدعاء [1] على ما ذكره الرازي، وذلك من إثبات تحية التسليم على نوح وأدامه في الملائكة والثقلين، فيسلمون على نوح عليه السلام إلى يوم القيامة، وهذا جزاء على بعض إحسانه عليه السلام في الدنيا، لأنه كان عبداً مؤمناً.
والإحسان أشرف مقامات الإيمان بالله عز وجل.

الدعاء الثاني قوله تعالى " وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ " (٢)

سبب الدعاء : لمّا أمر الله سبحانه وتعالى نوحاً عليه السلام بصنع السفينة وأن يحمل فيها من كل زوجين إثنين، والمؤمنين من أهله، وبقي ابنه كنعان خارجها فأشفق عليه السلام على ابنه، وعندئذ نادى نوح عليه السلام ربه " إن ابني من أهلي " طالباً من الله سبحانه وتعالى أن ينجيه من الطوفان. قال ابن كثير : [وعدتني بنجاة أهلي ووعدك الحق الذي لا يخلف، فكيف غرق وأنت أحكم الحاكمين] (٣)

مصير الدعاء : هنالك جاءه الرد من المولى عز وجل :
" قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ " (٤) ذلك انما وعده الله سبحانه وتعالى بنجاة من آمن فقط. وجاء قوله تعالى مبينا لذلك

---

١ - انظر : التفسير الكبير : الرازي : جـ٢٦، ص ١٤٥
٢ - سورة هود : الآية ٤٥
٣ - تفسير القرآن العظيم : ابن كثير : جـ٢، ص ٤٤٥
٤ - سورة هود : جزء من الآية : ٤٦

بقوله : " وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ " [١] فكان هذا الولد ممن سبق عليه القول بالغرق و الكفر و مخالفته أباه نبى الله نوح عليه السلام . [٢] و فى ذلك دلالة على أن العبرة بقرابة الدين لا بقرابة النسب ، ذلك أن قرابة الدين هي القرابة الأهلية ، و بما أن قرابة النسب حاصلة لابن نوح لا محالة ، فقد نفاها المولى سبحانه و تعالى بأبلغ الألفاظ بقوله تعالى : " انه عمل غير صالح " أى أنه أشرك و كذب . [٣]

و كما قال علي رضي الله عنه : [ألا و ان ولي محمد من أطاع الله ، و ان بعدت لحمته ، ألا و ان عدو محمد من عصى الله ، و إن قربت لحمته] [٤]

و فى ذلك قال تعالى : " وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ " [٥]

و مدار الأهلية هنا كل من دخل في دين الله سبحانه و تعالى لا مدار النسب . [٦]

---

١ - سورة هود : جزء من الآيه ٤١

٢ - تفسير القرآن العظيم : ابن كثير : جـ٢ ، ص٤٤٨ . انظر الأساس في التفسير : سعيد حوى : جـ٥ ، ص٢٥٥٨

٣ - انظر : جامع البيان : الطبري : جـ١٢ ، ص٥٣ . حاشية الجرجاني على الكشاف : جـ٢ ، ص٢٧٢ . التفسير الكبير : الرازي : جـ١٢ ، ص٣ ، الجامع لأحكام القرآن : القرطبي : جـ٩ ، ص ٤٦ . ارشاد العقل السليم : أبي السعود : جـ٤ ، ص ٢١٢

٤ - محاسن التأويل : القاسمي : جـ٩ ، ص ١٣٢

٥ - سورة الصافات : الآيتان ٧٥ - ٧٦

٦ - الجامع لأحكام القرآن : محمد القرطبي : الطبعة ٣ : دار الكتاب العربي للطباعة و النشر : ١٣٨٧هـ : جـ٩ ، ص٤٧

الدعاء الثالث قال تعالى " قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٤٧ " (١)

سبب الدعاء : في هذا الدعاء من نوح عليه السلام إنابة إلى الله تعالى وتوبة على ما كان منه من زلته بأن سأل ربه عز وجل أن ينجي ابنه من الغرق . فجاءه الرد من الله تعالى قائلا :

" فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٤٦ " (٢)

فقال نوح عليه السلام عند ذلك [قبلت يارب هذا التكليف ولا أعود اليه إلا أني لا أقدر على الإحتراز منه إلا بإعانتك وهدايتك] .(٣)

لهذا بدأ قوله بالدعاء " اني أعوذ بك " ثم بعد ذلك بدأ بالإعتذار وطلب العفو من الله تعالى بأن قال: " وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ " فهو هنا عليه السلام يعلن توبته ويبين حقيقتها :-

أولاً : بالعزم على ترك ما ليس له به علم كما في قوله : " قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ " .

ثانياً : الندم على ما فعل وفات بقوله : " وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين " .

مصير الدعاء : بأن تلقى القبول من الله سبحانه وتعالى كما في قوله عز وجل : " قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ " (٤)

---

١ - سورة هود الآية : ٤٧
٢ - سورة هود : الآية ٤٦
٣ - التفسير الكبير : الرازي : جـ١٢ ، ص٦ . انظر : تفسير لا إله إلا أنت : إبن تيمية ، ص٨٥
٤ - سورة هود : جزء من الآية ٤٨

وعد الله سبحانه و تعالى نوحاً عليه السلام بالسلامة و البركة .

فأما السلامة : بعدما تضرع نوح إلى الله سبحانه و تعالى كان محتاجا إلى العفو ، إلى أن بشره الله سبحانه و تعالى بالسلامة من الوعيد الذي كان يخشاه نوح عليه السلام . و هو نفس الدعاء الذى دعا به من قبل آدم عليه السلام و زوجته كما في قوله تعالى :

" قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ " (١)

و هذا ما حكاه الله سبحانه و تعالى عن آدم عند طلب التوبة من زلته .

و هنا جاء النداء الرباني مبشراً لنوح عليه السلام قيل له :

" يا نوح اهبط بسلام منا " . فهو هنا عليه السلام [حصل له الأمن من جميع المكاره المتعلقة بالدين] (٢) و السلامة ثانياً ؛ أى [بأمن منا أنت و من معك من إهلاكنا] (٣) لأنه عليه السلام كان خائفاً كيف سيعيش و من معه و ليس على الأرض ما ينتفع به من نبات و غيره من أمور المعيشة فكان هذا بمثابة دفع الأمان في نفس نوح عليه السلام بقوله : " إهبط بسلام " فلا تخش شيئا و لك حصول السلامة من الآفات .

أما وعده سبحانه و تعالى إياه بالبركة : و البركة هنا هي دوام النعم و ثباتها ، قال ابن عباس رضى الله عنهما : نوح آدم الأصغر . (٤) أى أن كل

---

١ - سورة الأعراف : الآية ٢٣

٢ - التفسير الكبير : الرازى : ج١٢ ، ص٧ : كتاب التوابين : المقدسي ، دار الكتب : بيروت : ١٤٠٣ ، ص ١٢

٣ - جامع البيان : الطبري : ج١٢ ، ص٥٥

٤ - انظر جامع الأحكام : القرطبي : ج٩ ، ص ٤٨

البشرية من نسل نوح عليه السلام . وهذا هو المراد من البركات التى وعده الله بها . [١] لذا صدر من نوح عليه السلام هذا الدعاء بقوله : " ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ۝٢٩﴾ " [٢] أى منزلاً إما المقصود داخل السفينة أو خارجها . وفى ذلك فوائد جمة ينبغي الوقوف عليها والعمل بها كيف لا وقد علمنا اياها رسول الله صلي الله عليه وسلم . وفي ذلك بيان لوحدة الرسالات جميعاً، وأن دعوته عليه السلام جاءت بجميع قواعد العقيدة :

فمن ذلك الأمر بالدعاء وذكر الله سبحانه وتعالى فى جميع الأمور والأحوال حتى لا نكون ذكره من الغافلين ، وقد ورد ذلك بعدة صيغ فى قصته عليه السلام منها :.

أولاً : عند ركوب السفينة أمر نوح عليه السلام قومه بالدعاء بقوله " ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٤١﴾ " [٣]

وهذا جاء به محمد صلى الله عليه وسلم عند ركوب الدابة كما فى قوله تعالى :

" ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ۝١٣ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ۝١٤﴾ " [٤]

ثانياً : عند النزول من السفينة أمر نوح عليه السلام أن يقول :

" ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ۝٢٩﴾ " [٥] وقد علمنا سيدنا

---

١ ـ انظر : التفسير الكبير : الرازى : جـ١٢ ، ص٨

٢ ـ سورة المؤمنون : الآيه ٢٩

٣ ـ سورة هود : آية ٤١

٤ ـ سورة الزخرف : الآيتان : ١٣ ، ١٤

٥ ـ سورة المؤمنون : الآيـة ٢٩

محمد صلى الله عليه و سلم بالدعاء عند النزول :

" وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ " (١)

ثالثاً : بعدما إستقر نوح عليه السلام و من معه في الفلك و حصل لهم النجاة من القوم الظالمين ، طلب المولى من نوح عليه السلام بالدعاء كما فى قوله تعالى : " فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ " (٢)

و هو ما طلبه من محمد صلى الله عليه و سلم فى ختام أى أمر بقوله :

" سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾ " (٣)

رابعاً : أن الإنسان ينبغى أن لا يشرع فى أمر من الأمور إلا و يكون ذاكراً وقت الشروع بهذا العمل إسم الله تعالى حتى تكون بركة الذكر سبباً لتمام ذلك المقصود •

خامساً : تذكر فضل الله تعالى ، لذا وجب ربط التوكل على الله تعالى بالعمل و اتخاذ الأسباب و تعليق القلب بفضل الله تعالى •

سادساً : قوله : " رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾ " (٤)

---

١ ـ سورة الاسراء : آية ٨٠

٢ ـ سورة المؤمنون : جزء من الآية ٢٨

٣ ـ سورة الصافات : الآيات : ١٨٠ ـ ١٨٢

٤ ـ سورة نوح : جزء من الآية ٢٨

وفى ذلك فائدة : أنه عليه السلام ابتدأ بالدعاء لنفسه وهو بهذا سن هذه السنة ، حيث أنه من آداب الدعاء أن يبتدئ المرء بالدعاء لنفسه ثم بعد ذلك خاصته وهم والديه ثم بعد ذلك للمؤمنين والمؤمنات . ويأتى قصده عليه السلام بالدعاء فى سياق قوله : رب اعف عنى ، واستر على ذنوبى وعلى والدى .[١]
وأما الدعاء بالمغفرة فليس من شك فى أن دعاء نوح هو أول أولى العزم من الرسل مجاب ولا سيما دعاؤه بطلب الغفران .[٢]

وفى الآية الكريمة بيان خلق من أخلاق نوح عليه السلام وأدب رفيع من الآداب التي تحلى بها الأنبياء عليهم السلام ، حيث أنه لمّا دعى لنفسه ولوالديه ، دعا لجميع المؤمنين والمؤمنات الى يوم الدين ، فجزى الله نوحا عليه السلام خيرا على أن دعا لنا وللمسلمين الى يوم الدين .

وقد روى أن نوحا كان إذا ذهب إلى الغائط قال : الحمد لله الذي رزقني لذته ، وأبقى فيّ قوته ، وأذهب عني أذاه .[٣]

بيان حكم الدعاء على المشركين :-

اذا اعتدى الكفار على المسلمين كأن يمثلوا بهم ، فللمسلمين أن يمثلوا بهم ، والصبر في ذلك أفضل وهذا ما كان من نبي الله

---

١ - جامع البيان : الطبرى : ج ٢٩ ، ص ١٠١
٢ - دعوات الأنبياء : والصالحين : محمد الدواوى : ص ٣٨
٣ - فتح البارى : ابن حجر : كتاب الأنبياء : باب " ولقد أرسلنا نوحاً " : ج٦ ، ص٣٧٣

نوح عليه السلام بأن صبر عليهم ، ذلك بأنهم كانوا يأخذونه ويضربونه ضربا مبرحاً ثم يلفونه في حصير ويلقون به خارج منزله ، فإذا أفاق اغتسل وخرج يدعوهم الى الله مرة أخرى ويقول : رب إغفر لقومي فإنهم لا يعلمون ٠ والرسول صلى الله عليه وسلم كان إذا أصابه من قومه أذى يقول رب اغفر لقومي إنهم لا يعلمون ٠

وأما الدعاء على جنس الظالمين الكفار فهو مشروع مأمور به ، وشرع القنوت ، والدعاء للمؤمنين والدعاء على الكافرين٠ (١)

أما الدعاء على أناس معينين فهو كما روى من حديث ابن عمر رضي الله عنهما : (دعا النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة وقال : اللهم العن فلانا وفلانا حتى أنزل الله عز وجل " ليس لك من الأمر شيء " (٢)

فقد قيل أن هذه الآية نزلت فيمن كان يدعو عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم عيانا ، فنزل قوله : " ليس لك من الأمر شيء " ٠

وقيل أنها نزلت فيمن كسر رباعية رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحد وقال عليه السلام في شأنهم (كيف يفلح قوم شجوا نبيهم) ٠ فنزلت " ليس لك من الأمر شيء " ٠ (٣)

وللجمع بين الحديثين قال ابن حجر [أن الآيه نزلت في الأمرين معا] ٠ (٤)

---

١ ـ انظر مجموع الفتاوى : ابن تيمية : جـ ٨ ، ص ٣٣٦

٢ ـ فتح الباري : ابن حجر : جـ ١١ : كتاب الدعوات : باب الدعاء على المشركين ، ص ١٩٣

٣ ـ المرجع السابق : جـ ٧ : كتاب المغازي : باب ليس لك من الأمر شيئا : ، ص ٣٦٥

٤ ـ المرجع السابق : جـ ٨ : كتاب التفسير : باب ليس لك من الأمر شيئا ، ص ٢٢٧

فدعاء النبي صلى الله عليه و سلم على معيّن منسوخ لأن[المعين لا يعلم أن رضي الله عنه أن يهلك ، بل قد يكون ممن يتوب الله عليه] (١) و دليل ذلك على أن من دعا عليهم رسول الله في غزوة أحد منهم من أسلم (٢) يوم الفتح .

فالدعاء على معين بما لا يعلم ، لا يرضاه الله ، و غير مأمور به . و قد كان يُفعل ثم نهي عنه ، لأن الله سبحانه قد يتوب عليه أو يعذبه . (٣)

أما الدعاء على جنس الكفار ، إذا دعى عليهم بما فيه عز الدين و ذل عدوه و قمعهم كان هذا دعاء بما يحبه الله و يرضاه فإن الله يحب الإيمان و أهل الإيمان و علو أهل الإيمان و ذل الكفار فهذا دعاء بما يحبه الله . (٤)

أما ما كان من دعاء نوح عليه السلام على قومه بأن يهلكهم الله فقد كان بعد أن نزل قوله تعالى : " وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ " (٥) ثم بعد ذلك دعا عليهم "وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾" (٦)

---

١ - مجموع الفتاوى : ابن تيمية : جـ٨ ، ص ٣٣٥

٢ - فتح الباري : ابن حجر : جـ٧، كتاب المغازي : ص٣٦٥ : والجزء ٨، كتاب التفسير، ص٢٢٦-٢٢٧

٣ - مجموع الفتاوى : م ٨ ، ص ٣٣٦

٤ - مجموع الفتاوى : جـ ٨ ، ص ٣٣٥

٥ - سورة هود : الآية ٣٦

٦ - سورة نوح : الآية ٢٦

فدعاؤه على قومه أمر لا يحبه الله ولم يأمر به،كما ورد في حديث الشفاعة عن أبي هريرة رضي الله عنه (فيأتون نوحاً فيقولون يانوح أنت أول الرسل إلى الأرض ، وقد سماك الله عبداً شكوراً ، إشفع لنا الى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وأنه قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي ، نفسي نفسي ..الحديث) رواه مسلم .(١)

وقد قال إبن تيمية : ثبت في حديث الشفاعة في الصحيح أنه يقول (إني دعوت على أهل الأرض دعوة لم أؤمر بها ، فإنه وإن لم ينه عنها ، فلم يؤمر بها . فكان الأولى أن لا يدعوا إلا بدعاء مأمور به واجب أو مستحب .(٢)

ذلك أن الدعاء من العبادة فلا يعبد الله إلا بما أمر به . إما واجب أو مستحب ، ولو كان جائزاً لأمر به نوح عليه السلام ولشرعه . وذلك أن ما شرع لنوح شرع لمحمد صلى الله عليه وسلم بقوله : " شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا .... الآيه " .

أحب الكلام الى الله تعالى :-

روي عن سمرة بن جندب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أحب الكلام إلى الله أربع : سبحان الله والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر)(٣)

---

١ - صحيح مسلم : النووي جـ ٣ ، حديث الشفاعة ص ٦٧ - ٦٨

٢ - مجموع الفتاوى : ابن تيمية : جـ ٨ ، ص ٣٣٦

٣ - صحيح مسلم : بشرح النووي : كتاب الآداب : باب ما يستحب من الأسماء : جـ١٤ ، ص١١٧
انظر رياض الصالحين : للنووي : تحقيق محيي الدين الجراح : بيروت : مناهل العرفان ص ٦٢٢

و بهذه الكلمات وصى نوح عليه السلام ابنه عند وفاته كما روي عن بن عمر رضى الله عنهما من حديث طويل [ثم قال نبى الله نوح عليه السلام لمّا حضرته الوفاة قال لابنه : إني قاص عليك وصية ، آمرك باثنتين و أنهاك عن اثنتين : آمرك بلا إله إلا الله ، فان السموات السبع و الأرضين السبع لو وضعت في كفة و وضعت لا إله إلا الله في كفة ، رجحت بهن لا إله إلا الله ، و لو أن السموات السبع و الأرضين السبع كن حلقة مبهمة ضمتهن لا إله إلا الله ، و سبحان الله و بحمده ، فإن بها صلات كل شيء و بها يرزق الخلق ، و أنهاك عن الشرك و الكبر] (١)

هذا ما كان من شأن نوح عليه السلام مع قومه في تذكيرهم بآيات الله . كما في قوله تعالى :

" وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ " (٢)

هذه الآية تبين أن نوحا عليه السلام جاء إلى قومه و ذكرهم بآيات الله و أحكامه .

ولأن ذكر العبد : هو الدعاء و الثناء و التضرع إلى الله تعالى ، كان جواب الله ، هو الإستجابة لهذا العبد و قد تكون الإجابة دنيوية أو مدخرة إلى الآخرة ، و بهذا فالدعاء أمر عظيم و له بالغ الأهمية في حياة الفرد .

---

١ - انظر : جامع البيان : الطبرى : ج١٥ ، ص ٢٠

٢ - سورة يونس : الآية ٧١

المبحث الثاني

ما كان من إستغفار نوح عليه السلام

سبق بيان ما كان من دعاء نوح عليه السلام و أنه ما دعى على قومه إلا بعد ما نفذ صبره عليهم،ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم لتوحيد الله فما آمن منهم الا قليل ٠ هنالك تضرع الى الله يبث شكواه ٠ فاستجاب له سبحانه ، بأن أحسن اليه و لقومه المؤمنين معه ، و هنا يظهر أثر الدعاء في حياة الفرد ، و الإستغفار لا يقل شأنا عن الدعاء فقد احتل مكانة كبيرة في قصة نوح عليه السلام ٠
و قد وجه عليه السلام أبصار قومه الى الإستغفار و أمرهم به و حثهم عليه و بين لهم فوائد الإستغفار الدينية و الدنيوية ٠ و أن العباد لابد لهم من الإستغفار أولهم و آخرهم ، يستوي في ذلك الجميع ، كيف لا وقد كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يستغفر الله تعالى و يتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة و هو من قد غفر له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : (سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : و الله إني لأستغفر الله و أتوب اليه في اليوم أكثر من سبعين مرة ٠) (١)

و لما لهذا الموضوع من أهمية كان لابد من بيان معنى الإستغفار ، و أقسامه ، و أحكامه لتتم بذلك الفائدة المرجوة إن شاء الله ٠

---

١ ـ فتح الباري : ابن حجر : جـ١١ : كتاب الدعوات : باب استغفار النبي صلى الله عليه و سلم ، ص ١٠١

المطلب الأول : معنى الإستغفار

الإستغفار في اللغة : من المغفرة :-

وهي أن يستر القادر القبيح الصادر من تحت قدرته .

الإستغفار فى الاصطلاح :-

وهو طلب المغفرة قولا وفعلا . (١)

هو طلب وقاية شر ما مضى ، فهو طلب المغفرة بعد رؤية قبيح المعصية والاعراض عنها . (٢)

وهي بهذا استقلال الصالحات والإقبال عليها ، واستكبار الفاسدات والإعراض عنها .

وكون الله سبحانه وتعالى موصوفا بالغفران ، ذلك لأنها صفة ثابتة تعهد الله تعالى بها لعباده المستغفرين . (٣)

والتوبة :-

هي الرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله.(٤)

وهي بهذا : الرجوع إلى الله بالتزام فعل ما يحب وترك ما يكره.(٥)

فكلا من التوبة،والاستغفار يعني ترك الذنوب،والندم عليها .

إلا أننا نجد نوحا عليه السلام قد قرر لقومه هذا الأمر المهم ودعاهم اليه ، ليحصل لهم الفوز بالمغفرة ، والنجاة من النار ،الا أنهم استكبروا عن ذلك .

---

١ - تاج العروس / الزبيدي - ج٣ ، ص٤٥١ .

٢ - شرح الطحاوية : الحنفي : تحقيق عبد الرحمن عميرة : ط٢: الرياض مكتبة المعارف ج٢ ، ص٤٦. انظر : التعريفات : الجرجاني : ص١٧ ، ص١٣٩

٣ - انظر التحرير والتنوير : ابن عاشور : ج٢٩ ، ص١٩٧

٤ - شرح الطحاوية : الحنفي : ج٢ ، ص٤٦

٥ - مدارج السالكين : ابن القيم : ج١ ، ص ٣٠٥

وقد جاءت الآيات ممثله الى ما طلبه نوح عليه السلام

من قومه بقوله : " فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ " (١)

وكما في قوله تعالى : " وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ " (٢)

فالإستغفار هنا : هو التوبة (٣) إلى الله تعالى بأن يغفر ذنوبه وأن لا يعود لها .

أما ما أمرهم به نوح عليه السلام من الإستغفار، فالمقصود منه : أي سلوا ربكم غفران ذنوبكم ، وتوبوا إليه من كفركم، وعبادة ما سواه من الآلهة، ووحدوه وأخلصوا له العبادة، يغفر لكم، إنه كان غفاراً لذنوب من أناب إليه، وتاب من ذنوبه . (٤) وفي ذلك ترغيب من نوح عليه السلام إلى قومه بالتوبة والرجوع إلى الله تعالى .

لأجل هذا طلب نوح عليه السلام من قومه الإستغفار، وذلك حين حبس عنهم المطر زمنا طويلاً ، وأعقم الله أرحام نساءهم أربعين عاماً ، خرجوا إلى نوح عليه السلام ، فقال لهم : " استغفروا الله " (٥) فهو عليه السلام أطمعهم في خير الدنيا والآخرة ، وأطمعهم في الغفران إذا استغفروا ربهم ، فهو سبحانه غفار للذنوب لقوله تعالى على لسان نوح عليه السلام :

" فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ " (٦)

---

١ - سورة نوح : الآيه ١٠

٢ - سورة البقرة : جزء من الآيه ١٩٩

٣ - انظر : الكشاف : الزمخشري : ج٤، مدارج السالكين : ابن القيم : ج٣، ص٣٠٧، روح المعاني : الألوسي : ج ٢٩ ، ص ٩٠

٤ - جامع البيان : الطبري : ج ٢٩ ، ص ٩٣

٥ - انظر : التفسير الكبير : الرازي : ج ٣٠ ، ص ١٣٧

٦ - سورة نوح : آية ١٠

وهنا نجد أن نوحاً عليه السلام جعل الإستغفار حلاً لكل مشاكلهم وربطها به ، وكذلك أطمعهم بالرزق الوفير الميسور ، ومن أسبابه التي يعرفونها ويرجونها ، وهي المطر الغزير الذي تنبت به الزروع ، وتسيل به الأنهار ، كما وعدهم بأن يرزقهم الله سبحانه الذرية التي يحبونها من البنين ، وزيادة في الأموال التي يطلبونها بقوله " يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾ " (١)

وهو هنا عليه السلام ربط بين الإستغفار وبين هذه الارزاق ٠

وفي القرآن الكريم مواضع متكررة فيها هذا الإرتباط ، بين صلاح القلوب واستقامتها على هدى الله ، وبين تيسير الأرزاق وعموم الرخاء ٠

• • •

---

١ - سورة نوح : الآيتان : ١١ - ١٢

المطلب الثاني : الربط بين الإستغفار و فتح أبواب الخير .

أولاً : جاء في قوله تعالى : " وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ "(١) هذة القاعدةُ يقررها القرآن الكريم في مواضع متفرقه ، قاعدة تقوم أسبابها على وعد الله ، وفق سنة الحياة ، كما أن الواقع العملي يشهد بتحقيقها على مدار القرون ، و فيما قاله سيد قطب رحمه الله : [الحديث في هذة القاعدة عن الأمم لا عن الأفراد ، و ما من أمة قام فيها شرع الله ، و اتجهت الى الله إتجاهاً حقيقياً بالعمل الصالح و الإستغفار المبني على خشية الله إلا فاضت فيها الخيرات و مكن الله لها في الأرض] .(٢)

ثانياً : أن الكفر سبب لخراب العالم لفداحة هذا الجرم وخطورته،وأن الايمان سبب لعمارته ،كما جاء في قوله تعالى : " تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ " (٣)

ثالثاً : أن الله سبحانه و تعالى خلق الجن و الإنس لعبادته كما في قوله تعالى : " وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ " (٤)

رابعاً : ما ورد في الخبر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أنه خرج يستسقي فما زاد على الإستغفار ، فقيل له ما رأيناك إستسقيت ؟ قال : لقد إستسقيت بمجادع السماء . (٥)

---

١ ـ سورة الأعراف : آية ٩٦

٢ ـ في ظلال القرآن : سيد قطب : جـ٦ ، ص ٣٧١٣

٣ ـ سورة مريم : الآيتان : ٩٠ ـ ٩١

٤ ـ سورة الذاريات : الآية ٥٦

٥ ـ انظر : الكشاف : الزمخشري : جـ٤ ، ص١٦٢ . التفسير الكبير : الرازي : جـ٢ ، ص١٣٧ الفتاوى : ابن تيمية : جـ١٦ ، ص ٥٣

خامساً : مافيه من حصول خير الدنيا و الآخرة لحديث إبن عباس رضي الله عنهما عن الرسول صلى الله عليه و سلم قال : (من لزم الإستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً و من كل هم فرجاً و رزقه من حيث لا يحتسب) [١] و لحديث أبي هريرة رضي الله عنه : (من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه) [٢]

أسباب حصول المغفرة :

أولا : التوحيد وهو السبب الأعظم لحصول المغفرة ، لقوله تعالى : " إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ " [٣] وهذا الشرك لا يغفر الا بالتوبة منه .

ثانياً : الإستغفار من الذنب ، و هو التوبة إلى الله تعالى . فالإستغفار هنا طلب المغفرة باللسان . و التوبة : الإقلاع عن الذنب بالقلب و الجارحة [٤] و إذا استجمع المرء الإستغفار و التوبة معا كان إستغفاره هذا إستغفاراً تاماً موجباً للمغفرة بمشيئة الله . فأفضل الإستغفار ما قرن به ترك المعصية و هو حينئذ يؤمل توبة نصوحاً . [٥]

لحصول المغفرة ووقوعها يجب مراعاة عدة أمور :-

ثالثا : الدعاء مع الرجاء ، لقوله تعالى : " وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ " [٦]

---

١ - ابى داوود : جـ٢ : باب الإستغفار : كتاب الصلاة : ص٨٥ . ابن ماجة : جـ٢ : باب فضل العمل كتاب الأدب ، ص٢٥٥ حديث ٣٨٢١ . أحمد بن حنبل : جـ١ ، ص ٢٢٨ انظر : أسباب : المغفره : ابن رجب الحبيلي : القاهرة : مكتبة التراث الإسلامي : ١٩٨٧ ، ص٧٥

٢ - صحيح مسلم : النيسابوري : جـ٤ ،كتاب الذكر والدعاء والتوبة والإستغفار : باب استحباب الإستغفار والإستكثار منه : حديث رقم ٢٧٠٣ ، ص ٢٠٧٦

٣ - سورة النساء : الآية ٤٨ .

٤ - انظر : جامع العلوم و الحكم : البغدادي : بيروت : دار المعرفة ، ص ٣٧٠

٥ - المرجع السابق ، ص ٣٧٢

٦ - سورة غافر : جزء من الآية ٦٠

وعلى ما تقدم : فالإستغفار يتضمن التوبة ، والتوبة تتضمن الإستغفار وكل منهما يدخل في مسمى الآخر عند الإطلاق [١] ذلك أن الإستغفار طلب وقاية شر مضى والتوبة : الرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات الأعمال [٢] فالصلة بين التوبة والإستغفار صلة عظيمة متلازمة .

فالإستغفار : طلب وقاية شر ما مضى ، والتوبة : الرجوع وطلب وقاية شر ما مضى ، وهذا يعنى أن كل منهما مستلزم للآخر .

ولهذا كان دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم (اللهم أنت ربي خلقتني وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك علي ، وأبوء لك بذنبي فاغفر لي ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت) [٣] وهو المسمى بسيد الإستغفار ، وسبب تسميته بهذا ، أنه جامع لمعاني التوبة كلها ، فاستعير له إسم السيد . [٤]

ويتضمن هذا الإستغفار أموراً منها :

١ - الإعتراف من العبد بربوبيته لله سبحانه وتعالى وتوحيده ، والإعتراف بأنه خالق، وفيه من الإعتراف الثناء على الله تعالى .

---

١ - مدارج السالكين : ابن القيم : جـ١ ، ص ٣٠٨

٢ - المرجع السابق : ص ٣٠٨

٣ - فتح الباري : ابن حجر : جـ١١ : كتاب الدعوات : باب فضل الإستغفار ، ص٩٧

٤ - المرجع السابق : ص٩٩ : انظر تفسير لا إله إلا أنت : ابن تيميه ص ٢٥

٢ - وفيه اعتراف بالذنب .

٣ - وفيه سؤال المولى عز وجل المغفرة .

مبدأ التوبة ومنتهاها :

لما كان إقتراف الذنب يعد بداية الانحراف عن الصراط المستقيم وعن جادة الصواب ، لذا كان مبدأ التوبة : الرجوع إلى الله تعالى . وذلك بسلوك صراطه المستقيم لقوله تعالى :

" وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ " [1] لهذا فهي واجب جديد يفرضه الشرع علينا على إثر تقصير في الواجب الأولي . [2] لقوله تعالى : " يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ " [3] وهنا أمر المولى عز وجل بالمبادرة إلى التوبة ، حيث لا إرجاء لها خوفاً من التعرض لخطر زوال فائدتها . حيث أن من أهم أخطارها الإستمرار في الوقوع في المعاصي وقد قال عز وجل في ذلك : " وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ " [4] وهذا هو نهايتها من حيث الرجوع إلى الله تعالى في الميعاد فمن رجع إلى الله وتاب حصل له الفوز في الدار الآخرة .

---

١ - سورة الأنعام : جزء من الآية ١٥٣

٢ - دستور الأخلاق في القرآن : محمد دراز : ط٤ : بيروت : مؤسسة الرسالة : ١٤٠٢ ، ص٢٥٠

٣ - سورة التحريم : جزء من الآية ٨

٤ - سورة آل عمران : الآية ١٣٥

المطلب الثالث : شرائط التوبه

لما كان شأن الإستغفار عظيماً ، كان وجوب التوبة و الإستغفار لقوله تعالى : "وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٣١ "(١) فهذا خطاب لأهل الإيمان بأن يتوبوا إلى الله تعالى ٠ و هنا علق سبحانه الفلاح بالتوبة كتعليق السبب بالمسبب و لا يرجى الفلاح إلا للمؤمنين التائبين ٠ لذا كان من الواجب ايضاح شرائط التوبه ٠

شرائط التوبة :-

١ - الندم على ما سلف من الماضي ٠

٢ - الإقلاع عنه في الحال ٠

٣ - العزم على أن لا يعود إليه في المستقبل ، و هذه الأمور الثلاثة في شأن ما كان بين العبد وربه ، أما ما كان بينه و بين الناس فقد اشترط شرطا رابعاً و هو رد المظالم إلى أهلها إن كانت عينيه و إن كانت غير ذلك أخبر به و طلب العفو منه؛و إن خشي عدم موافقة المجني عليه بالعفو تلطف له و أخبره بها و إلا استغفر له ٠

فإذا ما تحققت هذه الشروط دل على صحة توبته و قبولها أمور منها :-

١ - أن يكون العبد بعد التوبة خير مما قبلها ؛

٢ - أن لا يزال الخوف مصاحباً له لا يأمن مكر الله طرفة عين ٠

٣ - إنخلاع القلب و تقطعه ندماً و خوفاً ٠ (٢)

---

١ - سورة النور : جزء من الآية ٣١

٢ - انظر : إحياء علوم الدين : الغزالي : جـ٤،ص٣٨ ، ٤٩

قال ابن عباس : [ان للحسنه نورا فى القلب ، وضياءً في الوجه ، وقوة في البدن ، وزيادة في الرزق ، ومحبةً في قلوب الآخرين . وإن للسيئة سواداً في الوجه ، وظلمة في القلب ووهناً في البدن . ونقصاً في الرزق ، وبغضة في قلوب الخلق] (١)

لذا فإن من الواجب معرفة ممحصات هذه الذنوب للبعد عن إتيانها .

. . .

١ ـ انظر : مدارج السالكين : ابن القيم : ج ١ ، ص ٤٢٤

المطلب الرابع : ممحصات الذنوب

قال تعالى : " إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ " (١) فهذه الآية الكريمة تبين أن ما دون الشرك بالله من الذنوب يغفره الله تعالى إذا أتى الإنسان بواحد من أحد عشر سبباً من شأنها أن تكفر الذنب • فالذنب لا يوجب النار مطلقا إلا إذا إنتفت الأسباب المانعة من ذلك وهي أحد عشرة منها :-

أولاً : التوبة لقوله تعالى : " إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ " (٢) [فالتوبة سبب لغفران الذنوب وعدم المؤاخذة بها مما لا خلاف فيه بين الأمة] (٣) وهذا يعني عدم القنوط من رحمة الله تعالى كما في قوله : " قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ " (٤) وهذا لمن تاب واتقى •

ثانياً : الاستغفار : قال تعالى " وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ " (٥) فقد يكون الإستغفار دون الاقلاع عن العمل فإن الله تعالى قد يغفر له اجابة لدعائه وإن لم يتب فإذا اجتمعت التوبة والإستغفار

---

١ - سورة النساء : الآية ٤٨

٢ - سورة مريم : الآية ٦٠

٣ - العقيده الطحاويه : ابن المعز : ص ٣٦٨ : و في النسخة سببا •

٤ - سورة الزمر : الآية ٥٣

٥ - سورة الأنفال : الآية ٣٣

فهو الكمال . [1] أما إذا ذكر الإستغفار وحده فهو يشمل التوبة ، و إذا ذكرت التوبة وحدها شملت الإستغفار و هذا يبين أن التوبة تتضمن الإستغفار و الإستغفار يتضمن التوبة فكل منهما يدخل في مسمى الآخر عند الاطلاق،أما إذا اجتمعتا [فالإستغفار طلب وقاية شر ما مضى ، و التوبة : الرجوع و طلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله .] [2]

ثالثاً : الحسنات الماحية : لما كانت الحسنة بعشر أمثالها ، والسيئه بمثلها ، فالويل كل الويل لمن غلبت آحاده عشراته ، و قد قال تعالى : " إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ " [3]

و كذلك ينبغي أن تكون الحسنات من جنس السيئات فإنه أبلغ في المحو و هذه الحسنات إما مقدور عليها كحدود الشريعة و كفارتها الموجبة لحدها و كفارته إما العتق ، أو الهدى ، أو الصدقة ، أو الصيام ، و إما مطلقة كفتنة الرجل في أهله و ماله و ولده،و يكفرها الصلاة والصيام و الصدقة و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و قد دل على ذلك حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم عن أبي أمامة قال :(بينما رسول الله صلى الله عليه و سلم في المسجد و نحن قعود إذ جاء رجل فقال يا رسول الله إني أصبت حداً [3] فأقمه عليّ ، فسكت عنه رسول الله صلى الله عليه و سلم ، ثم أعاد فقال: يا رسول الله إني أصبت حدا فأقمه عليّ ، فسكت عنه و أقيمت الصلاة ، فلما انصرف نبي

---

١ - شرح العقيده الطحاوية : أبي العز ، ص ٣٦٨ . انظر : طريق الهجرتين و باب السعادتين : ابن القيم : تحقيق عمر أبو عمر : الطبعة الأولى : الدمام : دار ابن القيم : ١٤٠٩ هـ ، ص ٤٧

٢ - سورة هود : جزء من الآيه ١١٤

٣ - الحد : المقصود به كما في الحديث الذنب . والله أعلم .

الله صلى الله عليه وسلم قال أبو أمامه :فأتبع الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف واتبعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أنظر ما يرد على الرجل . فلحق الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى أصبت حدا فأقمه عليّ قال أبو أمامه : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرأيت حين خرجت من بيتك أليس قد توضأت فأحسنت الوضوء قال : بلى يا رسول الله قال : ثم شهدت الصلاة معنا فقال : نعم يا رسول الله قال : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : فإن الله قد كفر لك حدك أو قال : ذنبك .) (١)

وهذا يبين أن صلاة الرجل من الحسنات التي تذهب السيئات .

رابعاً : المصائب المكفرة : وهي كل ما يؤلم من هم وحزن أو أذى في مال أو عرض أو جسد أو غير ذلك ، وكونه ليس من فعل العبد ، وهذا ما جاء في قوله تعالى :

" مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ " (٢) قالت عائشة رضى الله عنها عن أبى بكر رضى الله عنه قال : لما نزلت " من يعمل سوءا يجز به " قال أبو بكر رضى الله عنه : يا رسول الله كل ما نعمل نواخذ به ، فقال :(يا أبا بكر أليس يصيبك كذا وكذا ، فهو كفارته) (٣) وجاء بمثله في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم :(ما يصيب المرء المسلم من نصب ، ولا وصب ، ولا هم

---

١ - صحيح مسلم : شرح النووى : جـ١٧ ، كتاب الذكر والدعاء : باب قوله تعالى :"أن الحسنات يذهبن السيئات"، ص ٨١ - ٨٢

٢ - سورة النساء : جزء من الآية ١٢٣

٣ - جامع البيان : الطبرى : جـ٥ ، ص ٢٩٤

ولا حزن ، ولا أذى، حتى الشوكة يشاك بها إلا كفر الله عنه بها من خطاياه) [1] (ابن آدم ان صبرت و احتسبت عند الصدمة الأولى، لم أرض ثوابًا دون الجنة .) [2]

ولما كانت المصائب كفارة للذنوب فالصابر عليها يثاب و الساخط يعاقب لحديث رسول الله صلى الله عليه و سلم : عن صهيب قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم :(عجبا لأمر المؤمن ان أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له و ان أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له .) [3]

السبب الخامس : شفاعة الرسول صلى الله عليه و سلم يوم القيامة وهى ثمانية أنواع [4] و فيها يستأذن محمد صلى الله عليه و سلم ربه ليشفع لهم فيؤذن له .

السبب السادس : شفاعة غيره من المؤمنين و هى شفاعة الشهداء لذويهم و شفاعة أهل القرآن لذويهم .

السبب السابع : دعاء المؤمنين و استغفارهم في الحياة و بعد الموت لحديث أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : (ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك و لك بمثل) [5]

---

١ ـ مسند الامام أحمد : جـ٣، ص٣٣٥ وفي رواية أبي سعيد : ما يصيب المؤمن : مسند الامام أحمد بن حنبل : جـ٣، ص٣٠٣، انظر العقيده الطحاويه : ابى العز ، ص ٣٦٩

٢ ـ سنن الحافظ أبي عبد الله محمد يزيد الزويني : ابن ماجه : حقق نصوصه : محمد فؤاد عبد الباقي : مطبعة البابي الحلبى : جـ١ ، كتاب الجنائز : باب ما جاء في الصبر على المصيبه : حديث رقم ١٥٩٧ ، ص ٥٠٩

٣ ـ صحيح مسلم : بشرح النووي : جـ١٨ : كتاب الزهد : باب أحاديث متفرقه ، ص١٢٥ ، انظر التذكره في أحوال الموتى وأمور الآخرة : محمد القرطبى : دار الكتب العلميه : ١٤٠٢ : جـ١ ، ص ٣٩ ، انظر : الطحاويه : ص ٣٧٠

٤ ـ انظر العقيدة الطحاوية : ص ٢٥٢ ـ ٢٥٨

٥ ـ صحيح مسلم : بشرح النووى : جـ١٧ ، كتاب الذكر والدعاء للمسلمين بظهر الغيب ، ص٤٩

السبب الثامن : ما يهدى للميت من الثواب و الصدقة و العتق وقد دل على ذلك الكتاب و السنة و القياس و الإجماع : كما جاء ذلك في قوله تعالى : " وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ " (١)

السبب التاسع : فتنة القبر ؛ و ما يلاقيه المرء من عذاب و سؤال الملكين ، و ما يكون من استقرار الروح إما الجنة أو السعير و العياذ بالله ، إلى غير ذلك مما تبتلى به الأمة في قبورها . (٢)

السبب العاشر : أهوال القيامة و ما فيها من أمور .

السبب الحادي عشر : عفو أرحم الراحمين من غير شفاعة لقوله : " وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ " (٣) فإن كان من لم يشأ الله أن يغفر له لعظم جرمه ، فلابد من دخول الكير ليخلص طيب إيمانه من خبث معاصيه . (٤) ثم لا يبقى خالداً في النار من قال لا إله إلا الله لحديث رسول الله صلى الله عليه و سلم عن عثمان قال : (من مات و هو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة) (٥)

و بهذه الأسباب الإحدى عشر تكون رحمة الله تعالى لعباده بأن يخلصهم من العذاب و غفران الذنوب بقدر ما كان من عمل . و الله أعلم .

---

١ - سورة الحشر : الآية : ١٠

٢ - انظر : العقيدة الطحاوية : في العقيدة السلفية : أبي العز الحنفي : جـ ٢ ، ص١٣٨

٣ - سورة النساء : جزء من الآية ٤٨

٤ - العقيدة الطحاوية : أبي العز ، ص ٣٧١

٥ - فتح الباري : ابن حجز : كتاب الجنائز : باب في الجنائز و من كان آخر كلامه لا إله إلا الله : جـ ٣ ، ص ١٠٩

المطلب الخامس : الربط بين الإستغفار و التوحيد

لما كانت هذه الممحصات ماحية للذنوب و مخلصة منها ، فهذا يدل دلالة قاطعة على مدى صلة الإستغفار بالتوحيد و قد قرن الله سبحانه و تعالى بين الإستغفار و التوحيد في كثير من الآيات الكريمة : كما في قوله تعالى :

" فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾ " (١)

و في هذا بيان للرسول صلى الله عليه و سلم أنه لا إله إلا الله و لا يستحق أحد العبودية إلا إياه و لا يدان بالربوبية إلا له ، و أمره أن يسأل الله تعالى المغفرة له و للمؤمنين و المؤمنات . (٢)

و قد جاء في كتابه : " الر ۚ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى " (٣)

و في الحديث (يقول الشيطان أهلكت الناس بالذنوب و أهلكوني بلا إله إلا الله و الإستغفار ، فلما رأيت ذلك بثثت فيهم الأهواء فهم يذنبون و لا يتوبون لأنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .) (٤)

---

١ - سورة محمد : الآيه ١٩

٢ - انظر : جامع البيان : الطبري : ج ٢٦ ، ص ٤٥

٣ - سورة هود الآيه ١ ، ٢ و جزء من الآيه ٣

٤ - مجموع الفتاوى : ابن تيمية : ج٣ ، ص١٢١

لهذا أخبر الله تعالى أنه يبتلى عباده بالحسنات و السيئات ، فالحسنات هي النعيم ، و السيئات هي المصائب ليكون العبد صبوراً شكوراً . وفي حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال : (و الذى نفسي بيده لا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له و ليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، و إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له .) (١)

و جماع ذلك أنه لابد للأمر من أصلين و لابد له من الإيمان بالقدر و ذلك أيضا على أصلين :
أما ما يكون من أمر التوحيد فعلى الإنسان الإجتهاد علماً و عملاً بما أمر الله به، و ما يصيبه المرء بعد ذلك من تفريط في العمل فعليه أن يستغفر و يتوب لتعديه لحدود الله، و هذا يتضح جلياً من مشروعية ختم الأعمال بالإستغفار، فكان النبي صلى الله عليه و سلم إذا فرغ من صلاته إستغفر ثلاثاً و جاء قوله تعالى : " و المستغفرين بالأسحار " أي بعد قيام الليل . (٢)

أما أصلين القدر فهو أن يعلم الإنسان أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، و أن ما أخطئه لم يكن ليصيبه و أن يستعين بالله في فعل ما أمر به ، و يتوكل عليه ، و يدعوه و أن يكون راغباً إليه ، في طلب الخير و ترك الشر .

---

١ - صحيح مسلم : بشرح النووى : جـ١٨ : كتاب الزهد : أحاديث متفرقه ، ص ١٢٥
أنظر الترغيب و الترهيب : عبد العظيم المنذرى : بيروت : دار الفكر : ١٤٠٨
جـ ٤ ، ص ٢٧٨

٢ - انظر : مجموع الفتاوى : ابن تيمية : جـ٣ ، ص ١٢٠

وقد جمع الله سبحانه وتعالى هذين الأصلين-الأمر ، والقضاء-
في كثير من الآيات الكريمة كما في قوله تعالى :
" إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ " [1] وقوله تعالى :
" وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝ " [2]

وفي هذا كمال العبودية لله تعالى في أمر توحيد الألوهيه والربوبيه فلك اللهم نذل ونخشع ونخضع ،وبك لا من سواك نستمد العون على عبادتنا إياك . [3]

وفي ذلك تمام الإيمان بالقضاء والقدر من الله تعالى .

وفي عبادتنا لله يجب أن تكون قائمة أيضا على أصلين :-

- الأصل الأول:توجيه خالص العبادة له وحده لا شريك له .

- الأصل الثاني:عبادة الله وفق ما جاء به رسوله صلى الله عليه وسلم .

لحديث ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
(ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من

---

١ - سورة الفاتحه : آيه ٥

٢ - سورة الطلاق : جزء من الآيه ٢ والايه ٣

٣ - انظر : جامع البيان : الطبرى : ج ١ ، ص ٦٩

الإيمان حبة خردل) (١)

ويتضح مما سبق أن أمور الفرد التي يقوم بها إن وافقت أمر الله تعالى فقد نجا وإن خالفتها فعليه أن يبادر بالتوبه و الندم لتحصل له المغفرة من الله تعالى حتى يلقى الله بقلب سليم .

. . .

---

١ - صحيح مسلم : بشرح النووي : كتاب الإيمان : باب وجوب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر : ج ٢ ، ص ٢٧

المبحث الثالث

حكم التماثيل و الصور

تمهيد

لمّا كانت التماثيل و الصور سبباً لظواهر أدت فيما بعد إلى عبادة الأوثان و أصل الشرك الذي حل بهذه البشريه ، و لمّا كان من أثره من ارسال الأنبياء عليهم السلام ليعيدوا الناس إلى جادة الطريق ، نهى الشارع سبحانه عن اتخاذها، لهذا نجد أن المسلمين قد أهملوا رسم كل ذي روح ، و عُدم النبوغ في هذا الجانب لأنهم متمسكون بخالص التوحيد . فكان تحريم تصوير كل ذي روح أمراً مقطوعاً على ذلك ، و لما حرمه تعالى من الشرك بالله، باتخاذ آلهة غيره أو من عبادة الأوثان . لذا نجدهم قد برعوا في جانب التشكيل الإسلامي للزخرفة الإسلامية و الإهتمام الشديد بروائع الخط العربي .[1] فما كان الإشراك بالله في قوم نوح إلا نتيجة التماثيل التي صنعوها و من ثم عبدوها من دون الله تعالى ، لهذا أرسل الله سبحانه و تعالى نوحاً عليه السلام إلى قومه ليدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، و من بعده، تتابع الرسل عليهم السلام بعد ما فسدت المعتقدات مرة أخرى بآلهة أخرى، سواء كانت متمثلة بالتماثيل و الصور أو الظواهر الطبيعية الأخرى، اتخذوها آلهة تعبد من دون الله تعالى حتى أرسل الله سبحانه و تعالى محمدا صلى الله عليه و سلم ، ينهى عن عبادة كل ما سوى الله تعالى، و يأمر بافراده بالعبادة .

---

١ - كنتم خير أمة أخرجت للناس : خير الله طلفاح : بغداد : مطبعة الارشاد : ١٩٧١ ، ص ٩٣

وقد انتشر فيمن أرسل إليهم محمد صلى الله عليه وسلم اتخاذ الأوثان آلهة تعبد من دون الله تعالى . وهكذا عادت عبادة الأوثان مرة أخرى ، لهذا نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن اتخاذها . وقد جاءت الأحاديث الكثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم دالة على تحريم تصوير كل ذي روح سواء كان آدمياً ، أو غيره وأمر عليه السلام بهتك الستور التي فيها الصور ، وأمر بطمس الصور ، وورد ذكر المصورين ، وأنهم أشد الناس عذاباً يوم القيامة ، ولحرصه صلى الله عليه وسلم على هذا الموضوع ولشدة خطورته ، بينه وحرص على توضيحه في آخر أيام حياته ، وأوصى عليه السلام أن لا يتخذ قبره مسجدا ونهى عن اتخاذ القبور مساجد ، ونهى عن العكوف على القبور والتمسح بها وتقبيلها والدعاء عندها ليسد باب الشرك ، لما ورد عن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في مرضه الذي مات فيه : (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مسجدا) (١)

واتفق العلماء على عدم تقبيل قبر الرسول صلى الله عليه وسلم أو غيره من قبور الأنبياء والصالحين ، أو صخرة الأقصى ، أو ركني الكعبة اللذين يليان الحجر الأسود ، ولا جدران البيت ، ولا مقام ابراهيم ولا غيره مما يظن أنه ذو تقديس ، لا يقبله الانسان ، ولا يشرع إلا تقبيل الحجر الأسود ، وقد ثبت عن عمر رضى الله عنه أنه قال : [والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني

---

١ - فتح الباري : ابن حجر : كتاب الجنائز : باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور : جـ ٣ ، ص ٢٠٠

رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقبلك ما قبلتك .]. و ما كان من دأب صحابة رسول الله صلى الله عليه و سلم أنهم عندما ذهبوا إلى بيت المقدس لفتحه لم يذهب أحد منهم إلى مغارة الخليل و لا غيرها من آثار الأنبياء ، فجدير بمسلمي اليوم أن يحذوا حذو رسول الله صلى الله عليه و سلم و صحبه ليكونوا بهذا متبعين لا مبتدعين و ليسدوا باب الشرك . (٢)

لهذا كان من الجدير بيان حكم التماثيل و الصور لكثرة ما وقع فيه الناس في هذه الأيام من اتخاذها زينة في البيوت و عادة في جميع أحوالهم و مناسباتهم ... و الله ولي التوفيق .

. . .

---

١ - انظر : مجموع الفتاوى : لابن تيميه : جـ١ ، ص ٤٦٠ ، ٤٦٧ . جـ١١ ، ص ٢٩٢ ، جـ ٢٧ ، ص ٧٩

المطلب الأول

حكم التماثيل و الصور في الشريعة الإسلامية

لقد نعى القرآن الكريم على التماثيل ، و شنع على من كان يعكف عليها وندد بمن اتخذ الأوثان و الأصنام آلهة من دون الله تعبد و لعن من يقوم على صنعها.

وقد جاء في قوله تعالى : " مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ " (1) وفي هذا ضلال مبين لمن اتخذها آلهة تعبد من دون الله تعالى .

و لما كانت دعوة الأنبياء عليهم السلام تدعوا إلى توحيد الله وتنهى عن الشرك به ،حرمت الشريعة السلامية التماثيل و الصور لأنها تؤدى إلى الشرك بالله .

---

١ - سورة الأنبياء : جزء من الآيه ٥٢، و الآيتان ٥٣ ، ٥٤

المطلب الثاني

الأدلة القاطعة على تحريم صنع التماثيل و الصور

أولاً : ما أورده البخاري في ذلك :ـ

الحديث الأول : ما روى عن ابن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال : (ان الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة ، يقال لهم : أحيوا ما خلقتم .) (١)

الحديث الثاني : عن عبد الله قال سمعت النبى صلى الله عليه و سلم يقول : (إن أشد الناس عذابا عند الله يوم القيامه المصورون .) (٢)

الحديث الثالث : عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : (إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة ويقال لهم : أحيوا ما خلقتم .) (٣)

الحديث الرابع : عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : (سمعت النبي صلى الله عليه و سلم يقول : (قال الله عز و جل : و من أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو شعيرة .) (٤)

---

١ - فتح البارى : ابن حجر : كتاب اللباس ، باب عذاب المصورين يوم القيامه : جـ ١٠ ص ٣٨٣

٢ - المرجع السابق ، ص ٣٨٢

٣ - ٤ - المرجع السابق : الجزء ١٣ ، كتاب التوحيد : باب و الله خلقكم وما تعملون ، ص ٥٢٨

ما أورده مسلم بهذا الشأن :

الدليل الأول : عن إبن عمر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : (الذين يصنعون الصور يعذبون يوم القيامه ، يقال لهم : أحيوا ما خلقتم .) (١)

الدليل الثاني : عن عبد الله إبن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : (إن أشد الناس عذابا يوم القيامه المصورون) (٢)

الدليل الثالث : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سمعت من رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : (كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفساً فتعذبه في جهنم .) (٣)

الدليل الرابع : عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : (من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح يوم القيامه و ليس بنافخ .) (٤)

الدليل الخامس : عن أبي زرعة رضى الله عنه قال : دخلت مع أبي هريرة في دار مروان فرأى فيها تصاوير فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : (قال الله عز وجل : و من أظلم ممن ذهب يخلق خلقا كخلقي فليخلقوا ذرةً أو ليخلقوا شعيرةً .) (٥)

فهذه الأحاديث و غيرها الكثير ، تدل دلالة صحيحة واضحة على تحريم تصوير كل ذي روح ، و تدل على تشديد الوعيد لمن صور هذه الصور و التماثيل و قد اتفق العلماء على تحريم تصويرها و صناعتها . إلا أن منهم من له إستثناء شيء منها و قد أوضحوا علة تحريم التصوير لعدة أمور .

١ـ ٢ـ ٣ـ ٤ـ صحيح مسلم : بشرح النووي كتاب اللباس و الزينة : باب تحريم تصوير صورة الحيوان ص ٩٢ ـ ٩٣ ؛ ج ١٤ .

٢ ـ المرجع السابق ، ص ٩٤

المطلب الثالث

علة تحريم التصوير

يتضح مما سبق من النصوص النبوية أن العلة في تحريم التصوير تكمن :-

أولاً : في مضاهاة خلق الله تعالى ، لما في ذلك من التشبيه بخلق الله تعالى و إنما يقال لهم أحيوا ما خلقتم ، فما كان نسبة خلقها لهم إلا تقريعاً لهم بمضاهاتهم لله تعالى في خلقه ، لهذا يقال لهم شابهتم بما صورتم مخلوقات الله تعالى ، فأحيوها كما أحيا هو خلقه . ولما كان أمرهم بنفخ الروح فيما صوره أمر تعجيز ، و نسبة الخلق إليهم إنما هي على سبيل التهكم و الإستهزاء . (١)

ثانياً : العلة في تحريم التصوير هي البعد عن مظاهر الوثنية و حماية العقيدة من براثن الشرك و عبادة الأوثان ، و ذلك كما دخلت الوثنية على الأمم السابقة و أول من دخلت إليهم من هذا الطريق هم قوم نوح كما سلف الذكر بهذا قال ابن عربي : [و الذي أوجب النهي في شرعنا - و الله أعلم - ما كانت العرب عليه من عبادة الأوثان و الأصنام فكانوا يصورون و يعبدون ، فقطع الله الذريعة و حمى الباب .] (٢)

---

١ - انظر : فتح الباري : ابن حجر : كتاب التوحيد : باب قوله تعالى و الله خلقكم و ما تعملون : جـ ١٣ ، ص ٥٣٥

٢ - أحكام القرآن : ابن عربي : بيروت : دار المعرفة : جـ٤ ، ص ١٦٠٠

المطلب الرابع

أدلة تحريم اتخاذ الصور و التماثيل

ما ورد في البخاري :-

الحديث الأول : عن عائشة رضي الله عنها قالت : قدم رسول الله صلى الله عليه و سلم من سفر و قد سترت بقرام [١] لي على سهوة [٢] لي فيها تماثيل ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه و سلم هتكه و قال : (أشد الناس عذاباً يوم القيامه الذين يضاهون بخلق الله . قالت : فجعلناه وسادة أو وسادتين) .

الحديث الثاني : و عنها رضي الله عنها قالت :(قدم النبي صلى الله عليه و سلم من سفر و علقت درنوكاً [٣] فيه تماثيل ، فأمرني أن أنزعه فنزعته). [٤]

الحديث الثالث : وعنها رضي الله عنها : أنها اشترت نمرقة فيها تصاوير فقام النبي صلى الله عليه و سلم بالباب فلم يدخل فقلت : (أتوب إلى الله ، ماذا أذنبت ؟ فقال : ما هذه النمرقة ؟ قلت : لتجلس عليها فتوسدها . قال : إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامه ، يقال لهم أحيوا ما خلقتم و ان الملائكة لا تدخل بيتاً فيه الصورة). [٥]

---

١ - القرام : بكسر القاف و تخفيف الراء : ستر فيه رقم ونقش وقيل ثوب من صوف ملون يفرش على الهودج .

٢ - السهوة : بسكون الهاء : صفة من جانب البيت و قيل الرف .

٣ - الدرنوك : بضم الدال و سكون الراء : ثوب غليظ له خمل إذا فرش كان كالبساط و إذا علق فهو ستر

٤ - فتح الباري : ابن حجر كتاب اللباس : باب ماوطئ من التصاوير : ج١٠ ، ص ٣٨٧

٥ - المرجع السابق : باب من كره القعود على الصور ، ص ٣٨٩

الحديث الرابع : عن يسر بن سعيد عن زيد بن خالد عن طلحة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة قال يسر : ثم اشتكى زيد فعدناه ، فإذا على بابه ستر فيه صورة ، فقلت لعبيد الله الخولاني ربيب ميمونه زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألم يخبرنا زيد عن الصور يوم الأول ؟ فقال عبيد الله : ألم تسمعه حين قال : إلا رقماً في ثوب). (١) متفق عليه و اللفظ للبخاري .

الحديث الخامس : عن أنس رضى الله عنه قال : كان قرام لعائشة سترت به جانب بيتها ، فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم :(أميطي عني ، فانه لا يزال تصاويره تعرض لي في صلاتي). (٢)

ما أورده مسلم بهذا الصدد :-

الحديث الأول : عن عائشه رضى الله عنها أنها قالت :(واعد رسول الله صلي الله عليه وسلم جبريل عليه السلام في ساعة يأتيه فيها، فجاءت تلك الساعة و لم يأته ، و في يده عصا فألقاها من يده و قال : ما يخلف الله وعده و لا رسله ثم إلتفت فإذا جرو كلب تحت سريره فقال : يا عائشه متى دخل هذا الكلب هنا ؟ فقالت : و الله ما دريت ، فأمر به فأُخرج ، فجاء جبريل،فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم : واعدتنى فجلست لك فلم تأت فقال : منعني الكلب الذي كان فى بيتك إنا لا ندخل بيتا فيه كلب و لا صورة . (٣)

---

١ - المرجع السابق : باب من كره التعود على الصور ، ص ٣٨٩

٢ - المرجع السابق : باب كراهة الصلاة فى التصاوير ، ص ٣١٩

٣ - صحيح مسلم : بشرح النووى : كتاب اللباس ج٤ تحريم تصوير صورة الحيوان ، ص ٨١ - ٩٢

الحديث الثاني : عن عائشة قالت : كان لنا ستر فيه تمثال طائر وكان الداخل إذا دخل استقبله فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : (حولي هذا فإني كلما دخلت فرأيته ذكرت الدنيا) . (١)

وعنها قالت : دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مستترة بقرام فيه صورة فتلون وجهه ثم تناول الستر فهتكه ثم قال : (إن من أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يشبهون بخلق الله) . (٢)

وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة وردت في البخاري ومسلم .

. . .

---

١ - ٢ - صحيح مسلم : بشرح النووي : كتاب اللباس في تحريم تصوير صورة الحيوان ص ٨١ - ٩٢

المطلب الخامس

ما يباح من الصور و التماثيل

يباح من الصور و التماثيل ما يلي :ـ

١ ـ كل صورة أو تمثال لما ليس بذي روح كتصوير الجمادات و الأنهار و المناظر الطبيعية التي ليست بذات روح لحديث إبن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول :(كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفساً فتعذبه في جهنم ، و قال : إن كنت لابد فاعلاً فا صنع الشجر و ما لا نفس له)٠ (١)

٢ ـ كل صورة ليست متصلة الهيئة كصورة اليد وحدها مثلا أو العين أو القدم فإنها لا تحرم لأنها ليست كاملة الخلق لحديث عائشة : فقطعتها فجعلت منها وسادة أو وسادتين ، و بهذا تغيرت الملامح ٠

٣ ـ يستثنى من التحريم لعب البنات و جواز ذلك لما فيه من تدريب النساء في صغرهن لأمر أنفسهن و بيوتهن و أولادهن ٠ لحديث عائشة رضى الله عنها أنها كانت تلعب بالبنات عند رسول الله صلى الله عليه و سلم قالت : و كانت تأتيني صواحبي فكن ينقمعن من رسول الله صلى الله عليه و سلم قالت : فكان رسول الله صلى الله عليه و سلم يُسر بهن إلي) ٠ (٢)

---

١ ـ المرجع السابق ، ص ٩٣ : ج١٤

٢ ـ المرجع السابق : كتاب الفضائل : باب عائشة رضى الله عنها : ج ١٥ ، ص ٢٠٤

المطلب السادس

أقوال العلماء في التصوير

أولا : أقوال الفقهاء في حكم التصوير :

ما قاله الشافعية في ذلك :

إذا دُعي إنسان إلى وليمه وكان في البيت صور حيوان، إن كان على بساط يداس أو مخدة يتكئ عليها جلس ، لما سبق من الأحاديث ، وإن كانت على حائط أو ستر معلقة لم يجلس [١] لما سبق من حديث تأخر جبريل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقالوا إن قدر على إزالة الصور وجب عليه حضور الدعوة ، وإن لم يقدر على ذلك حرم عليه حضورها إن كانت بمحل الدعوة ، أما إن كانت في غيرها فيكره له ذلك . [٢]

وبهذا فإن لدخول البيت الذى فيه الصور وجهان :

الأول قالوا : بالتحريم : منهم الشيخ أبو محمد وكما فى البيان أن عامة الأصحاب قالوا بالتحريم .

الثانى : قالوا بالكراهة : كما قال بذلك صاحب التقريب والصيدلانى ، ورجحه الامام الغزالى فى الوسيط وفى الشرح الصغير عن الأكثرين أنهم مالوا إلى الكراهة وصوبه الأسنوى وهذا هو الراجح كما جزم به صاحب الأنوار .

---

١ - انظر المجموع شرح المهذب : أبى زكريا النووى : م ١٦ : دار الفكر ، ص ٤٠٠

٢ - انظر نهاية المحتاج الى شرح المنهاج : محمد بن عباس الشافعى : بيروت : دار احياء التراث العربى : جـ ٦ ، ص ٣٦٩

ومن هنا خلص شارح المناهج [١] إلى القول بأن في ذلك خلاف في مسألة الدخول غير مسألة الخروج . [٢]

وتخلص من هذا : إن كان في مكان الحضور صور وتماثيل فيحرم الجلوس وإن كان في ممر ونحو ذلك فكراهة الحضور . والله أعلم .

---

١ ـ محمد الشربيني : شارع مغني المحتاج .

٢ ـ انظر : معنى المحتاج : الى معرفة معانى ألفاظ المنهاج : شرح محمد الشربينى الخطيب : بيروت : دار أحياء التراث العربى : ج٣ ، ص ٢٤٧

ما قاله الحنابلة في ذلك :

قال إبن قدامة : وصنعة التصاوير محرمة على فاعلها لحديث أنهم يعذبون يوم القيامة ، وقال : دخول المنزل الذى فيه صور فليس محرم وإنما أبيح ترك الدعوة من أجله عقوبة للداعي باسقاط حرمته لايجاد المنكر فى داره ، ولا يجب على من رآه في منزل الداعي الخروج . (١)

ونقل أيضا : إن شاهد ستوراً معلقة فيها صورة حيوان كره جلوسه ما دامت معلقة قال : في الانصاف والمذهب لا يحرم . (٢)

وقد استندوا فى ذلك إلى شرط عمر رضى الله عنه على أهل الذمة أن يوسعوا أبواب كنائسهم وبيعهم ليدخلها المسلمون للمبيت بها والمارة بدوابهم - وروى ابن عائد فى فتوح الشام أن النصارى صنعوا لعمر رضى الله عنه حين قدم الشام طعاماً فدعوه ، فقال أين هو ؟ قالوا في الكنيسه فأبى أن يذهب ، وقال لعلي امض بالناس فليتغدوا ، فذهب على رضى الله عنه بالناس فدخل الكنيسة وتغدى هو والمسلمون وجعل على ينظر إلى الصور وقال : ما على أمير المؤمنين لو دخل فأكل ، وهذا اتفاق منهم على اباحة دخولها وفيها صور ، أما كون الملائكة لا تدخلها : لا يوجب تحريم دخوله علينا . (٣)

---

١ - المغنى : موفق الدين ابن قدامة : بيروت : دار الكتاب العربى : جـ٨ : ص١٣٩، ١١٢

٢ - شرح منتهى الإرادات : منصور البهوتي : بيروت : عالم الكتب : جـ ٣ ، ص ٨٨

٣ - انظر المغنى : ابن قدامة : جـ ١٨ ، ص ١١٣

ما ورد عن المالكية :

قالوا تسقط إجابة الدعوة إذا وجد صور على جداره فمن شروط إجابة الدعوة عندهم أن لا يكون صورة مجسده على الجدار كصور السباع التى لها ظل و لو لم يدم فان كان له ظل و يقيم فهو حرام بإجماع وكذا يحرم كالعجين خلافا لا صنيع . لما ثبت بتعذيب المصورين يوم القيامه .

و قالوا ان كان التصوير بغير ظل و غير ممتهن فمكروه ، وإن كان ممتهنا فتركه أولى .[1] ونقل عن الفضل : إذا رأى صورا على الستر لم يكن رآها حين دخل قال هو أسهل من أن يكون على الجدار، و قيل فان لم يره إلا عند وضع الخوان* بين أيديهم أيخرج ؟ فقال لا تضيق علينا ، و لكن إذا رأى هذا وبخهم و نهاهم ، و هذا يعنى أنه لا يخرج .[2]

---

١ - انظر الخرشي : على مختصر سيدى خليل : دار صادر : جـ ٣ ، ص ٣٠٣

* الخوان : الطعام .

٢ - انظر المغنى : ابن قدامة : جـ ٨ ، ص ١١٢

ثانياً : أقوال المفسرين في حكم التصوير :

قال القاضى إبن عربى فى ذلك :

تبين بهذه الآحاديث السابق ذكرها ـ أن الصور ممنوعة على العموم . ثم جاء إلا ما كان رقما فى ثوب ، فخص من جملة الصور .

ثم بقول الرسول صلى الله عليه و سلم لعائشة في الثوب المصور ، أخريه عنى فانني كلما رأيته ذكرت الدنيا فثبتت الكراهة فيه .

ثم بهتك النبى صلى الله عليه و سلم الثوب المصور لعائشة رضى الله عنها منع منه .

ثم بقطعها منها وسادتين حتى تغيرت الصورة و خرجت عن هيئتها ، بان جواز ذلك إذا لم تكن الصورة فيه متصلة الهيئة ، وإذا كانت متصلة الهيئة لم يجز ، لقولها رضي الله عنها في النمرقة المصورة : اشتريتها لك لتقعد عليها و تتوسدها ، فمنع منه عليه السلام و توعد عليه .

و تبين بحديث الصلاة إلى الصورة أن ذلك كان جائزاً في الرقم في الثوب ، ثم نسخه المنع ، فهكذا استقر فيه الأمر . و الله أعلم .

و قال الألوسي في ذلك :

[الحق أن حرمة تصوير الحيوان كاملاً لم تكن في شريعة سليمان عليه السلام ، و إنما هي في شرعنا . و لا فرق عندنا بين أن تكون الصورة ذات ظل أو لا تكون . كذلك كصورة الفرس المنقوشة على كاغد (٣) أو جدار .

---

١ ـ أحكام القرآن : ابن عربي : جـ ٤ ، ص ١٦٠٢

٢ ـ روح المعاني : الألوسي : جـ ٢٢ ، ص ١١٩

٣ ـ الكاغد : هو القرطاس و هي فارسيه : انظر المنجد ، ص ٦٨٩

وقد ورد في شرعنا تشديد الوعيد على المصورين ما ورد ،
فلا يلتفت إلى غيره ، ولا يصح الإحتجاج بالآيه] . [1]

وقال القرطبي : لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المصورين ولم يستثن . وقال : ان أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة ، يقال لهم : أحيوا ما خلقتم وغيرها من الأحاديث التي تدل على المنع من تصوير كل ذي روح . [2]

ثالثاً : أقوال المحدثين في حكم التصوير :-

قال الإمام النووي رحمة الله في ذلك : إن ما ورد في شأن قوله صلى الله عليه وسلم : أشد الناس عذاباً المصورون ، فقيل هي محمولة على من فعل الصورة لتعبد ، وهو صانع الأصنام ونحوها ، فهذا كافر ، وهو أشد عذاباً .
أما إذا صنعها مضاهياً خلق الله تعالى ، واعتقد ذلك ، فهذا كافر ، له من أشد العذاب ما للكفار ، ويزيد عذابه بزيادة قبح كفره .
أما من لم يقصد بها العبادة ولا المضاهاة فهو فاسق صاحب ذنب كبير ، ولا يكفر كسائر المعاصي ، [3] وصنعته حرام بكل حال سواء كان ممتهنا أو غير ذلك . [4]
وقد حمل إلاّ ما كان رقماً في ثوب على : أنه محمول على رقم على صورة الشجر وغيره مما ليس بحيوان . [5] وهذا جائز .

---

١ - المقصود بها : آيه ١٣ من سورة سبأ : في شأن التماثيل والمحارب .

٢ - روح المعاني : الألوسي : ج ٢٢ ، ص ١١٩

٣ - الجامع لأحكام القرآن : القرطبي : ج ١٤ : كتاب اللباس والزينه : باب تحريم تصوير صورة الحيوان ، ص ٢٧٤

٤ - صحيح مسلم بشرح النووي : ج١٤ ، ص٩١

٥ - المرجع السابق ، ص ٨١

٦ - المرجع السابق ، ص ٨٥

وأما اتخاذ الصور ما فيه صورة حيوان ، فإن كان معلقا على حائط أو ثوبا ملبوسا أو عمامة ونحو ذلك ممنا لا يعد ممتهنا فهو حرام . وإن كان في بساط يداس ومخدة ونحوها مما هو ممتهن فليس بحرام،ولكن يمنع دخول ملائكة الرحمة دون غيرهم من الكتبة المكلفين بكتابة الأعمال فانهم يرافقون الإنسان كل حال لأنهم مأمورون بإحصاء أعمالهم وكتابتها .(١)

و قال الإمام ابن حجر :

إن دلالة حديث رسول الله صلي الله عليه وسلم كان يهتك الثوب وينقض الستر يدل دلالة واضحة علي أنه صلى الله عليه وسلم كان ينقض الصورة سواء كانت مما له ظل أم لا ، وسواء كانت مما توطأ أم لا ، سواء في الثياب وفي الحيطان وفي الفرش والأوراق وغيرها . (٢)

أما ما ذكره الشيخ الصابوني (٣) من أن ابن حجر قال : حاصل ما في اتخاذ الصور أنها ان كانت ذا أجسام حرم بالإجماع ، وإن كانت رقماً في ثوب فعلى أربعة أقوال وأوردها في كتابه .
فإنه تجدر الملاحظة إلى أن هذا قول ابن عربي وقد نقله ابن حجر عن ابن عربي ، وبهذا نخلص الى :-

أولاً : إن صناعة التماثيل والصور محرم لدى جميع العلماء .
ثانياً : أن الصور إن كانت ذات ظل حرمت بإجماع العلماء .

---

١ - المرجع السابق : ص ٨١ ، ٨٤
٢ - فتح الباري : ابن حجر : جـ ١٠ : كتاب اللباس : باب نقض الصور ، ص ٣٨٥
٣ - انظر روائع البيان : للصابوني : دار احياء التراث العربي: جـ٢ ،ص٤١٥

ثالثاً : إذا كانت الصور في ثوب فعلى أربعة أقوال :

١ – قالوا بالإباحة المطلقة و هو ضعيف ، لأن حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه أمر بهتك الصور جاء ناسخاً لحديث إلا ما كان رقما في ثوب ، و قد يقصد بالرقم كل رسم لغير ذي روح ·

٢ – قالوا بالمنع مطلقا عملا بحديث أن الوسائد التي قطعتها عائشة قد غيرت من معالم الصورة و هيئتها فلم يعد هناك صورة ·

٣ – اتفق الجميع على كراهة تعليقها إلا أن منهم من رفعها الى درجة التحريم ، و لم يجزها أحد ·

٤ – إن كانت مما يمتهن كبساط أو وسائد صغيره تمتهن جاز استخدامها و الأولى تركها إن كانت ظاهرة المعالم ·

· · ·

المطلب السابع

حكم التصوير الفوتوغرافي

إختلف العلماء في حكم التصوير الفوتوغرافي ، فمنهم من جوزه ، ومنهم من أطلق عليه بالتحريم .

القائلون بإباحة التصوير :-

أولاً / ما قاله الشيخ السايس رحمة الله : ولعلك تريد بعد ذلك أن تعرف حكم ما يسمي بالتصوير الشمسي أو الفوتوغرافي فنقول : يمكنك أن تقول فيه إن حكمها حكم الرقم في الثوب ، وقد علمت استثناءه نصا . ولك أن تقول إن هذا ليس تصويرا بل حبس للصورة وما مثله إلا كمثل الصورة في المرآه .

لا يمكنك أن تقول إن ما في المرآة صورة وإن أحدا صورها ، والذي تصنعه آلة التصوير هو صورة لما في المرآه .

غاية الامر : أن المرآة الفوتوغرافية تثبت الظل الذي يقع عليها ، والمرآه ليست كذلك ، ثم توضع الصورة أو الخيال الثابت في العفريتة في حمض خاص فيخرج منه عدة صور . وليس هذا بالحقيقة تصويراً فإنه إظهار واستدامة لصور موجودة وحبس لها عن الزوال .

فإنهم يقولون إن صور جميع الأشياء موجودة غير أنها قابلة بالانتقال بفعل الشمس والضوء مالم يمنع من انتقالها مانع ، والحمض هو ذلك المانع .

وما دام في الشريعه فسحة بإباحة هذه الصور كإستثناء الرقم في الثوب ، فلا معنى لتحريمها خصوصا وقد ظهر أن الناس يكونون في أشد الحاجة إليها . (١)

---

١ - تفسير آيات الأحكام : محمد علي السايس : مطبعة الصبيح : جـ٤ ، ص ٦١

إنتهى كلام الشيخ رحمة الله تعالى ، وهو بهذا يجد أن الصور الفوتوغرافيه في حلة من الأمر آخذا في هذا حالها حال الصورة في المرآه .

ثانياً : ما أورده الشيخ يوسف القرضاوي حيث قال : الذي هو عبارة عن حبس الظل بالوسائط المعلومة لأرباب هذه الصناعة ـ ليس من التصوير المنهي عنه في شئ ، لأن التصوير المنهي عنه هو ايجاد صورة و صنع صورة لم تكن موجودة و لا مصنوعة من قبل يضاهي بها حيوانا خلقه الله تعالى ، وليس هذا المعني موجودا في أخذ الصورة بتلك الآلة . (١)

و بهذا يظهر من تحليل كل من الشيخين بجواز التصوير الفوتوغرافي لما ذهبا إليه من أسباب ، إلا أن هذا و الله أعلم من باب التحايل على الشريعة الإسلامية ، حيث هو لا يخرج في حكمه من كونه صورة ملتقطة .
وإلا كنا كمن يعلل الأسباب ، و ايجاد حيل لتحلل بها ما حرم الله تعالى و العياذ بالله .

فلا يخرج من صور هذه الصورة عن اسمه أنه مصور ، و لا تخرج الصورة عن هذا المسمى . و إن تعددت الأسباب في ايجادها فحكمها حكم التصوير بالرسم ، و الله أعلم .

أما ما قال به الشيخ السايس رحمه الله : بأن حكمها يأخذ حكم الأخذ ما كان رقما في ثوب :
فقد سبق الذكر إلى أن الرقم في الثوب قد يكون المقصود به أنه صورة لغير ذي روح ، كما ذهب بهذا النووي رحمه الله .
و يمكن القول أيضا : أن الرسول صلي الله عليه و سلم أمر بهتك الستر التي فيها التصاوير و جعلها و سادتين لتتغير ملامح الصورة و تصبح غير واضحة .
و الله أعلم .

---

١ ـ الحلال و الحرام في الاسلام : يوسف القرضاوي : المكتب الاسلامي : ط ١٢ ١٣٩٨ ، ص ١١٢

القائلون بتحريم التصوير :-

قابل بعض العلماء القائلين بإباحة التصوير بأدلة واضحة و صريحة منها ما هو عقلي و منها ما هو نقلي صحيح بتحريمه منهم :-

أولاً : ما قاله الشيخ مصطفي الحمامي : و اني أحب أن تجزم الجزم كله أن التصوير بآلة التصوير - الفوتوغرافي - كالتصوير باليد تماماً فيحرم علي المؤمن تسليطها للتصوير ، و يحرم عليه تمكين مسلطها لإلتقاط صورته بها ، لأنه بهذا التمكين يعين علي فعل محرم غليظ . (١)

و علل ذلك بأنه لا فرق عنده من أن نقتل انسانا بأن تسلط عليه أسد أو ضربه بصعقة كهربائية ، أو وضع السم له في الطعام ، ففي كل الحالات هو ميت ، حيث أن القتل أن تزهق روحه بأي وسيلة كانت .

و قال : إن هذه الآلة المصورة لا يتضح ما صورته ، و يحكم عليه بأنه صورة بمجرد توجيهها إلى ما يراد تصويره ، حتى أنه يقال إنه لا دخل للإنسان فيه ، بل للمصور بعد ذلك التوجيه ، أعمال كثيرة حتي تتضح الصورة . ولولا تلك الإجراءات ما تضحت صورة و لا كان تصوير .

و هذا مجمل ما قال فضيلة الشيخ مصطفى الحمامي و علل وجهة التحريم بأن للانسان كل الدخل في إخراج هذه الصورة .

ثانياً :- ما قاله الشيخ محمد بن ابراهيم مفتي الديار السعودية رحمه الله في رسالة له : و من أعظم المنكرات تصوير ذوات الأرواح واتخاذها و استعمالها ، و لا فرق بين المجسدة و ما في الأوراق مما أخذ بالآلة .

كما أن المستفاد من مجموع الأحاديث / شدة وعيد المصورين بالنار و باللعن ، و أنهم من أظلم الظالمين .

---

١ - النهضة الاصلاحية للأسرة الإسلامية : مصطفى حمامي : انظر ، ص ٢٦٤-٢٦٥

و أن التصوير حرام بجميع أنواعـه و على اي وجه كان للإتيان بصيـغ العموم مثل قوله عليه الصلاه و السلام (كل مصور في النار) و قوله (من صور صـورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح) و قوله (ان الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة) فلفظ كل ، و من ، و الذين ، كلها من صيغ العموم فأين يذهب من أباح شيئا من أنواع التصوير و قسمه الى محرم و مكروه ومباح و اللـه المستعان (١)

ثالثاً : ما قاله فضيلة الشيخ الشوكاني : و قـد قال في الصورة عمومـاً حديث : (من صـور صورة عذبه الله بها يوم القيامة حتى ينفخ فيها الرو ح و ما هو بنافخ) و قـال : قال القاضي بعدم الفرق بين المطبوع مـن الصور و المستقل ، لأن اسم الصورة صادق على الكل ، إذ هي كما في كتـب اللغة الشكـل ، و هو يقـال لما كان منهـا مطبوعا على الثياب شكلاً (٢)

رابعاً : ما قاله فضيله الشيخ عبد العزيز بن باز : التصوير الفوتوغرافـي الشمسي من أنواع التصوير المحرم ، فهو و التصوير عن طريق الصبغ بالألوان و الصور المجسمه سواء في الحكم ، و الاختلاف في وسيلة التصوير و آلتـة لا يقتضي إختلافاً في الحكم ، و كذلك لا أثر للإختلاف فيما يبذل من جهد فـي التصوير صعوبة و سهولة في الحكم أيضاً ، و إنما المعتبر الصورة ، فهي محرمـة و إن اختلفت وسيلتها و ما يبذل فيها من جهـد . (٣)

خامساً : ما قاله فضيله الشيخ صالح الفوزان : إن التصوير بجميع أنواعه تماثيل أو غير تماثيل ، منقوشا باليد أو فوتوغرافيا مأخوذا بالآلة كله حرا م

---

١ - انظر : حكم الاسلام في التصوير : مجموعة من العلماء : جدة : مكتبة الضياء ، ص ٥٤

٢ - نيل الأوطار : الشوكاني : بيروت : دار الكتب العلمية : جـ٢ ، ص١٠٥

٣ - الجواب المفيد في حكم التصوير : عبد العزيز بن باز : ط١ : دار المجتمع ١٤٠٨ ، ص ٤٠

و إن كل من حاول إباحة شئ منه فمحاولتـــه باطلة ، و حجتـــة داحضـــه ، و اللـــه المستعان . (١)

سادساً : ما قاله فضيله الشيخ محمد ناصر الدين الألبـــاني :

قال : إن تعليق الصور على الجدران ، سواء كانت مجسمة أو غير مجسمة ، لها ظـــل أو لا ظل لهـــا ، يدوية أو فوتوغرافية ، فإن ذلك كله لايجـــوز ، و يجب على المستطيع نزعها إن لم يستطيع تمزيقها . (٢)

و قـد نقل فضيلته في رسالته قول الرسول صلى الله عليه و ســـلم :ـ

(قاتل الله اليهـــود ، إن الله لما حـرم شحومها جملوها ـ أي ذوبوه ـ ثم باعوه و أكلوا ثمنـــــه) (٣)

و لهذا حذرنا صلى الله عليه و سلم من اتباع سننهم فقال : (لا ترتكبـــــوا ما ارتكب اليهود فتستحلوا محارم الله بأدني الحيل) (٤) و سند هذا الحـديث جيـــد كما قال ابن تيميه و ابن كثير ، و لكن ذلك كله ما أغني شيئا بعـــض هـــؤلاء المتشبهين بهـــم ، لهوى في نفوسهـم ، اعاذنا الله منه . و ناقـــــش فضيلته من قال بالإباحة قوله : و قريب من هذا ، تفريق بعضهم بين الرسم باليد و بين التصوير الشمسي بزعم أنه ليس من عمل الإنسان ، و ليس من عمله فيه إلا إمساك الظل فقط ـ كذلك زعموا .

أما ذلك الجهد الذي صرفه المخترع لهذه الآلة حتى إستطاع أن يصور في لحظة ما لا يستطيعه بدونها في ساعات ، فليس من عمل الإنسان عند هؤلاء .

و كذلك توجيه المصور للآلة و تسديدها نحو الهدف المراد تصويره ، و قبيـــــل ذلك تركيب ما يسمونه بالفلم ثم بعد ذلك لتحميضه و غير ذلك مما لا أعرفه ، فهذا أيضا ليس من عمل الإنسان عند أولئك .

---

١ ـ حكم الإسلام في التصوير : مجموعة من العلماء ، ص ٥٨

٢ ـ المرجع السابق ، ص ٦٠

٣ ـ فتح الباري : ابن حجر : جـ٨ ج كتاب التفسير : باب "و على الذين هادوا حرمنا" ، ص ٢٩٥

٤ ـ انظر حكم الإسلام في التصوير : ص٦٤ ، و قد نقل الحديث عن ابن بطه في جزء ابطال الحيل ، ص ٢٤

وقد ذكر الأستاذ أبو الوفا درويش : إنّ لمراحل أخذ الصورة إحدى عشر مرحلة . وفي زعمه ـ أن هذه الصورة ليست من عمل الإنسان ـ وقد رد عليه فضيلة الشيخ محمد بن ابراهيم أن المبيحين للتصوير الشمسي جحدوا طريقة التصوير التي كانت معروفة في عهد النهي عنه ، ولم يلحقوا بها هذة الطريقة الجديدة من التصوير الشمسي مع أنها تصوير لغة وشرعاً وأثراً وضرراً

ولقد خاطب أحد القائلين بهذا الأمر من الإباحة : يلزمكم على هذا أن تبيحوا الأصنام التي لا تنحت نحتا وإنما بالضغط على الزر الكهربائي الموصول بآلة خاصة تصور عشرات الأصنام في دقائق كما هو معروف بالنسبة للعب الأطفال ونحوها من تماثيل الحيوانات فماذا تقولون في هذا ؟
فبهت . (١)

سابعاً : ما ذكره الشيخ الصابوني :ـ

قال في ذلك : إن التصوير الفوتوغرافي لا يخرج عن كونه نوعاً من أنواع التصوير ، فما يخرج بآلة يسمى صورة ، والشخص الذي يحترف هذة الحرفة يسمى في اللغة مصوراً .

فهو وإن كان لا يشمله النص الصريح ، لأنه ليس تصويرا باليد ، وليس فيه مضاهاة لخلق الله ، إلا أنه لا يخرج عن كونه ضرباً من ضروب التصوير ، فينبغي أن يقتصر في الإباحة على حد الضرورة . (٢)
وبهذا نخلص إلى أن ما قاله العلماء في التصوير : أنه يستوي فيه ما له ظل ومما ليس فيه ظل سواء ، ومما هو صور عن طريق الرسم أو الآلة لأن كلا الأمرين تصويراً . إلا ماإتفق عليه العلماء واستثنوه للضروره القصوى . كصورة البطاقة

---

١ ـ انظر حكم الإسلام في التصوير : مجموعة من العلماء ، ص ٦٦
٢ ـ روائع البيان : محمد الصابوني : دمشق : دار إحياء التراث العربي مكتبة الغزالي : جـ ٢ ، ص ٤١٦

الشخصية ، وجواز السفر ، وما له ضرورة قصوى كنشر صور المجرمين والمشبوهين الفارين المراد القبض عليهم جراء ما يحصل من إفساد لهم في الأرض .
ونحو ذلك . والله أعلم .

. . .

المطـــلب الثامـــــــن

حكـــم التصويـــر بكاميـــرا الفيديو و التلفاز

قال العلمـــاء في ذلك : و أما التليفزيون فآلة لا يتعلق بها فـــي نفسها حكم ، و إنما يتعلق الحكم بإستعمالها .

فإن إستعملت في محرم كالغناء الماجن و إظهار صور فاتنه و تهريج و كـذب و إفتراء و إلحاد و قلب للحقائق و إثارة الفتن ، إلي أمثال ذلك ، فذلـــك حرام .

و إن استعمل في الخير كقراءه القرآن ، و إبانة الحق ، و الأمر بالمعـــروف و النهي عن المنكر ، إلي أمثال ذلك ، فذلك جائز .

و إن استعمل فيهما : فالحكم التحريم إن تساوى الأمران ، أو غلب جانـــب الشر فيـــه .

كلمـــة أخيـــرة :

نستطيع أن نختتم هذا الحديث بحديث رسول الله صلي الله عليه و سلم ، عن النعمان بن بشير قال : سمعت رسول الله صلي الله عليه و سلم يقول : و أهوى النعمان بإصبعه إلي أذنيه (إن الحلال بين و إن الحرام بين و بينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينـــــــه وعرضـــه ، و من وقع في الشبهات وقع في الحرام ، كالراعي يرعى حـــــول الحمي يوشك ان يرتع فيه ، ألا و إن لكل ملك حمى ، ألا و إن حمى اللـــه محارمه ، ألا و إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله و إذا فسدت فسد الجسد كله ألا و هي القلب). (١)

---

١ - صحيح مسلم : بشرح النووي : جـ١٠ : كتاب البيع : باب أخذ الحلال و ترك الحرام ، ص ٢٧

فإذا ما كان في حكم التصوير أقوال و الراجح منها الأخذ بالتحريم .
و أن من سلك طريقاً لإباحتها لهوى في نفسه زاعما بهذا أن مظاهر الوثنية قد طمست و بعدت و أنه لاشك في أن تقود البشرية إلى الهلاك ، كما كان صنيع قوم نوح عليه السلام .
فنقول له : ما هذا ببعيد على بشر ، و الشيطان أقسم أمام رب العزة و الملائكة أجميعين أن يقعد لعباد الله الطريق المستقيم .
علاوة على ذلك أنها ـ عبادة الأوثان ـ عادت بعد فترة زمنية طويلة تعبد مرة أخرى في قوم إبراهيم عليه السلام ، و ما وصل الى قوم محمد صلى الله عليه و سلم فزمنه ليس باليسير قطعا و مع ذلك نجد أن مظاهر الوثنية تتجدد و تعود من فتره لأخرى . لما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما (صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد ، أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل ، و أما سواع فكانت لهذيل ، و أما يغوث فكانت لمراد ، ثم لبني غطيف بالجرن عند سبأ ، و أما يعوق فكانت لهمدان ، و أما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع . (1)
فهذا الحديث يدل دلالة واضحة رغم فارق الزمن البعيد ، إلا أن الوثنية دبت جذورها من جديد ، بنفس أصول الوثنية الأولى .

و هذا غير بعيد في زماننا : فإن كثير من المساجد في مختلف البلاد العربية خاصة و الإسلامية عامة ، ما زالت تتضرع إلي الضروح و الأقبية ، و هذا مظهر لا يدعو إلي الإطمئنان ، فكيف يحلو لمن يحاول أن يجد فسحة في الإباحة للصور .
رغم أننا في مدنية القرن العشرين الذي وصلت التكنولوجيا فيه إلى القمة في

---

١ ـ فتح الباري : ابن حجر : كتاب التفسير : باب ود ولا سواع ، ص٦٦٧
انظر الأحاديث القدسيه و منزلتها : شعبان إسماعيل : الرياض : دار المريخ : ١٤٠٢ هـ ، ص ١١٤

جميع مجالات العلوم ، و مع ذلك نجد أن هذه الخرافات و المظاهر تسيطر عليه
أضف الى ذلك ما يفرّض من تعليق صور الملوك و السلاطين في ديوان العمل
في كل أقطار المعمورة ، زيادة في تعظيمهم و التقرب منهم .
و أخيرا يكفي فيها حكماً ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه و سلم عن قول
صحيح و أنها سبب لفساد العقائد و إدخال تعدد آلهة أخرى تعبد من دون الله
تعالى ؟ حيث تمثل الشرك في صورته الإعتقاديه بوجود آلة غير الله سبحانه
و تعالى ، و من ثم كان في صورته العملية في توجيه العبادة لغير الله تعالي .
و هذا الذي من أجله رفض مشركو العرب أن ينطقوا بلا إله إلا الله ، رغم
أنهم عرفوا معناها و مبناها ، (١) و هذا ما كان قبل في قوم نوح
عليه السلام و جاءوا جميعاً بلسان جاهلية و احدة : و قالوا :

« وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ » (٢)

هذا الإعراض عن وحدانية الله تعالى و تعنتهم عن سماع الحق ، أدى بهم
إلى الإصرار الكامل على موقفهم و إعتزام شركهم ، كيف لا و هذا يعني عندهم
نزع الحاكمية و السلطان من بين أيديهم ، و تسليم كامل الحكم و الأمر لله
تعالى .

فلما جائهم ما عرفوا من الحق ردوا أيديهم إلى أفواههم ، و جعلوا أصابعهم
في آذانهم و لكن الله غالب أمره و لو كره الكافرون .

. . .

---

١ ـ انظر : مفاهيم ينبغي أن تصحح : محمد قطب : ط ٣ دار الشروق :
١٤٠٨ هـ ، ص ٢٨

٢ ـ سورة نوح : الآية ٢٣

الباب الثاني

منهج الدعوة الى الله تعالى فى :
قصة نوح علية السلام

وفيه تمهيدوأربعة فصول :

الفصل الأول : نوح عليه السلام وقومه .
الفصل الثاني : الأساليب التى دعا بها نوح قومه .
افصل الثالث : موقف قوم نوح من دعوتة .
الفصل الرابع : نهاية قومه .

تمهيـــــد

حيـن هبط آدم عليـه السـلام إلى الأرض كان موحـداً و كان لأبنائـه فيما بعـد مربياً يعلمهـم التوحيـد الخالص ، و على مر السنين و الأيام دبت الوثنية و الإشراك باللـه تعالـى فيمن جاءوا بعـده ، و شـاء اللـه تعالى أن يرسـل رسـولاً نبيـاً ليطهـر الأرض من الشـرك و درن الأوثان و يعيدهـم إلى توحيـد اللـه تعالـى ربـاً و خالقـاً و مليكاً ، و لما كان نـوح عليـه السـلام هـو ذلـك الرسـول كما جـاء فـي قـوله تعالـــى :

" إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ "(١) كانت دعـوة نـوح عليـه السـلام كانت أولى الدعوات التي جاءت تدعـو الناس لتخرجهـم مـن عبـادة العبـاد إلى عبـادة رب العبـاد . و هـي القدوة الحسنة لباقـي الدعـوات الربانيـة اللاحقـة بهـا و منهـا اتخذت أصـول العقيـدة ، و طرق الدعـوة معـا و بهـا أمر النبيون بالتأسـي في دعوتهـم كما جاء في قـولـه تعالـى : " فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ "(٢) فدعوتـه عليـه السـلام كانت شاملة لكل طرق الدعـوة و أساليبها التي نهجها جميـع الأنبياء عليهـم الصـلاة و السـلام ، و لذا كان حريا بنا أن نبين هـذه الطـرق لتكون لنا و لمن بعدنا هديا ، و لأنها تضمنت الأسلوب الأقوم في الدعـوة إلى اللـه طالما طال ليل الجهل المخيم على البشرية .

و إلى اللـه ندعـو و نبتهـل أن يرينـا الحق حقاً و يرزقنا اتباعـه و أن يرينا الباطـل باطلاً و يرزقنا اجتنابـه .

---

١ - سورة النسـاء : جزء من الآيـة : ١٦٣

٢ - سورة الاحقاف : جزء من الآيـة : ٣٥

ومـن الجدير بنا أن نبين معنى الدعـوة لغة واصطلاحا مع بيان مقتضى التعـريف:ـ

الدعـوة : هى فى الأصـل الدعاء الى الطعام [١] وقـوله تعالى : ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ [٢] معناه داعيا الى توحيد الله وما يقرب منه [٣] ومنه ما كتبه رسـول الله صلى الله عليه وسلم الى كسرى وهرقل جاء فيه :ـ (بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم سـلام الله على من اتبع الهدى. أمـا بعد فانى أدعوك بدعـايه الاسـلام ، أسلم تسلم ، واسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فـان توليت فعليك اثم الأريسين (يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سـواء بيننا وبينكم أن لاتعبدوا الا اللـه ولا تشركوا به شيئا أولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله . فان تولوا اشهدوا بأننا مسـلمون) فانى أدعوك بدعاية الاسـلام [٤] وهذه هى كلمة الشهـاده التى يدعـى اليها أهـل الملل الكافـرة .

وأصلها : الدال والعين والحرف المعتل : أصل واحد ، وهو أن تميل الشيء اليـك بصوت وكلام يكون منك فتقول : دعوت أدعو دعاء [٥] ، ودعاه الى الأمير أي ساقه ، والدعاة : هم قوم يدعون الى بيعة هدى أو ضلال ، وأحدهم داع ، والرجل داعية اذا كان يدعو الناس الى بدعة أو ضلالة ، والنبى صلى الله عليه وسلم داع الى الله أي الـى توحيده ، والمؤذن داعي الله ، [٦] وعندما يقال هذا رجل داع الى الله أي يقوم بمحاولة النشر والتبليغ بكل ما أمر الله تعالى . ويقال دعانى الى الاحسان اليك احسانك الي .

---

١ ـ الصحاح : الجوهري : ج٦ ، باب الياء ، فصل الدال : ص٢٣٣٦

٢ ـ سـورة الأحـزاب : الآيـة ٤٦

٣ ـ لسان العـرب ج١٤ ، باب الياء ، فصـل الدال : ص٢٥٩

٤ ـ فتح البارى : ابن حجـر : كتاب الجهاد : باب دعاء النبى صلى الله عليه وسـلم الناس الى الاسـلام والنبـوة...) ج٦ ، ص ١١٠ ، ١١١

٥ ـ معجم مقاييس اللغـه : لابن زكـريا ط٢ : مصـر : مطبعـة الحـلبى : ٣٩٠: ج٢ ، ص٢٧٩

٦ ـ انظـر لسـان العـرب : ابـن منظـور : ج١٤ ، ص ٤٥٩

وقد عرف بعض الدعاة الدعوة بأنها : [المحاولة القولية و العملية لنداء الناس و امالتهم الى الداعي] (١).

و على هذا فهي تعني الدعوة الى خير أو ضلال و هذا يتبع الداعي نفسه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه و سلم قال : (من دعا الى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ، و من دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من تبعه ، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا) (٢) و هي وفق هذا تعني : حث الناس على الخير و الهدى ، و الامر بالمعروف و النهي عن المنكر ، ليفوزوا بسعادة العاجل و الآجل . (٣)

و بعد أن أوضحنا في الباب السابق أصول العقائد التي جاء بها نوح عليه السلام ، و تحدثنا بالتفصيل عن ذلك ، فكان لزاما علينا أن نبين منهج الدعوة الى الله من خلال قصته عليه السلام ، حيث أن دعوته عليه السلام هي أولى الدعوات ، و هي منهاج لما تبعها من الدعوات .

. . .

---

١ - الدعوة الى الله : توفيق الواعي : ط١ : الكويت : مكتبة الفلاح : ١٤٠٦ ، ص ١٧

٢ - صحيح مسلم : شرح النووي : ج١٦ : كتاب العلم ، ص ٢٢٧

٣ - هداية المرشدين : على محفوظ : بيروت : دار المعرفة ، ص ١٧

الفصل الأول

نوح عليه السلام وقومه

وفيه مبحثان

المبحث الأول : التعريف بنوح عليه السلام .

المبحث الثاني : قوم نوح عليه السلام .

المبحث الأول

التعريف بنوح عليه السلام

هو أول رسل الله تعالى إلى أهل الارض ، و هو ثالث الأنبياء إلى أهل الارض بعد آدم و ادريس [1] عليهما السلام ، و هو أول أولي العزم من الرسل و قد ذكره المولى عز و جل بهذه المنزلة العظيمة كما في قوله تعالى : " إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ " [2] و قد خصه الله تعالى بأخذ الميثاق بعد محمد صلى الله عليه و سلم في قوله تعالى : " وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ " [3] و هو أول رسول أوحي إليه بشرع و أمر بتبليغه ، و أول نذير عن الشرك ، و أول من عذب قومه لردهم دعوته و عدم استجابتهم له كما سيأتي ذكره إن شاء الله .

نسبه : اختلف المؤرخون بتصحيف اسم نوح عليه السلام ، إلا أنه و بحمد الله يمكن بيانه على ما يلي :-

هو نوح بن لامك [4] بن متوشلخ [5] بن خنوخ [6] بن يرد

---

١ - انظر فتح الباري : ابن حجر :ج٦ :كتاب الأنبياء :باب ذكر إدريس عليه السلام ، ص٤٧٥
٢ - سورة النساء : جزء من الآية ١٦٣
٣ - سورة الأحزاب : آية ٧
٤ - ورد لامك في الكامل لابن الاثير : الطبعة الثالثة: بيروت:دار الكتاب :١٤٠٠: ج١ ص٣٢،٣٣ وفي البداية والنهاية : ابن كثير :الطبعة٤ :بيروت دار الكتب العلمية ، ١٤٠٨،ج١ص٩٣، وفتح الباري :ابن حجر :ج٦:كتاب الأنبياء :ص٣٧٢ ورد لفظ (لمك).
٥ - سمط النجوم العوالي: المكي: القاهرة: المطبعة السلفية : ١٣٨٠ ، ص ٩٧
٦ - ورد لفظ خنوخ في الكامل: لابن الاثير : ج١ ، ص ٣٥ ، و في البداية : لابن كثير ج١ ص ٩٣، فتح الباري:لابن حجر ج٦ ، ص٣٧٤ ، و ورد اللفظ بالهمزة(أخنوخ) في الطبري ج١ :ص١٧٢ ، وفي سمط النجوم العوالي :ص٩٨ و هو ادريس عليه السلام .

ابـن مهلائيـل بن قينـن [١] بـن شيث بـن أنوش بـن آدم عليه السلام .

و أمـه هي قينوس [٢] ابنـه براكيـل بـن محويـل بـن خنـوخ بن قينين ، و قيـل هـي شمخاء [٣] بنت أنـوش .

مولـده عليـه السلام : أورد الطبري و ابن كثير في تاريخهما أنه ولد عليـه السلام بعد [٤] وفاة آدم عليه السلام بمائه سنه و ست و عشرون سنة . و ذلك لألف سنة و ست و خمسين سنه مضت من يوم أن أنزل الله عز و جل آدم إلى موت آدم عليـه السلام . [٥]

و قد ورد في سمط النجـوم العوالي أنه ولد قبل موت آدم في الألف الأولـى ، وبعث في الألف الثانيـة ، و هو ابن أربعمائة سـنة . [٦]

فإذا ما كان مولده عليـه السلام بعد وفاة آدم بمائه سـنة و ست و عشرين ، فإنـه يتحقق بذلك أنه كان بين آدم و نـوح عليـه السلام عشرة قرون كلهم علـى شريعة من الحق كما رواه بـن عباس رضـي اللـه عنـه . [٧]

و الجـدير بالذكـر أن نوحاً عليـه السلام ولد لأبويـن مؤمنيـن . [٨]

---

١ - هكذا ذكره الطبري : في تاريخه : جـ١ ، ص ١٧٢ ، و في البداية جـ١ ص ٩٣ ، ورد لفظ قينان في الكامل : لابن الأثير : جـ١ ص٣٢ : قصص الأنبياء : عبد الوهـاب النجار الطبعة الثالثة بيروت : دار احياء التراث العربي : ص ٣٠

٢ - الكامل : لابن الاثير : جـ١ ص٣٦ وقال الطبري في تاريخه : أنها بتنوس ابنة براكيل .

٣ - التفسير الكبير : الرازي : جـ٣٠ ، ص١٤٦ . نظم الدرر : البقاعي : جـ٢٠ ، ص٤٥٩

٤ - انظر : تاريخ الطبري : جـ١ ص١٧٤ ، البداية و النهاية : ابن كثير : جـ١ ، ص٩٤

٥ - انظر : تاريخ الطبري جـ ١ ، ص ١٧٤

٦ - سمط النجوم العوالي : المكي : جـ١ ، ص ٩٨

٧ - المستدرك : الحاكم : جـ٢ : كتاب التاريخ : ص٥٤٦ وهو على شرط البخاري ولم يخرجه البخاري وصححه الذهبي .

٨ - انظر : التفسير الكبير : الرازي : جـ٣٠ ، ص١٤٦

نشأته : الناظر في كتب التاريخ يتضح له أنها لم تذكر شيئاً عن نشأة نوح عليه السلام كما هو معروف عن غيره من الأنبياء ، حتى القرآن الكريم لم يشر إلى هذا ، و انما كل ما ذكر في القرآن عن نوح عليه السلام ما كان منذ ارساله عليه السلام إلى قومه ليدعوهم إلى عبادة الله تعالى، إلى ما ذكر عن نهاية قومه بالطوفان . ذلك لأن القصص القرآني لا يركز على الناحية التاريخية وحدها ، و إذا ما ذكرت حياة رسول ما ، فهدفه توضيح حياة الرسول وكونها إرهاصا من إرهاصات الرسالة ، و ليبين مدى رعاية الله تعالىٰ عز وجل لرسله منذ ولادتهم حتى وفاتهم . فهو بهذا يركز على ما يخص الرسالة و الرسول و الهدف الذي بعث له الرسول .

حياته : أوضح القران الكريم الفترة الزمنية التي عاشها نوح عليه السلام في قومه داعياً إلى الله تعالى و المدة التي قضاها معهم في الدعوة الى الله فى الفترة الاولى " قبل الطوفان " كما هو متمثل في قوله تعالى : " وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ "(١) .

أما ما ورد تاريخياً عن المدة التي قضاها نوح عليه السلام قبل بعثته و بعد الطوفان فلم يشر إليها بخبر قطعي أو اثبات صحيح . فقد اختلفت الروايات عن عمر نوح عليه السلام قبل بعثته ، قيل : أنه بعث و هو ابن خمسين (٢) سنه ، و قيل و هو ابن ثلاثمائة و خمسين (٣) سنة

---

١ - سورة العنكبوت : الآية ١٤

٢ - البداية و النهاية : ابن كثير : جـ١ ، ص ١١٤

٣ - فتح البارى : ابن حجر : جـ٦ : كتاب الأنبياء ، ص ٢٧٢

وقيل أربعمائة [١] سنة ، وقيل أربعمائة وثمانين [٢] سنة ، وهذا أرجحها لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : (بعث الله نوحاً لأربعين سنة ، وبعث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم ، وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس وفشوا) [٣] .

وقيل عن الفترة التي عاشها بعد الطوفان أنه عاش ثلاثمائة وخمسين سنة [٤] ، والذي يعنينا عن حياة الرسول عليه السلام هي مدة دعوته ، وليس مدة البقاء سواء كانت قبل النبوة أو ما بعد الطوفان ، فهذا لا يمثل جانبا مهما في البحث .

وقد ذكر الطبري ما كان من أمر والده في حثه على التمسك بتوحيد الله والدعوة إليه قوله : [فلما أدرك نوح قال له لمك : قد علمت أنه لم يبق في هذا الموضع غيرنا ، فلا تستوحش ولا تتبع الامة الخاطئة فكان نوح يدعوا الى ربه .] [٥]

---

١ - سمط النجوم العوالي : المكي : جـ١ ص ٩٨

٢ - البداية والنهاية : ابن كثير : جـ١ ، ص ٩٤ ، الكامل : ابن الاثير : جـ١ ، ص٣٦

٣ - المستدرك : الحاكم : جـ٢ : كتاب التاريخ : ص ٥٤٦

٤ - فتح الباري : ابن حجر : جـ٦ : كتاب الأنبياء : باب قوله تعالى " ولقد ارسلنا نوحا الى قومه " ، ص ٣٧٢ ، قصص الأنبياء : محمد الفقى : ط١ : مكتبة وهبه ١٣٩٩ ، ص٤٥

٥ - تاريخ الطبري : جـ١ ، ص ١٧٤

صنعتـــه : لقـد كان عليـه السـلام نجـاراً ، كمـا ورد عن المؤرخين، و أنـه كان إذا جلس إليـــه أحـد مـن قومـه وعظـه و دعـاه إلى الإيمان ، وكان معروفـاً بينهـم . و في هـذا درس بليـغ للدعـاة بأن يستغلوا كل الظـروف المحيطة بهـم ليقوموا من خلالهـا بالدعـوة إلى الله تعالـى ، و قد كان هذا صنيع يوسـف عليـه السـلام عندمـا كان في السجن فاستغل من معه و دعاهــم إلى اللـه تعالى . فالدعـوة لا تكون في مجلس معين و مكـان معين ، بـــل يستغل الوقت في كل حيـــن .

أخـلاقه و صفاتـه : الأخـلاق تمثـل الجانب العمـلي للداعيـة ، لأننــــا لو تدبرنـا في حقيقة الإيمـان لوجدنـاه يستلزم في درجاته المرتضية كــــل الفضائل الإنسانيـة ، و ينهـى عن كل الرذائـل الخلقيـة ، فالدعوة في جانبهـا تدعـو إلى أمريـن : أمـر عقـدي ، و أمـر أخـلاقـي ، فالأمـور العقديــة هـي الإتيـان بكل أوامر اللـه التي أمر بهـا ، و اجتنـاب الأمور التي نهـا عنها، و أمـا الأمـور الأخـلاقيـة فهـي صفـة مستقرة في النفس فطرية أو مكتسبة ذات آثـار في السلوك محمودة أو مذمومـة (١) ، و لمـا كان الإسـلام يدعو إلـــى حميـد الأخـلاق ، كانت الأخـلاق تمثـل جانبـاً مهمـاً في حياة الداعيـة ، فكل أمر من أمور المعيشـة ، فرديـاً كان أو جماعيـاً ، سياسياً كان أم اقتصاديـاً ، علمياً كان أو عمليـاً ، حتى إذا كان الأمـر تعبدياً محضـاً فهو يدل دلالة واضحة على ثبوت حقيقة الأخـلاق : فعبـادة اللـه وحـده تستلزم طاعتـه عز وجـل، و من امتثـل طاعتـه سبحانه و تعالى فقد امتثل لفعل الحسن المأمور بـــه

---

١ ـ الاخلاق الاسلامية و اسسها : الميداني :ط ١ : بيروت : دار القلم : ١٣٩٩ ، ص٧

وهو جانب من جوانب الأخلاق ، غاية الأمر أن الأخلاق تمثل دوراً مهما إيجابياً في كسب ثقة الآخرين ، ذلك أن الدين المعاملة . وهذا ما كان من شأن جميع الأنبياء مع أقوامهم لقد كانوا أحسنهم خلقاً . فكثير من الآيات الكريمة امتدحت أخلاق الأنبياء وأخبرت عنها ، ولقد قال تعالى عن خاتم النبيين ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾(١) وهكذا كان شأن أول الرسل نوح عليه السلام ، فقد قال عنه القران الكريم مثل هذا وكذا الأحاديث الشريفة .

ما ورد في القرآن الكريم بشأن خلقه عليه السلام :

أولا :

انه كان عبداً شكوراً كما في قوله تعالى :

﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾(٢) وقد روي عن سلمان الفارسي :[كان نوح إذا طعم أو لبس حمد الله ، فسمي عبداً شكوراً](٣) وقد أورد الطبري لفظالحديث بمعنى اخر قال : [انما سمي نوح عبداً شكوراً أنه كان إذا أكل الطعام قال : الحمد لله الذي أطعمني ، ولو شاء أجاعني وإذا شرب قال : الحمد لله الذي سقاني ، ولو شاء أظمأني ، وإذا لبس ثوباً

---

١ - سورة القلم : آية ٤

٢ - سوة الإسراء : آية ٣

٣ - فتح الباري : ابن حجر ، جـ ٨ ، كتاب التفسير : باب ذرية من حملنا مع نوح ص ٣٩٦ ، جامع البيان : الطبري : جـ ١٥ ، ص ١٩

قال : الحمد لله الذى كساني ولو شاء أعراني ، وإذا لبس نعلاً قال: الحمد لله الذي حذاني ، ولو شاء أحفاني ، وإذا قضى حاجة قال : الحمد لله الذى أخرج عنى أذاه ، ولو شاء حبسه .] (١) وقد دلت السنة على هذا كما فى حديث أبى هريرة فى حديث الشفاعة [فيأتون نوحاً فيقولون يا نوح ، انك أنت أول الرسل إلى أهل الارض ، وقد سماك الله عبداً شكوراً] (٢)

هذا ما كان عليه نوح عليه السلام من الشكر لله تعالى في كل وقت وعلى كل حال ، فجدير بنا أن نقتدي بما كان عليه أنبياء الله ورسله ، ولفظ الحمد هو أبلغ لفظ نشكر الله تعالى به ، ولو اجتمع الأولون والآخرون من أهل البلاغة على أن يأتوا بلفظ يشكرون الله به لما وجدوا أبلغ من لفظ الحمد لله رب العالمين ، حيث أن لفظ الحمد كما قال ابن عباس : [هو الشكر ، والإستخذاء لله ، والإقرار بنعمته ، وهدايته وابتدائه وغير ذلك .] (٣) فلفظ الحمد هو أبلغ أسلوب يحمد ويشكر به المولى عز وجل .

فالحمد لله حمدا كثيراً طيباً مباركاً فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه على ما علمنا ما كان من شأن الأنبياء ما لم نكن نعلم .

ثانياً :

الهداية : فقد وصف الله تعالى بها نوحا عليه السلام كما فى قوله : " وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ " (٤) أي ونوحاً وفقنا للحق والصواب، (٥)

---

١ - جامع البيان : الطبري : ج ١٥ ، ص ٢٠

٢ - فتح الباري :ابن حجر :كتاب التفسير :باب :"ذرية من حملنا مع نوح" : ج ٨ ، ص ٣٩٥

٣ - جامع البيان : الطبري : ج ١ ، ص ٦٠ ، انظر لسان العرب : ج ٣ : باب السؤال ، ص ١٥٦

٤ - سوره الأنعام : جزء من الاية ٨٤

٥ - جامع البيان : الطبري : ج ٧ ، ص ٢٦٠

وقال الحديدي : الأصح في هذه الهداية أنها إلى الدين الحق والمعرفة الصحيحة ، وكان ذلك جزاء على الإحسان الصادر منهم ، [1] وذلك لأنهم اجتهدوا في طلب الحق وكان هذا هو الجزاء كما في قوله تعالى :
« وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ » (٢) .

ثالثاً :

وصفه الله تعالى بالصلاح كما في قوله تعالى :
« ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴿١٠﴾ » (٣)

قال المفسرون في هذا : ان صلاح الأنبياء لا يغني أحداً شيئاً ، ففي ذلك إسقاط لكل نسب والتبرأ منه إلا ما كان من الإيمان بالله تعالى .

رابعاً :

الإصطفاء بالرسالة كما في قوله تعالى :
« إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ » (٤)
وإصطفاء نوح عليه السلام :[لكونه أول من نسخ الشرائع إذ لم يكن قبل ذلك تزويج المحارم حراماً ، وبإطالة عمره ، وجعل ذريته هم الباقون ،

---

١ - عصمة الأنبياء : الحديدي ، ص ١٤٧
٢ - سورة العنكبوت : آية ٦٩
٣ - سورة التحريم آية ١٠
٤ - سورة آل عمران : آية ٣٣

و استجابة دعوته فى حق الكفرة و المؤمنين ، و حمله على متن الماء] (١)

و على هذا كان الأنبياء عليهم الصلاة و السلام مصطفين أخياراً و قد ورد فى شأن نوح عليه السلام ما روى عن على رضى الله عنه قال : [جمع ربنا عز و جل لنوح علم الماضين كلهم و أيدوه بروح منه فدعا قومه سراً و علانية تسع مائة و خمسين سنة كلما مضى قرن اتبعة قرن فزادهم كفراً و طغياناً] . (٢)

و هكذا فجدير أن تكون هذه بعض أخلاق و صفات من اصطفاهم الله تعالى لحمل رسالته إلى الناس أجمعين .

خامساً :

قوة الإرادة و هذا ما يلفت النظر إليها في قصة نوح عليه السلام ، فمن خلال الفترة الزمنية الطويلة التي قضاها نوح عليه السلام يدعو فيها إلى الله تعالى درس للدعاة لئلا يدخل اليأس إلى نفوسهم ، و ليعتبروا بصبر نوح عليه السلام في قومه و قد قيل عن هذه الآية الكريمة - آية الإصطفاء - لو لم يكن لنوح من الآيات الخُلقية سوى هذه الآية لكفته دليلا على تأييده من ربه و صدقه في دعوته .
و هذا مجمل للأخلاق و الصفات التي كان عليها نوح عليه السلام ، و هي الصفات التي لابد للداعية أن يتصف بها و هي بعض الصفات المأمور بها

---

١ - ارشاد العقل السليم : أبو السعود : جـ ٢ ، ص ٢٦

٢ - المستدرك : للحاكم : كتاب التاريخ : جـ٢ ، ص ٥٤٧

والتي يجب على الدعاه مراعاتها والعمل بها ،واذا لم يلتزم الداعية قولا وعملا بما يدعو اليه ، كان ذلك نقصا شنيعا في حقه ، وقد قال تعالى فيمن يفعل ذلك :

" أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ " (١)

وفي هذا اصلاح للنفس أولا وللمجتمع ثانيا فالمراد (أن يتحسسوا أنفسهم وأن يداووا ما قد يكون بها من علل) (٢).

أن يدعو الداعية الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، اذ يحسن اختيار ألفاظه وانتقاء عباراته ، فينبغى أن يكون متصفا بالحلم وسعة الصدر واحتمال الهفوات الصادرة من المدعوين والصبر على اساءتهم ، وقد وهب الله لنبيه محمدا صلى الله عليه وسلم من ذلك الكثير قال تعالى : " فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ " (٣)

فينبغى للداعي أن يعالج الأمر بحكمة وروية ، وبذلك يجيء نصحه طبا للمريض ، ورحمة تذهب عناءه ، ونورا يهديه الى سواء السبيل . (٤)

وأن يلتزم قول الحق كما قال عباده : بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم .

---

١ ـ سورة البقرة : آية ٤٤

٢ ـ مع الله : محمد الغزالي : الطبعة الرابعة : القاهرة : مطبعة حسان : ١٣٩٦ ، ص ١٩٨ .

٣ ـ سورة آل عمران : آية ١٥٩

٤ ـ انظر : مع الله : الغزالي ، ص ١٩٤

والصبر من أهم ما اتصف به نوح عليه السلام ، وقد التزم نوح عليه السلام طوال حياته ودعوته بالصبر ، وبهذه الصفة أمر الله عز وجل نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم من التأسي بهم كما في قوله تعالى :
" فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَٰغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾ "[1]

فقد بلغ نوح عليه السلام من الجهد المضني والعناء المرهق والصبر الجميل والإصرار الكريم احتمل كل ذلك من جانبه عليه السلام في هداية أولئك القوم الضالين المعاندين .

والإخلاص أيضاً هو أساس لنجاح الداعي ويكون ذلك إخلاصاً للحق ، إخلاصاً للدين وإخلاصاً لمن يدعوهم ويعظهم .[2] ليتم بذلك نجاح العمل وتكون النتائج المرجوة منه . بإذن الله.

. . .

---

١ ـ سورة الاحقاف : آية ٣٥

٢ ـ مرشد الدعاة إلى الله : أحمد طاحون : جدة : ادارة المطبوعات : ١٤٠٢ ، ص ١٩

وقد يقصد بالقرن الجيل لقوله تعالى :

" وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ " (١) وقوله عليه السلام (خير القرون قرني) (٢) ، وورد في النهاية :[كان الجيل قبل نوح يعمرون الدهر الطويلة ، معنى هذا يكون بين آدم ونوح ألوف من السنين والله أعلم] (٣)

وعلى هذا إن كان المراد بالقرن مائة سنة كما هو معلوم ، فيكون بين آدم ونوح ألف سنه بقوا فيها على الإسلام .

وبإعتبار حديث أبي أمامة يمكن القول أنهم كانوا على الإسلام لمدة عشر قرون ، ومن بعد ذلك دخل إليهم الشرك .

ودليل ذلك ما روي في عمدة القاري : للعيني : أن الأصنام عبدت في عهد مهلائيل بن قينان ، وعلى هذا فإن إفراد الله بالعبادة بقي نقيًا من الإشراك حتى عهد الجد الرابع لنوح عليه السلام ، وفي عهد مهلائيل كانت عبادة الأصنام ودخول الوثنية على قوم نوح عليه السلام .

---

١ - سورة الإسراء : جزء من الآية ١٧

٢ - صحيح مسلم : بشرح النووي : ج١٦ : كتاب الفضائل ، ص ٨٧

٣ - البداية والنهاية : ابن كثير : ج ١ ، ص ٩٤

٤ - عمدة القاري : للعيني : ج ٨ ، دار الفكر ، بيروت ، ص ٢١٦

الديانة التي كان عليها قوم نوح :

مما سبق يتضح أن الإشراك و تعدد الآلهة كان سائداً في عهد نوح عليه السلام و كانت له كهنة و مرتزقة و دجالون ، و قد سبقت الاشارة في الباب الأول عن كيفية دخول الشرك إلى هؤلاء القوم و اتخاذهم آلهة من دون الله تعالى كما في قوله تعالى :

« وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ »[1]

و هذا خطاب من المشركين لأقوامهم و هم يحثونهم على عدم ترك عبادتها على الإطلاق و التحذير مما كان يدعو إليه نوح عليه السلام .

فهذه الآية الكريمة ترشد إلى ما كان عليه قوم نوح و ما كانوا يعبدون ، و هي صريحة في بيان ما كان عليه القوم من دين و هو الإشراك بالله تعالى ، لهذا أرسل الله تعالى نوحاً عليه السلام داعياً إلى توحيد الله في العبادة .[2]

. . .

١ ـ سورة نوح : آية ٢٣

٢ ـ انظر : الكامل فى التاريخ : ابن الاثير : جـ ١ ، ص ٣٨

الفصـــل الثانـــــي

الأسـاليب التى دعـا بهـا نـوح قومـه و جهـاده معهـــم

وفيـــه تمهيـــد وثلاثـة مباحـث

١ ـ المبحــث الأول : الحوار مع قومـه بالحكمـة و الموعظـة الحسنة وذلك بالتذكيـر على مظاهر قدرتـه تعالـى ٠

٢ ـ المبحث الثاني : المجادلة و عـدم اليأس منهـم ٠

٣ ـ المبحث الثالث : الترغيب و الترهيـب ٠

تمهيـــــد

سبق الذكر إلى أن دعوة الأنبياء جميعًا جاءت بأصول واحدة في العقائد ، و الجدير بالذكر هنا أن نبين أن سننهم عليهم السلام في الدعوة كانت تقوم على البينة و الحجج المحكمة ، ذلك أنها اعتمدت في تبليغها و نشرها وفق ما يتقبله العقل السليم ، و يألفه الذوق ويتحسسه الوجدان و لا تقف دونه البديهة و تنكره الحقيقة - لهذا نجدهم عليهم السلام لم يقتصروا في دعوتهم على خوارق الأمور ، بل كانوا يوجهون العقول إلى الحقائق و النظر و التأمل في هذا الكون الفسيح و ما حوى من مظاهر الإبداع و الإتقان ، و يبينوا لهم أن كل هذه الآيات تنطق على أنه إله واحد لا شريك له .

بكل هذا جاءت دعوة نوح عليه السلام ترشد إلى النظر في الأنفس و الآفاق للوصول إلى هدفه من رسالته ، ذلك ليبلغهم أنه لا إله إلا الله .

و لما كانت بعثته عليه السلام إلى نفوس قد انحرفت عن الفطرة السليمة بسبب فساد عقيدتهم و ما أشربت به من عبادة الأوثان حتى صارت لا تبصر نور الحق ، لهذا جاء عليه السلام و الأنبياء من بعده ليعالجوا هذه النفوس بالحكمة البالغة ، أي بكل كلام معقول موافق للحق ، و العظة النافذة في الأسلوب بالتذكير بالخير فيما يرق له القلب ليجعلوها مألوفة للعقول خفيفة على القلوب ، لهذا كان الرسول منهم [يدعو بالبرهان الجلي ، و الحجة القاطعة طلاب الحقائق ، و هم خواص القوم ذوى النفوس القوية ، و بالخطابيات المقنعة ذوي النفوس الضعيفة و يدعو المعاندين المجادلين بالباطل بأحسن طرق المناظرة

و المجادلة ، من الرفق و اللين ٠] (١) وفق ما جاء في قوله تعالى :
" ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ "(٢)
و بهذه المبادئ كانت دعوته لقومه عليه السلام و نهجه إلى هذه الطرق ، ذلك [أن عمل الداعي لا ينتهي بمجرد الإفصاح عن الحقيقة بل يجب أن يجعلها من الوضوح بمكان يتذوقها الخواص و يستطيع العوام أن يسيغوها دون جهد و عناء] (٣) هكذا كان نوح عليه السلام في جهاده الطويل يوجه قومه إلى النظر في آيات الله في أنفسهم و في الكون من حولهم ، محاولاً معهم بكل السبل و الوسائل ، بعدة طرق مدعمة بحقائق و حجج مخاطباً إياهم بالعقل و العاطفة معاً ليصل بهم إلى الإستدلال بمظاهر وحدانية الله تعالى ، و بهذه الطرق ذكّر نوح عليه السلام قومه بجلائل النعم ، و دلائل قدرته تعالى ، و ما فيها من كمال رباني ، مما يحمل العبد إلى الإذعان لخالقه عز و جل ٠

• • •

---

١ ـ هداية المرشدين : علي محفوظ ، ص ٣١

٢ ـ سورة النحل : جزء من الآية ١٢٥

٣ ـ منهج الدعوة إلى الله : أمين اصلاحي : الكويت : دار نشر الكتاب الإسلامي ، ص ٦٧

المبحث الأول

الحوار مع قومه بالحكمة و الموعظة الحسنة

المطلب الأول : التركيز على مظاهر قدرته تعالى :-

الدليل الأول : النظر في الأنفس :

كثيراً ما ترد الآيات القرآنية الدالة على قدرة الله سبحانه و تعالى من خلال تقديم الأدلة القطعية على دلالة الآيات الكونية الباهرة الدالة على وجود الله سبحانه و تعالى،و الدالة على عظيم قدرته و تدبره، و اتقان صنعه،و قد ذيلت هذه الآيات بالإمتنان على الإنسان لما تحويه من نعم جليلة تعود على الإنسان بالنفع، الواجب تجاهها شكر الله تعالى عليها،و تصديق الإيمان به و الإعتقاد بأنه تعالى هو وحده مصدر هذه النعم، و لا أحد سواه.

لهذا كانت جميع الآيات التي توجه النظر إلى التفكر في ملكوت السموات و الأرض و ما بينهما من مخلوقات لما فيها من دلائل وحدانيته تعالى قد ذيلت نهايتها بقوله :

" قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ " (١)

" قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ " (٢)

" إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ " (٣)

" كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ " (٤)

" كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ " (٥)

و أسلوب التذكير بنعم الله و فق النظر إلى آيات الله الكونية جاء كثيراً في قصة نوح عليه السلام و الأنبياء من بعده .

---

١ - سورة الانعام : جزء من الآية ٩٧

٢ - سورة الأنعام : جزء من الاية ٩٨

٣ - سورة الأنعام : جزء من الآيه ٩٩

٤ - سورة يونس : جزء من الآية ٢٤

٥ - سورة الروم : جزء من الآية ٢٨

و قد استدل نوح عليه السلام بدليل بديع في التذكير بجلائل النعم [1] و دلائل القدرة الإلهية ، و مظاهر الكمال الرباني ، مما يجعل العبد يذعن لخالقه ، و يقر بربوبيته و ألوهيته و إفراده سبحانه بكمال التوحيد و الإخلاص له . و كان هذا أول أمر خاطبهم به من توجيه النظر في الأنفس ، ذلك أن النظر في النفس الإنسانية ، أقرب ما يكون إلى الإنسان كما جاء في **قوله تعالى** : " وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ " [2] و إلى النظر في هذا الأمر دلائل كثيرة في القرآن الكريم تحكي عن النظر في الأنفس هو أقرب ما يكون للمرء كما في **قوله تعالى** :
" وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ " [3] و قوله : " فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ " [4] ، و قد فصلت كثير من الآيات أصل خلق الإنسان و أنه من تراب و كيف كان تطور خلقه بأطوار مختلفة [5] كما في قوله تعالى : " فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا " [6]

فدعوته عليه السلام لقومه للنظر في هذه النفس ، كيف كانت نطفة و أنهم لو أمعنوا النظر و دققوا لوجدوها قطرة ماء مهين ضعيف لو مرت بها ساعة من الزمان لفسدت ، كيف استخرجها الله تعالى جلت قدرته

---

١ - انظر : الدعوة الإسلامية والإعلام الديني : عبد الله شحاتة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨ ، ص ١٣

٢ - سورة نوح : الآية ١٤

٣ - سورة الذاريات : الآية ٢١

٤ - سورة الطارق : الآيات : ٥ - ٧

٥ - انظر : فتح القدير : الشوكاني : ج ٥ ، ص ٢٩٨

٦ - سورة الحج : جزء من الآية ٥

من بين الصلب و الترائب منقادة لقدرته مطيعة لمشيئته تعالى[1]، ليكون منها ذلك الإنسان و ما أولاه سبحانه لها بعد ذلك من مظاهر العناية حتى أصبحت طفلا متنقلة من طور إلى طور حتى خرجت إلى هذه الحياة و هي في حياتها الدنيا تمر بأطوار أخرى إلى أن ترد إلى عالم الغيب و الشهادة و لا يعلم مصيرها بعد ذلك إلا الله ، إن كان خيرا فخير و إن كان شرًا فشر ، و العياذ بالله .

ثم أن نوحاً عليه السلام استخدم في هذا الإستدلال على مظاهر قدرة الله تعالى بطريق الإثبات المسبق ، و ذلك بالإستفهام كما جاء في قوله تعالى : " مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ "[2] قاصداً أنه لا شيْ ثبت لهم ليصرفهم عن توقير الله تعالى ، فلا عذر لهم في عدم توقيره ، و في ذلك الحث على الإيمان به تعالى لأنه خلقهم على هذه الصورة من النشأة .

و موجب الإعتراف بعظمته تعالى و قدرته حاصل ، ذلك أنهم يعلمون أن الله خالقهم كما في **قوله تعالى :**

" وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ "[3] ، لهذا وجه عليه السلام نظرهم إلى كيفيه هذا الخلق بموجب إقرارهم بقدرة الله تعالى على خلقهم لذا كان واجباً و لازماً عليهم أن يؤمنوا بالله تعالى ، و قد ركّز عليه السلام على كيفية الخلق بأنها أطوار ، ليبين لهم مدى رفق

---

١ ـ انظر غرائب القرآن وتفسيره: أبى عبد الرحمن عبد الله الزيدى : حققه محمد الحاج : عالم الكتب بيروت ج١ /١ ١٤٠٥ هـ ، ص ٣٩١
انظر مفتاح دار السعاده : ابن القيم : ج١ : دار الكتب العلمية : بيروت : ص١٨٨
أحكام القرآن : القرطبى ج١٨ / ٣٠٣
٢ ـ سورة نوح : آية ١٣
٣ ـ سورة الزخرف : آية ٨٧

اللـه تعالـى بهـم في ذلك التطـور ، وفـي هـذا تعريض بكفرهم النعمة ،ولأن الأطـوار دالـة علـى حكمة الخالـق وعلمـه وقدرتـه ، وأن تبديـل الله تعالى لهذه الأطـوار دليـل علـى تمكيـن الخالـق سبحانـه على كيفيات الخلـق ولأنهـم يدركـون ذلك بأدنـى التفات للذهـن ، فكان حري بهـم أن يتوصلـوا بـه إلى معرفـه عظمـه اللـه وتوقـع عقابـه ، لأن الدلالـة علـى ذلـك قائمـة على الإستدلال بأقرب ما يكون إلى الإنسـان وهـو نفسـه ، ثم بعد ذلك لا يستشعرون في أنفسهـم توقيـر اللـه ! فهـذا أدعـى لوقوع العـذاب عليهم إن لم يؤمنوا به .

[والإستدلال علـى الخالـق بخلـق الإنسـان في غايـة الحسـن والإستقامة فهـي طريـقة عقليـة سليمـة ، وهـي شرعيـة دل القـرآن عليهـا فـي كثير مـن المواضـع وهـدى الناس إليهـا وبينهـا وأرشـد إليهـا] (٢)

الدليل الثانـي علـى الوحدانية والتركيز علـى مظاهر قدرتـه تعالـى :

النظـر فـي الكـون :

أنهـم إذا رجعـوا لأنفسـهـم وفكـروا في هـذه النطفـة وتأملوا حالهـا (٣) أولاً وما صارت إليـه ثانيـاً وأنـه لو اجتمعت الإنس والجـن علـى أن يخلقوا لهـا سمعـاً أو بصـراً أو عقـلاً أو قدرة أو علمـاً أو روحـاً أو عظماً أو عرقـاً أو شعرة واحـدة لعجـزوا عـن ذلك ، وهـذا دليـل علـى آثـار صـنع اللـه تعالـى وإتقانـه لكل شـيء مـن قطـرة مـاء مهيـن . فكيف بهـم أمام ملكـوت السموات . وهذا هـو الدليـل الثاني على وحدانيـة الله تعالى ، كمـا فـي

---

١ ـ أنظر التحرير والتنوير : ابن عاشور : جـ٢٩ ، ص ٢٠١ ومحاسن التأويـل : للقاسمي : جـ٩ ، ص ٢٩٦ ، في ظلال القرآن : سيد قطب : جـ ٦ ، ص ٣٧١٤

٢ ـ انظر النبوات : ابن تيميه : بيروت : دار الكتب العلمية : ١٩٨٢ ، ص ٧٨

٣ ـ أنظر : مفتاح دار السعادة : ابن القيم جـ١ ، ص ١٨٨ ـ ١٩٦ ، الطب محراب الإيمان لخالص كنجو : ط ٧ : بيروت : مؤسسه الرسالة : ١٤٠٧هـ : جـ ١ ، ص ٦٢

قولـه تعالـى : " أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ " (١)

هـنا نجـد أن نوحـاً عليـه السـلام قـد وجـه قومـه إلـى النظـر فـي ملكوت السموات و الأرض بعد ما طلب إليهم النظـر فـي أنفسهم ذلك أن دلائـل الآفـاق أبهـر و أعظـم، فقـد استدرجهـم بحكمـة بالغة من النظر في الأنفـس من حيث هـي أقـرب إليهـم، إلى ما هـو أبعـد منهـم، و أكثر إبهاراً و أعقد تركيباً ، و هـو النظر في الآفـاق بقولـه " أَلَمْ تروا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ طِبَاقًا " و هـذا مدعـاة إلى أن يعلمـوا أن الـذي قدر علـى هـذا الخلـق ، هـو الذي يجب أن يُعبـد ، (٢) ثم انتقل إلى تصويـر ما فـي السماء الدنيـا من علامات باهرة و ظاهـرة كخلق الشمس و القمـر وأن الشمس بالنسبة للقمـر كالسـراج بالنسبة للضـوء ، ذلك أن الضوء من السراج و كذا ، بالنسـبة للشمس و القمر ، فالقمـر يسـتمد نـوره من الشمس ، و جعل كـلاً منهمـا علـى حـدة ليعرف الليـل و النهـار بمطلع الشمس و مغيبهـا .

وهـــذه اشـــاره الـى أن القـرآن الكـريـم قـد سبق العلمـاء الى أن القمـر يسـتمد نـوره مـن الشـمس وفـى هـذا اعجـاز علمى بحت .(٣)

و النظـر في هـذه الآفـاق و تدبـره حديث طويـل لا يسـعنا الكلام عنـه هنا إلا أننـا نبيـن أنـه عليـه السـلام وجـه قومـه إلى النظر في هذه الآفـاق و تدبـر حكمـة خلقهـا و أن القادر علىٰ خلقهـا بهـذا الإبـداع جديـر أ ن

---

١ ـ سـورة نـوح : الآيتان ١٥ ـ ١٦

٢ ـ انظر التفسير الكبير : الرازي : ج ٣٠ ، ص ١٤٠ ، التحرير و التنوير: ابن عاشـور ج ٢٩ ، ص ٢٠٢ ، الأساس في التفسير : سعيد حوىٰ : ج ١١ ، ص ٦١٦٢

٣ ـ انظـر الطبيعيات : الطبيعيات والاعجـاز العلمى للقـرآ ن الكـريم / الدار السعوديه للنشـر والتـوزيـع : عبـد العـليم عبـد الرحمـن خضـر ج١ ، ١٤٠٦هـ جـده : صـ ١١٥ .

يكون هو المعبود الحق لا سواه ممن لا حول له و لا قوة ، و هو دليل من الأدلة على توحيد الله تعالى ·

و من الجدير بالذكر أن النظر الذي طلبه نوح من قومه ليس هو النظر بالبصر ، ذلك أنهم موقنون بوجودها ، و أن خالقها هو الله تعالى ، إنما النظر المطلوب منهم هو النظر الجالب للإيمان و هو : نظر البصيره و مدى التفكر في عظم آياته تعالى ·

الدليل الثالث على الوحدانية و التركيز على مظاهر قدرته تعالى :

النظر في نشأة الإنسان و مضاهاتها بنشأة النبات :

و ها هو عليه السلام يعود مرة أخرى ليبين لهم منشأ الإستدلال بخلق الأنفس ، حضور الأرض في الخيال ، ثم أعقب نوح عليه السلام الإستدلال بالنظر في آفاق الكون ، بأعجب ما يرونه من أحوال الأرض ، و مهد لذلك أن خلق الإنسان من الأرض ، و من ثم يعود الإنسان إلى الأرض مرة أخرى ، و في ذلك بيان لحال الموت و القبر ، و من ثم شبه الإنسان بالنبات حيث أطلق على فعل أنشأكم : قوله : أنبتكم للمشابهة بين إنشاء الإنسان و إنبات النبات ، من حيث أن في كليهما تكوين لقوله تعالى : " وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا " [٢] فلما شبه إنشاءهم بنشأه النبات و أنه قادر على هذا ، أعاد السياق مرة أخرى وأشار إلى الطريقة المعهودة في القرآن من أنه تعالى لما كان قادرا على الإبتداء، كان قادرا على الإخراج · [٣]

---

١ - انظر : تفسير القرآن العظيم : ابن كثير : ج٤، ص٤٢٦ ، مفتاح دار السعادة ابن القيم ج١، ص١٩٩ ، الجامع لأحكام القرآن : القرطبي : ج ١٨ ، ص ٣٠٤

٢ - سورة آل عمران : جزء من الآية ٣٧

٣ - التفسير الكبير : الرازي : ج٣٠ ، ص١٤١ ، التحرير و التنوير : إبن عاشور : ج٢٩، ص٢٠٤

وفي هذا الدليل إستدلال على التوحيد وذلك من خلال النظر إلى دلائل الأنفس ، وهو كالتفسير لقوله " خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً " . وفي الآية وجهان :

الأول : أنبتكم من الأرض : أي أنبت آدم عليه السلام من طين الأرض ، كما قال تعالى : " إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ " (١)

الثاني : إن نشأة جميع البشر من الأرض ، ذلك أنما نُخْلَق من النطف التي هي متولدة من الأغذيه التي نتناولها من النبات المتولد من الأرض (٢)

وبهذا الدليل يرى الإنسان نفسه موجوداً في أحسن تقويم ، وقد قال تعالى : " سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ " (٣) بلى يكفى .

وفي قوله تعالى : " واللهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتاً " لفتة لطيفة ، ذلك أنه تعالى قال:والله أنبتكم من الارض نباتاً ، فإنه ينبغي أن يقال في لغة البشر: أنبتكم من الارض إنباتاً ، أي أنبتكم إنباتاً عجيباً غريباً ، وفي هذا بيان صفة الإنبات بأنها صفة عجيبة غير محسوسة لأنها من صفات الله تعالى فلا تعرف أنَّ هذا الإنبات إنبات عجيب كامل إلا بإخبار من الله تعالى . وفي هذا مقام الإستدلال على كمال قدرة الله تعالى،ولا يمكن إثباته إلا بالسمع ، فكان الأولى أن يقال

١ ـ سورة آل عمران : الآية ٥٩

٢ ـ انظر : التفسير الكبير : الرازي : ج ٣٠ ، ص ١٤٠

٣ ـ سورة فصلت : الآية ٥٣

نباتاً ، أي أنشأكم منها إنشاء فاستُعير الإنبات بالإنشاء لكونه أدل على الحدوث و التكوين من الأرض لكونه محسوساً ، و بهذا يمكن أن يستدل به على كمال قدرته تعالىٰ ، لهذا كان العدول عن تلك الحقيقة إلىٰ هذا المجاز لهذا السر اللطيف . والله أعلم.

ثم يقرر كذلك بعد ذلك قدرة الله تعالىٰ و هي الطريقة المعهودة في القرآن الكريم فإن القادر على فعل الإنشاء في الإبتداء قادر على الإعادة كما في قوله " ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً " تؤكده بالمصدر يخرجكم حقاً لا محالة في ذلك الإخراج .[1]

الدليل الرابع : على الوحدانية و التركيز علىٰ مظاهر قدرته تعالىٰ :

النظر في الأرض فهذا يتمثل في قوله تعالى : " وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ "[2] ، و في ذلك حكمة بالغة علىٰ كمال قدرته تعالىٰ ، فإن النظر إلىٰ الارض و كيف خلقت يتضح بها عظم آيات و جلال مبدعها ، فقد خلقها بساطاً و فراشاً و مهاداً و ذللها لعباده ، و جعل فيها أرزاقهم و أقواتهم و معايشهم ، و جعل فيها السبل لينتقلوا فيها ليقضوا حوائجهم ، و أرساها بالجبال ، فجعلها أوتادا لئلا تميد بهم ، و جعل ظهرها وطنا للأحياء ، و بطنها وطنا للأموات[3] ، و القرآن الكريم حافل بكثير من المواطن التي ذكر فيها الأرض و بديع خلقها و الحكمة من ذلك .

---

١ ـ انظر : الكشاف : الزمخشري : جـ٤ ، ص١٦٣ . التفسير الكبير : الرازي : جـ٣ ، ص١٤١ فتح القدير : الشوكاني : جـ٥ ، ص٢٩٩ ، روح المعاني : الألوسي : جـ٢٩ ، ص٩٤ : في ظلال القرآن : سيد قطب : جـ٦ ، ص٣٧١٤ ، التحرير و التنوير : ابن عاشور : جـ٢٩ ، ص٢٠٤

٢ ـ سورة نوح : الآيتان : ١٩ ـ ٢٠

٣ ـ مفتاح دار السعادة : ابن القيم : جـ١ ، ص ٢٠٠

وبهذه الدلائل العظيمة تدرج نوح في خطابه لقومه بحكمة حسنة موجهاً أنظارهم إلى بديع خلق الله تعالى في أنفسهم وفي آفاق السموات والأرض ليبين لهم أنه هو القادر الرازق بأن جعل السماء بناءً والأرض مهاداً وأوسع لهم الرزق ، لهذا يجب أن يُعبد وحده لا شريك له .

المطلب الثاني : تقديم النصح والإرشاد لهم :

تقدم أن نوحاً عليه السلام اتبع مع قومه في أسلوب دعوته الحكمة البالغة في إثبات تصوير مدى قدرة الله على الخلق ليصل بهم إلى إفرادهم لله تعالى بالعبادة ، ولم يقتصر على هذا الجانب بل خاطبهم أيضا بحكمة بالغة وحسنة في طريقة نصحه لهم وإرشادهم إلى سواء السبيل ، كما في قوله تعالى :

" قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ " (١)

وقد تكرر نصحه عليه السلام في مواضع أخرى كما في قوله تعالى :

" قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ " (٢)

والنصح : من نصح الشئ أي خلص ، والناصح : الخالص من العسل وغيره وكل شئ خلص فقد نصح .

والنصح نقيض الغش ، مشتق من نصحه وله نصحاً ونصيحة ونصاحة ونِصاحة ، ونصاحية ونصحاً . قال تعالى :"وأنصح لكم " . ويقال

---

١ - سورة الأعراف : الآيتان ٦١ - ٦٢

٢ - سورة هود : الآية ٣٤

نصحت له نصيحتي نصوحاً : أي أخلصت وصدقت ، والإسم نصيحة ؛

والنصح مصدر نصحته ، والنصيحة مشتقة من نصحت العسل إذا صفيته ، أو مشتقة من النصح وهي الخياطة بالمِنْصَحة وهي الإبره ، والمعنى أنه يلم شعث أخيه بالنصح كما تلم المِنْصَحه .

** والنصيحه :ـ كما قال الخطابى في فتح الباري :ـ
هي كلمه يعبر بها عن جمله : هي اراده الخير للمنصوح له .

وفي الحديث (الدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولائمة المسلمين وعامتهم)،[٢] قال العلماء عن هذا الحديث : أنه أحد أرباع الإسلام .

فأما النصيحة لله تعالى : أي الإيمان به ونفي الشريك عنه ، وترك الإلحاد في صفاته ووصفه بصفات الكمال والجلال كلها ، وتنزيهه سبحانه وتعالى عن جميع النقائض ، والقيام بطاعته ، واجتناب معصيته ، والحب فيه والبغض فيه ، وموالاة من أطاعه ، ومعاداة من عصاه ، وجهاد من كفر به ، والإعتراف بنعمته وشكره عليها والإخلاص في جميع الأمور والدعاء إلى جميع الأوصاف المذكورة والحث عليها والتلطف مع جميع الناس ومن أمكن حثهم عليها .[٣]

---

١ ـ انظر : الصحاح للجوهري : جـ١ ، باب الحاء فصل النون : ص٤١٠ ، لسان العرب : ابن منظور : جـ٢ ، ص ٦١٥ : فتح الباري : ابن حجر : جـ١ : كتاب الإيمان : باب الدين النصيحة ص ١٣٨ . صحيح مسلم شرح النووي : جـ٢ ، ص ٣٧

٢ ـ فتح الباري : ابن حجر : جـ١ ، ص ١٣٨ ، وصحيح مسلم بشرح النووي : جـ٢،ص ٣٧

٣ ـ المرجعين السابقين ،ص ١٣٨ ، ص ٣٨ ، عمدة القاري : العيني : جـ١ ، ص٣٢٢

وأما حقيقة هذه الإضافة ، راجعة إلى العبد في نصحه نفسه ، فالله تعالى غني عن نصح الناصحين .(1)

وأما النصيحة لكتابه سبحانه وتعالى ، فالإيمان بأنه كلام الله تعالى وتنزيله، لا يشبهه شيء من كلام الخلق ، ولا يقدر على مثله أحد من الخلق ، ثم تعظيمه وتلاوته حق التلاوه ، وتحسينها والخشوع عندها وإقامة حرفه في التلاوة، والذب عنه لتأويل المحرفين ، وتعريض الطاغين ، والتصديق بما فيه ، والوقوف على أحكامه ، وتفهم علومه ، وأمثاله ، والاعتبار بمواعظه والتفكر في عجائبه ، والعمل بحكمه والتسليم لمتشابهه ، والبحث عن عمومه وخصوصه ، وناسخه ومنسوخه ونشر علومه والدعاء إليه .

وأما النصيحة للرسول صلى الله عليه وسلم : فتصديقه على الرسالة والإيمان بجميع ما جاء به ، وطاعته في أمره ونهيه ونصرته حياً وميتاً ، ومعاداة من عاداه ، وموالاة من والاه ، وإعظام حقه وتوقيره ، وإحياء طريقته وسنته .

وبهذه الأمور كانت حقيقة النصح ، وهو الإرسال إلى المصلحة مع خلوص النية من شوائب المكروه ، ويتمثل ذلك في إشفاق الأخ الناصح لإخوانه ، وفي صدق الرائد الناصح لمريديه ، لهذا فقد دعا نوح عليه السلام قومه ونصح لهم بإخلاص دون أن يبتغي منهم أجراً ، بل كان يسعى جاداً في إبلاغهم بأمر الله وتقديم النصيحة لهم

---

١ ـ انظر: فتح الباري : ابن حجر : جـ ١ ، ص ١٣٨ ، صحيح مسلم ، شرح النووي : جـ ٢ ، ص ٣٧ . عمدة القاري : العيني : جـ ١ ، ص ٣٢٢

و مجادلاً لهم بحكمة حسنة كما في قوله تعالى :

" قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ " [1] و هو هنا عليه السلام جاءهم لتبليغ الرسالة و النصح لهم ٠

الفرق بين تبليغ الرسالة و النصيحة :

فتبليغ الرسالة : أن يعرفهم الرسول أنواع تكاليف الله، و أقسام أوامره و نواهيه ، و يدل عليه قوله - ما جاء في قصة نوح عليه السلام - " أبلغكم رسالات ربي " و في قوله رسالة يعني أنه عليه السلام حمل أنواعاً كثيرة من الرسالات ، و هي أقسام التكاليف من الأوامر و النواهي و شرح مقادير الثواب و العقاب في الآخرة ، و مقادير الحدود و الزواجر في الدنيا ٠

و أما النصيحة : فهي الترغيب في الطاعة ، و التحذير عن المعصية و السعي في تقرير ذلك الترغيب بأبلغ الوجوه ٠

و هذا هو المقصود من هذه الآية الكريمة أي أبلغ إليكم تكاليف الله ، ثم أرشدكم إلى الأصوب و الأصلح لكم ، و أدعوكم إلى ما دعاني ، و أحب إليكم ما أحب لنفسي ٠ [2] والله أعلم ٠

---

١ - سورة الأعراف : الآيات ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣

٢ - التفسير الكبير : الرازي : جـ ٤ ، ص ١٥٧

و هو هنا قد نصح لله تعالى : في أمره إياهم بعبادة الله دون سواه من الأنداد و الآلهة ، و التحذير من عقاب الله تعالى على كفرهم به .

و ناصح للرسول : متمثل بدعوة قومه إلى تصديقه فيما جاء به من عند الله تعالى ، و التحذير من تكذيبه .

و نصيحته للكتاب : متمثلة بإبلاغ وحي الله تعالى إليهم ، كما أمر بتبليغه إياه .(1)

هذا هو المنهج الذي سلكه نوح عليه السلام في بداية دعوته إلى قومه متمثلاً في التركيز على توحيد الله تعالى و توجيه البصائر إليه ، و وضع العقول الناضجة موضع المسئولية و إيقاظها من سباتها العميق ، لتتحسس مسئوليتها و تتدبر آيات الله تعالى في آفاق هذا الكون الفسيح . و قد تمثل ذلك في قوله تعالى :

" إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ "(2)

لهذا كان للتفكر في خلق السموات و الأرض شأن عظيم ؛ ليزداد الذين آمنوا إيماناً ، و ليعلم من لم يؤمن بأن هذا الخلق لم يخلق باطلاً و لا عبثاً ، بل ليدل على أن خالقه رب واحد و لا يستحق

---

١ - جامع البيان : الطبري : جـ ٨ ، ص ٢١٤

٢ - سورة آل عمران : الآيتان ١٩٠ - ١٩١

العبادة أحد سواه . ذلك ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى . وفي ذلك إقامة الحجة عليهم بأن القادر على هذا هو المستحق فقط للعبادة .

. . .

المبحث الثاني

مجادلة قومه وعدم اليأس منهم

لما كانت دعوة الرسل تقوم على الحكمة و الموعظة الحسنة و المجادلة بالتي هي أحسن ، ولما كان تغيير العقائد ليس أمراً سهلاً ، لهذا أعطى الله سبحانه وتعالىٰ رسله الكرام البيان ، و أرسلهم بلغة أقوامهم ، ولمّا كانت الحجة لازمة لبيان الحق و الدفاع عنه ، حتىٰ تتفتح القلوب وترى الحق بعين البصيرة ، كان الجدال بالحق سلاحاً للوصول إلىٰ إثبات الحقيقة • وقد أمر بها النبي صلىٰ الله عليه وسلم " وجادلهم بالتي هي أحسن " •

وهو بهذا : مراد يتعلق بإظهار الحقيقة و بيانها و إلزام الخصم به •[1]

ولقد أُوتي نوح عليه السلام نفساً في الحجة و الجدل الذي ملك على الأقوام كل أقطارهم ، و أدار رؤوسهم و عقولهم فقالوا كلمة الخائف من نور الحق و إشراقة الحجة [2] : " قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ " [3]

يتضح من هذه الآية الكريمة : أنّ قوم نوح قد عارضوه معارضةً شديدةً و رفضوا دعوته ، و هذه المعارضة اشتملت علىٰ عدة شبهات

---

١ ـ انظر مناهج الجدل في القرآن الكريم : زاهر عوض الألمعي : الطبعة الثانية : ١٤٠٠ ، ص ٢١

٢ ـ انظر : الدعوة الإسلامية : أحمد غلوش : القاهرة : دار الكتاب المصري : ١٩٧٩ ، ص ٣٨٢ • انظر : الدعوة إلىٰ الله : توفيق الواعي ، ص ٢٩٦ • انظر : معالم الدعوة في قصص القرآن : عبد الوهاب الديلمي : الطبعة الأولىٰ : جدة : دار المجتمع للنشر و التوزيع : ١٤٠٦ : جـ ١ ، ص ٢٧٦ • الأنبياء في القرآن : سعيد صادق محمد : الطبعة الأولىٰ : الرياض : دار اللواء : ١٤٠٢ ، ص ٦٥

٣ ـ سورة هود : الآية ٣٢

مبنية على مقدمات : وهذه المقدمات متمثلة في قوله تعالى :
" فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ " (١)

وقد تقدم ذكر هذه الآية والتفصيل فيها في الفصل الثاني من الباب الأول عند ذكر الشبهات حول بشرية الرسول . إلا أنها هنا من أجل بيان مدى قوة الجدال في دعوة نوح عليه السلام إلى قومه وكيف جادلهم بحكمة حسنة وَرَدَّ عليهم شبههم ، ومع ذلك لم يؤمنوا به .

المطلب الأول : المقدمات التي استند إليها في الجدال

المقدمة الأولى : أنه بشرٌ مثلهم : كما في قولهم : " ما نراك إلا بشراً مثلنا " فهم ينكرون عليه الرسالة لكونه بشراً ، حيث قال أشراف قومه : ما أنت إلا بشراً مثلنا في الجنس لا مزيّة لك علينا تجعلنا نذعن لنبوتك .

إلا أن نوحاً عليه السلام ردّ عليهم هذه الجهالة منهم ، ذلك أن حصول المساواة في صفة البشرية لا يمنع من حصول المفارقة في صفة النبوة ، ولا تنافي مقتضيات الرسالة كما في قوله لهم :

---

١ - سورة هود : آية ٢٧

" قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ " (١)

ويتجلى نداء نوح عليه السلام إلى قومه في سماحة ومودة ، وذلك بندائهم ونسبهم إليه ونسبة نفسه إليهم بقوله ياقوم . وهذا الرد يتضمن ما يلي :

١ - إن الإصطفاء بالرسالة من خصائص الله تعالى ، حيث يصطفي برحمته من يشاء وهو الذي لا يسأل عما يفعل .

٢ - كيف تستطيعون رد البينة التي أكرمني الله بها ، (٢) وأنا لا أقدر على إيصال حقيقة البينة إليكم ، وإنما يقدر عليها الله تعالى .

والبينة التى مكّن الله تعالى بها نوحًا عليه السلام أمران :

١ - أمرٌ فكري : يتضمن الحقائق الدينية المؤيدة بالبراهين العقلية ، وهي ما كان من تعاليم الوحي .

٢ - أمرٌ مادي يتجلى بالمعجزة التي تشهد بصدقه ، وبهذا أسقط لهم حجتهم ، ولم يلزمهم بها كراهة ، وبهذا تكون هذه الآية أول نص في دين الله على أنه لا ينبغي أن يكون الإيمان بالإكراه وفي ذلك إثبات لنبوته عليه السلام وردٌ لإنكارهم لها ، وإبطال شبههم في أنه بشر مثلهم . (٣)

---

١ - سورة هود : آية ٢٨
٢ - مناهج الجدل فى القرآن الكريم : زاهر عوض الألمعي ، ص ١٥٤
٣ - انظر : تفسير المراغي : ج ١٢ ، ص ٣٠

المقدمة الثانية : متمثلة فى قوله تعالى " و ما نراك إتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادى الرأي " .

و هم بهذا ينكرون على نوح مكانة القوم الذين اتبعوه و أنهم من الضعفاء دون الكبراء و الأشراف ، و هم يعنون بهم أصحاب الحرف الخسيسة كالحياكة و النجارة ، (١) و إن كانت لا غنى عنها و فيها الخير ، لكنا نحن أشراف القوم أولى بإتباعها .

الرد عليهم :

لقد كانت شبههم أن أتباعه عليه السلام من الضعفاء الذين يستعجلون السبق إلى مثل هذه الأمور ، دون التأمل في عواقبه و دون ترجيح العقل لهذا الأمر .

و كان رده عليه السلام قاطعاً في هذا الأمر كما هو في قوله تعالى : " وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ " (٢)

و هذه الآية تتضمن عدة أمور في رده عليهم :

أولاً : أنه ليس بطالب مالاً حتى يأتيه الأغنياء و يبتعد عنه الفقراء،

---

١ - انظر : جامع البيان : الطبري : جـ ١٢ ، ص ٢٦ ، الجامع لأحكام القرآن : القرطبي جـ ٩ ، ص ٢٣ ، غرائب القرآن : و رغائب الفرقان : النيسابوري : ط ١ : مصر : مطبعة الحلبي : ١٣٨٤ : جـ ١١ ، ص ٢١

٢ - سورة هود : الآيتان ٢٩ - ٣٠

ذلك : لأن الرسالة جاءت للعالمين من قومه ، فهي دعوة عامة شاملة لكم جميعاً ، يستوي فيها مشهوركم و مغموركم ، الأغنياء منكم و الفقراء و لو فرض و أجبتكم إلى مطلبكم ، فمن الذي أعتمد عليه في نشر الدعوة و تأييد الرسالة ؟ و كيف أطرد قوما نصروني لما دعوتهم و قد لقيت منكم الإعراض ! . (١)

ثانياً : إن الله سبحانه و تعالى سيحاسبه و يؤاخذه إذا هو اصطفى الأغنياء و الشرفاء و طرد الفقراء و الضعفاء ، فمن منهم ينصره من الله تعالى إذا فعل هذا . و قد عاتب الله سبحانه و تعالى رسوله محمد صلى الله عليه و سلم عندما إلتفت إلى أشراف القوم راجياً إيمانهم ، و أعرض عن ابن أم مكتوم ، بقوله تعالى :

" عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ " (٢)

المقدمة الثالثة : و تتتابع الشبه تترا متمثلة في قوله تعالى: " و ما نرى لكم علينا من فضل " ، فقوم نوح أنكروا أن يكون نوح عليه السلام رسولاً ، ذلك أنهم لا يجدون فيه -كما يزعمون- فضل عليهم لا في العقل و لا في كيفية رعاية المصالح و لا في قوة الجدل و لا لمن إتبعه أدنى إمتياز عنهم من قوة أو كثره مال أو علم أو أصالة رأي ، يحملهم على اتباعكم

---

١ - انظر : قصص الأنبياء : جاد المولى ، ص ١٧

٢ - سورة عبس : الآيات من ١ : ١٢

و يجعلنا نتنازل عن جاهنا و مالنا و نكون نحن و أنتم سواء . (١)

السرد عليهم :

ما كان منه عليه السلام إلا أن رد عليهم قائلاً :

" وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ " (٢)

ذلك إن كان عدم إتباعي و تكذيبي لنفيكم عني فضل المال و الجاه، فأنا لم أدّعه و لم أقل لكم إنّ خزائن الله تعالى و ماله عندي حتى أنكم تنازعونني في هذا و تنكرونه ، و إنما كان مني دعوى الرسالة .

و أما قوله " و لا أعلم الغيب " معطوفة على " عندى خزائن الله ، و زاد بلفظ النفي بقوله " و لا أعلم " ، أي لا أقول أني أعلم الغيب حتى تكذبونني لإستبعاد ذلك ، و ما ذكرت من دعوى النبوة و الإنذار بالعذاب إنما هو بوحي من الله مؤيداً بالبينة . (٣)

و في هذا الرد تعريفهم : بأن الدنيا هي مجال الإبتلاء العام، و المؤمنون و الكافرون فيها على السواء ، و ليست خزائن الله بيده عليه السلام ليفيض منها على من آمن برسالته ، بل هي بيد الله يفيض منها على من يشاء من عباده لحكمة الإبتلاء التي يعلمها سبحانه ، و هو وحده عالم الغيب و الشهادة الذي يرتبط به تحصيل المنافع المادية الدنيوية .

---

١ - انظر : غرائب القرآن : النيسابوري : ج١١ ، ص ٢٢ ، المراغي : ج ١٢ ، ص ٢٥

٢ - سورة هود : جزء من الآية ٣١

٣ - انظر : روح المعاني : الألوسي : ج ١٢ ، ص ٤٢ ، ٤٣

المقدمة الرابعة : في قولهم " بل نظنكم كاذبين " يتضح من قولهم هذا ، أنه عليه السلام كان يرد على شبههم بحجج قوية و مقنعه و مجادلا إياهم بحكمة بينة ، لذا ما كان منهم إلا أن اتهموه عليه السلام بالكذب في دعوى النبوة ، و ما جعلهم يطرقون هذا الجانب الا لشدة اعراضهم و عدم قبولهم الحق ...

الرد على هذه المقدمة :

و بكل ما أوتي عليه السلام من حكمة و صبر ليستمر في مجادلتهم و رد شبههم ليأخذ بهم إلى سواء السبيل ، و يقول لهم " لا أقول إني ملك " حتى تقولوا ما نراك إلا بشرا مثلنا ، ذلك أن البشرية ليست من موانع النبوة ، بل من مبادئها ٠ (١)

و كوني لا أملك خزائن الأرض ، و لا أدعي علم الغيب ، و لا كوني ملك ، اتخذتم هذه الأمور ذريعة إلى تكذيبي ، و الواقع إنني لا أدعي شيئا منها و لا بما يتعلق بها ، إنما كل ما أقوله إن الله إصطفاني لهذه الرسالة بفضل منه سبحانه و تعالى ٠

و نوح عليه السلام لا يجرده هذا التكذيب و التحدي من قومه عن كونه النبي الكريم ، و لا يثنيه عن بيان الحق لهم ٠

و بهذه الحجج و المنطق و الجدال السليم ، أبطل نوح عليه السلام جميع الشبهات التي وجهوها له ، إلا أنهم قوم عميت بصائرهم عن ادراك الحق و الصواب ٠

---

١ ـ انظر : إرشاد العقل السليم : أبو السعود : جـ ٤ ، ص ٢٠٣

المقدمة الخامسة :

« قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ » (١)

و هذا قول الجمهور و السادة من القوم و هم يرون أن نوحا في ضلال مبين في دعوته لهم بترك عبادة الأصنام التى وجدوا عليها أباءهم ، و هذا هو حال الفجار دائما في كل زمان و مكان يحسبون أن كل من يدعوهم إلى الهدى ضال ، و ما علموا أنهم في دعواهم هذه في ظلمات يعمهون .

الرد على هذه الشبهة :

يرد نوح عليه السلام و ينفي عن نفسه الضلال و يبين لهم حقيقة دعوته و منبعها و أنها ليست من أهوائه ، و إنما هو رسول أمين كما في قوله :

" قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ " (٢)

و هذا هو شأن الرسول أن يكون بليغاً فصيحاً ناصحاً عالماً بالله تعالى . (٣)

و هكذا و بهذه المقومات جادل نوح عليه السلام قومه ببالغ من الحكمة

---

١ ـ سورة الأعراف : الآية ٦٠

٢ ـ سورة الأعراف : الآيتان ٦١ ، ٦٢

٣ ـ انظر : تفسير القرآن العظيم : ابن كثير : جـ ٢ ، ص ١٢٤

والموعظة راجياً منهم الإيمان بالله تعالى ولكنهم ضاقوا بدعوته عليه السلام كما هو شأن أهل الكفر والضلال وعتوا عن أمر ربهم ، وكان عاقبة أمرهم خسراً .

. . .

المبحث الثالث : أساليب الدعوة

المطلب الأول : أسلوب الترغيب :-

إن الحث على فعل الخير وآداء الطاعات والإستقامة على أمر الله ، جاء في الكتاب والسنة مقرونًا ببشارات كثيرة ، وحكم بليغة .

والدعاة إلى الله عندما يدعون العامة والخاصة على حد سواء باتباع الدين الذي جاءوا به لا يسأمون من تكرار أسلوب الترغيب والترهيب ليصلوا إلى هدفهم .

وأسلوب الترغيب أمر محبب للنفس البشرية ، لأن فيه دلالة على أن الله سبحانه وتعالى يجازي عباده الصالحين بطيب العيش ، كما في قوله تعالى : " هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ " [1] وقوله " مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ " [2] وقال " وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ " [3]

وأسلوب الترغيب هذا هو أحد ما امتازت به مناهج الدعاة إلى الله تعالى .

فالترغيب لغة هو : رغب يرغب رغبة : إذا حرص على الشئ وطمع فيه [4] ورغبت في الشئ : إذا أردته . [5]

---

١ - سورة الرحمن : الآية ٦٠
٢ - سورة النحل : الآية ٩٧
٣ - سورة الأعراف : جزء من الآية ٩٦
٤ - لسان العرب : ابن منظور : جـ ١ ، ص ٤٢٢
٥ - الصحاح: للجوهري : ص ١٣٧

وفي القرآن الكريم والسنة المطهرة وفي الأثر مواطن كثيرة تبين مدى الربط بين الإستغفار وجلب الرزق ، كما في قوله تعالى :

" وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ " (١)

وقد حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإستغفار بقوله :

(والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة) (٢)

وهو من غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

وقال علي رضي الله عنه : العجب ممن يهلك ومعه النجاة ، قيل وما هي ؟ قال : الإستغفار . (٣)

وروي عن بعض العلماء أنهم قالوا : العبد بين ذنب ونعمة لا يصلحهما إلا الحمد والإستغفار . (٤) كل هذا يبين مدى أهمية الإستغفار في حياة الفرد وأنها سبب المغفرة من الذنوب والخطايا والبلاء .

وبهذا نخلص إلى أن نوحاً عليه السلام طلب من قومه الإستغفار إلى الله تعالى لما في ذلك من جلب المنفعه لهم ودرء ما طرأ عليهم من سوء حال .

---

١ - سورة الأعراف : الآيه ٩٦

٢ - فتح الباري : ابن حجر : كتاب الدعوات : باب استغفار النبي صلى الله عليه وسلم : ج١١ ، ص ١١ ، انظر : رياض الصالحين : النووي : ص ٨٣٠

٣ - ٤ إحياء علوم الدين : الغزالي : ج ١ ، ص ٣١٣

و الرغبة في الإصطلاح : رغبة النفس في الثواب ، و رغبة القلب في الحقيقة ، و رغبة السر في الحق ٠ (١)

و الترغيب في الدعوة إلى الله : ترغيب الناس إلى ثواب الله وجنته ، و منه كان الرسل مبشرين لما في البشارة من أمور محببة للنفس الانسانية و بهذا الأمر دعا نوح قومه قائلا لهم :
" فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾ " (٢)

مناسبة الآيات : أن قوم نوح لما كذبوه ، و استمروا في تكذيبهم إياه ، حبس الله سبحانه عنهم المطر ، و أعقم أرحام نسائهم أربعين سنة ، و أجدبت الأرض عندهم ٠ فرجعوا إلى نوح عليه السلام يشكون إليه حالهم و ما حل بهم ، فقال لهم : " استغفروا ربكم إنه كان غفاراً " ، و من هنا يظهر دور الداعية جليا حيث يستغل الفرص لعرض دعوته في كل حين فكان قوله لهم : إن تبتم إلى الله و استغفرتموه و أطعتموه ، وسّع لكم في الرزق ، و أنبت لكم الزرع و أدرّ لكم الضرع و أمدكم بالأموال و البنيين ٠ (٣)
و في هذا بيان فضل الإشتغال بالطاعة ، و بيان أنها سبب لإنفتاح أبواب الخيرات ، و بتقرير مصدر هذه الخيرات التي هي من عند الله تعالى ، لذا كان واجباً توحيده تعالى و افراده بالعبادة ٠

---

١ - التعريفات : للجرجاني : ص ٢٩٢

٢ - سورة نوح : الآيات : ١٠ - ١٢

٣ - انظر : تفسير القرآن العظيم : ابن كثير : ج٤، ص٤٢٩ ، التفسير الكبير : الرازي : ج ٣١ ، ص ١٣٧

وجزاء هذا الإستغفار متمثل في أمور :-

١ - أنه سيصيبهم في الدنيا خير كثير ، وتحصل لهم الهداية الغامرة بمغفرة ذنوبهم . وهو في قوله :
" فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ " (١) حيث تحصل لهم المغفرة من الذنوب التي وقعوا فيها .

٢ - أنهم سيعيشون في أمن وينعمون فيه بسلام واطمئنان وهو متمثل في قوله : " يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾ " (٢) وبهذا فطاعته تعالى تكفل لهم حياة آمنة .

إلا أننا نجد القرآن يقرر أن بعض الأمم لا تتقي الله ولا تقيم شريعته ، ومع ذلك نجدها في سعة من الرزق ، ومُمَكَّن لها في الأرض : إلا ان هذا إبتلاء من الله تعالى لها كما في قوله تعالى :
" وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً " (٣)

المطلب الثاني : أسلوب الترهيب والتحذير منه :

إنّ دعوة الناس إلى الإيمان بالله وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، أمر واجب أمر الله تعالى به عباده المؤمنين وخاصة

---

١ - سورة نوح : الآية ١٠

٢ - سورة نوح : الآيات ١١ - ١٢

٣ - سورة الأنبياء : جزء من الآية ٣٥

العاملين منهم في مجال الدعوه ، فعليهم النهوض بها لأنها هي المهمة الأساسية لكل داعية ، و القران الكريم حثّ على هذا الواجب ذلك لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب • فالباحث في هذا الأمر يجد القران الكريم ذاخراً بالكثير من الآيات الدالة على وجوب الدعوة منها كما في قوله تعالى : " يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ " (١) وقوله تعالى : " وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ "(٢) ، فالعاملون في مجال الدعوه اليوم هم بأمسّ الحاجة إلى منهج تبليغ يتقيدون به ، و إلى منطلقات فكرية و حركية يصدرون عنها في نطاق دعوة الناس إلى الله تعالى ، ليتسنى لهم مخاطبتهم و إقناعهم •

و هذا ما كان من دأب نوح عليه السلام في قومه متخذاً العديد من الأساليب و الطرق التي يدعو بها قومه ، إلا أنهم تمادوا في كفرهم • و لمّا لم ينفع معهم أيّ من الأساليب السابق ذكرها لجأ إلى أسلوب الترهيب و ذلك بالتحذير من غضب الله تعالى عليهم كما جاء في قوله تعالى : " وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ " (٣)

---

١ ـ سورة المائدة : جزء من الآية ٦٧

٢ ـ سورة آل عمران : آية ١٠٤

٣ ـ سورة هود : الآيات ٢٥ ـ ٢٦

وفي آية أخرى " لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ " (١)

هذه الآيات الكريمة تقرر ثلاثة أمور مما دعى نوح عليه السلام قومه بها منها :-

١ - أمرهم بعبادة الله وحده .
٢ - أنه حكم بلا إله إلا الله .
٣ - التخويف من عذاب يوم أليم عظيم ، والمقصود به إما يوم القيامة ، أو الإنذار بالطوفان .

وفيها الأمر بطاعته عليه السلام لأنه لا ينذر بهذا إلا من كان لديه علم بأن هذه الأمور ستقع لهم لا محالة إن هم عصوا الله ، وبين لهم هذه الدلائل ، قال الرازي في هذا : أنه تعالى ما حكى عن نوح تلك الدلائل في هذا المقام إلا أن تلك الدلائل لما كانت معلومة لم يكن إلى ذكرها حاجة في هذا المقام . (٢) وقد ذكرت هذه الدلائل في أول سورة البقرة . (٣)

وقد تكرر الإنذار من نوح عليه السلام إلى قومه في مواضع عدة منها أيضا كما في قوله تعالى : " إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ ... ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ " (٤)

---

١ - سورة الأعراف : آية ٥٨
٢ - انظر التفسير الكبير : الرازي : ج ١٤ ، ص ١٥٥
٣ - انظر المرجع السابق : ج ٢ ، ص ٩٩ - ١٤٣
٤ - سورة نوح : الآيات ١ - ٣

هذه الآيات الكريمة ابتدأت بتقرير مصدر الرسالة وأنها من الله تعالى وهو متمثل في قوله " إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ " وأما قوله " أن أنذر قومك " هذا هو الترهيب بالإنذار ، وهو دليل قاطع للحالة التي انتهى إليها قوم نوح من إعراض وإستكبار ، حيث جعل الإنذار هو أنسب ما تلخص به رسالته عليه السلام ، فالإنذار وكما سبق ذكره إنذار بعذاب أليم في الدنيا ، أو في الآخرة ، أو فيهما معاً ، وفي ذلك بيان بأنه أمر القوم بثلاثة أمور :-

١ - عبادة الله وحده لا شريك له حيث يتناول جميع الواجبات ، والمندوبات من أفعال القلوب والجوارح .

٢ - الأمر بالتقوى : وهو ما يتناول الزجر عن جميع المحظورات وذلك صيانة للنفس عما تستحقه من العقوبات من فعل أو ترك . وهي في الطاعة يراد بها الإخلاص ، وفي المعصية يراد بها الترك والحذر . (١)

٣ - طاعته عليه السلام فيما أمر به ونهى عنه . (٢)

إلا أنه عليه السلام لم يقتصر على الترهيب في هذه الدرجة والمنزلة فقط، بل صاحبها بالترغيب ليحصل لهم من ذلك بيان سبب ترهيبه ، فإن هم أطاعوه وانتهوا عما هم فاعلوه ، حصل لهم الثواب بأن أطمعهم بالمغفرة كما في قوله " يغفر لكم من ذنوبكم " وفيه أنه بهذه التوبة والمغفرة يحصل لهم إزالة العذاب عنهم في الآخرة ، وأطمعهم بتأخير الأجل كما في قوله " ويؤخركم إلى أجلٍ مسمى " ، وفي ذلك إزالة

---

١ - انظر التعريفات : الجرجاني : ص ٦٨

٢ - انظر : التفسير الكبير : الرازي : ج ٣٠ ، ص ١٣٤

مضار الدنيا عنهم بقدر الإمكان ، كل ذلك بشرط الإيمان منهم بالله تعالىٰ و طاعته ، و في وصف الله تعالى الأجل بأنه مسمىٰ فائدة هي :- بأنه تعالىٰ لمّا وصف الأجل بالمسمىٰ ، و تعليق تأخيرهم إليه بالإيمان و الطاعة صريح في أن لهم أجلاً آخر لا يجاوزونه إن لم يؤمنوا و هو المراد بقوله تعالى : " إنّ أجل الله " أي ما قدره الله عز و جل لكم على تقدير بقائكم علىٰ ما أنتم عليه (إذا جاء) و أنتم على ما أنتم (لا يؤخر) فبادروا إلى الإيمان و الطاعة قبل مجيئه ، حتى لا يتحقق شرطه الذي هو بقاؤكم على الكفر و العصيان ، فلا يجيئ ، و يتحقق شرط التأخير إلى الأجل المسمى فتؤخروا إليه .[1] و قد يراد به (الأجل) قبل أن يأتيكم العذاب الأليم ، كما جاء في بداية السورة .

و بهذا نخلص إلى أن نوحاً عليه السلام دعى قومه بكل ما أوتي من قوة حجة و بيان باللين تارة، و بالشدة أخرىٰ ، و قد استخدم أساليبه جميعاً وفق مراتب دعوته عليه السلام .

المطلب الثالث : مراتب دعوته عليه السلام :-

لقد استخدم نوح عليه السلام في دعوته قومه مراتب ثلاثة مستخدماً في ذلك كل أساليب الدعوة ، فقد اتبع في دعوته الآتي :-

---

١ - انظر : روح المعاني : الألوسي : جـ ١٠ ، ص ٨٨

٢ - انظر : التحرير و التنوير : ابن عاشور : جـ ٢٩ ، ص ١٩٧

أولاً : مرتبة المناصحة في السر : فعاملوه بأمور أربعة :-

١ - جعلوا أصابعهم في آذانهم ٠

٢ - و استغشوا ثيابهم ٠

٣ - و أصروا ٠ و في ذلك تشديد الإمتناع من الإقلاع عن الذنب ٠ (١)

٤ - و استكبروا استكباراً - أي عظيما بالغاً - في عدم قبول الحق ٠

ثانياً : مرتبة المجاهرة : آذوه و بالغوا في إيذائه و ازدادوا إعراضاً

ثالثاً : مرتبة الجمع بين السر و العلانية : لقد دعاهم عليه السلام في هذه المرحلة في جميع الأوقات ، مراعياً حالهم و مستغلاً فرصة الدعوة إلى الله في كل حين ٠ و هو ما جاء متمثلاً في توجيه خطابه لله تعالى (أنه اتبع كل السبل معهم يدعوهم إلى عبادة الله و مع ذلك لم يستجيبوا له ٠ لذا لجأ إلى الله تعالى يشكوا له سوء ما قابله به قومه فقال :

" يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ " (٢)

و هذا ما كان عليه جميع الأنبياء عليهم السلام في دعوتهم إلى الله تعالى ، فقد بدأوا دعوتهم بمرحلة سرية ليتسنى لهم آنذاك جمع بعض الأنصار للنهوض بهذه الدعوة و من ثم جاهروا بها ليتم لهم الإعلان عنها على أوسع نطاق ٠

---

١ - انظر : روح المعاني : الألوسي : جـ ١٠ ، ص ٨٩

٢ - سورة نوح : الآيات ٥ - ٩

وفي هذا درس بليغ للدعاة إلى الله تعالى لينهجوا ما كان عليه الأنبياء حيث تأليف القلوب لهذه الدعوة أمر واجب ، ولا يكون ذلك إلا باتباع تلك المراحل الثلاث ، مرحلة السرية ، ومن ثم الجهرية ثم الجمع بين السر والعلانية مع مراعاة مراتب القوم ودرجاتهم ، والقيام على هذه الدعوة بكل ما أوتوا من قوة في الحجة واليقين وبسائر الوسائل الممكنة ، فهدفهم واحد هو إخراج الناس من الظلمات إلى النور وإفراده تعالى بالعبادة وإخلاص الأمر لله عز وجل ٠

المطلب الرابع : صبره عليه السلام :-

سبق أن ذكر أن نوحاً عليه السلام كان يدعو قومه ليلاً ونهاراً وسراً وإعلاناً ، ولم يلق نبي من الأنبياء من الضرب والشتم وأنواع الأذى والجفاء مثل ما لقي نوح عليه السلام ، لذا جاء وصف قومه كما في قوله تعالى :

" وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ " (١) وأولوا العزم من الرسل كانوا في غاية الصبر على ما أصابهم في سبيل الله ، فلم يضعفوا في جهادهم ودعوتهم إلى الله ٠ وواجهوا مهمات دعوتهم بعزم وجلد وصبر عظيم ، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ، فقال تعالى :

" فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ " ٠(٢)

---

١ ـ سورة النجم :آية ٥٢

٢ ـ سورة الأحقاف : جزء من الآية ٣٥

لذا كان الداعي إلى الله تعالى أشد الناس بلاءاً وأكثرهم تحملاً ، لأنه قائد فكر ، وحامل مشعل ، ورسول إصلاح ، وزعيم حركة تغيير ، ذلك أنه يتحمل قوة تغيير المألوف .[1] ولمّا لم يجد نوح عليه السلام منهم إلا الإصرار والإستكبار ، والسخرية والإستهزاء ، لم يثنه ذلك ، بل نجده يمضي في دعوته سنين طوال دون كلل ولا ملل ، وكلمّا أعرض قومه عن الإستجابه له ، غيّر وبدّل في الأسلوب ، ونجده عليه السلام في جميع الحالات رحيماً بهم ، خائفاً عليهم عذاب يوم عظيم ، كان يخاطبهم بكل لين ولطف ويقربهم إلى نفسه آملا في إيمانهم ، فتارة يخاطبهم بأنه منهم وهم منه كما في قوله : " لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ "[2] ، وتاره بإنزالهم منزلة الأخوة القريبة كما في قوله تعالى : " إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ "[3] ومع كل هذا الدأب والحلم منه عليه السلام ، إلا أنه ما آمن معه إلا قليل فما كان منهم إلا الاعراض ، وما كان منه عليه السلام إلا الصبر ، وقد حكى عنه تعالى ذلك كما في قوله : " قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ "[4]

---

١ ـ انظر : الدعوة الاسلامية و الاعلام الدينى : د. عبد الله شحاته : ص ٩

٢ ـ سورة الأعراف : جزء من الآية ٥١

٣ ـ سورة الشعراء : آية ١٠٦

٤ ـ سورة نوح : آية ٥ ـ ٩

هذا ما كان من صبره عليه السلام في قومه ، أما ما كان من شأن أهل بيته فقد أمتحن فيهم وقد صبر عليهم :-

١ - لقد كانت زوجته مشركة وكانت تقول للناس عنه بأنه مجنون ، خاصة بعد ما طلب منها أن تخبره إذا فار التنور ، حيث جعل فوران التنور علامه لغرق قومه • حيث فسر معظم المفسرين قوله تعالى : " حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ " بهذا الأمر •

٢ - امتحنه الله تعالى بكفر ابنه وعصيانه له ، وقد سبق الحديث عن هذا الأمر في الباب الأول في فصل النبوة بالتفصيل •

وكان صبره في هذا عظيماً : فإنّ كثيراً من الأنبياء والدعاة من بعدهم كانوا مُمتَحَنِين في أقوامهم فإذا رجعوا إلى بيوتهم ، وجدوا من يهوّن عليهم ، ويأخذ بيدهم ويصبّرهم ، وفي ذلك أمر محبب للنفس الإنسانية حيث يضفي عليها الكثير من الإطمئنان والنصرة •

أما نوح عليه السلام فقد إبتلاه ربه بقومه وأهل بيته معاً ، حينئذ لم يجد بُدّاً من دعاء ربه ، فانتصر له في الدنيا مرتين :-[1]

الأولى : أن أنجاه ومن معه من المؤمنين •

الثانية : أنه أهلك زوجه وابنه الكافرين وأبدله خيراً منهما بأن جعل ذريته هم الباقين كما في قوله تعالى :

" وَجَعَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلۡبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٠﴾ "[2] •

---

١ - الصبر الجميل : سليم الهلالي : دار ابن القيم : الدمام : السعودية : ط ١٤٠٩ : ص ٧٦

٢ - سورة الصافات : الآيات : ٧٧ - ٨٠

وصدق الله العظيم إذ يقول : " هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ " (١)

ولما كان الإيمان نصفين : نصف صبر ، ونصف شكر (٢): كان لابد لمن أراد نصح نفسه وأحبَّ نجاتها ، وآثر سعادتها ، أن يتمسك بهذين الأصلين العظيمين ، ولا يعدل عنهما القاصدون وأن يلتزمهما من أراد الطريق إلى الله ، ليجعله الله تعالى على خير الطريقين .

وما يدل من القرآن الكريم على أن نوحاً عليه السلام قد صبر على قومه في دعوتهم قوله تعالى : " وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ " (٣)

١ - أنه تعالى عبر بالسَّنَة عن المدة التي قضاها نوح في قومه ، وذلك لأن السَّنَة تشير إلى الشدة والصعوبة والطول ، أما التعبير بالعام عن المدة التي لم يقضها فيهم وذلك لبيان السهولة والقصر في العام .

٢ - أن السَّنَة تطلق على التقويم الشمسي وهي أطول من القمري بأحد عشر يوماً ، أما العام فيطلق على التقويم القمري . (٤)

وبهذا فإننا نجد أنَّ نوحاً عليه السلام قد رزقه الله تعالى الصبر على الجدال والقدرة على تصريف الحجج ، ومسالك الإقناع ، إلا أنه لم يؤمن معه إلا القليل .

---

١ - سورة الرحمن : الآية ٦٠

٢ - عدة الصابرين : ابن القيم : ط٢ : لبنان : دار الكتاب العربي : ١٤٠٦ ، ص ٢٣

٣ - سورة العنكبوت : الآية ١٤

٤ - انظر : القصص القرآني : فضل عباس : الطبعة الأولى : عمان : دار الفرقان : ١٤٠٧ ، ص ٨٣

الفصل الثالث

موقف قوم نوح من دعوته

إعراض قومه عنه ورفضهم لما دعاهم إليه قولاً وعملاً :

وفيه سبعة مباحث

المبحث الأول : تكذيبهم لنوح عليه السلام .

" الثاني : تحريض الغير على تكذيبه .

" الثالث : وضعوا أصابعهم في آذانهم .

" الرابع : رميه بالسفه و الجنون .

" الخامس : ضربه عليه السلام و إيذاؤه .

" السادس : توصية أبنائهم بعدم إتباع نوح عليه السلام .

" السابع : بيان من آمن مع نوح عليه السلام .

• • •

المبحث الأول

لقد دعا نوح عليه السلام قومه إلى الله تعالى فأعرضوا ، وأنذرهم بعذاب أليم إلا أنهم عموا وصموا ، ورغّبهم في ثواب الله فاستكبروا ، ووضعوا أصابعهم في آذانهم ، ومع ذلك ناضل وصابر وجادل ، ولم يدع اليأس يسلك إلى قلبه ، فما كان موقفهم من دعوته عليه السلام ، إلا موقف الجحود والنكران ، موقف الإصرار على الباطل ، والإعراض والإستكبار عن الحق ، واستمروا في مقابلة نوح عليه السلام بشتى أنواع الإيذاء والإتهامات والافتراءات الباطلة ، من تكذيب له ، وتحريض عليه ، وتوصية لأبنائهم بعدم إتباعه ، وضربهم له .

وقد كان إعراضهم عن نوح عليه السلام إعراضاً قولياً وفعلياً سالكين في ذلك عدة أساليب .

تكذيبهم لنوح عليه السلام :-

كثير من الآيات القرآنية دلت على مدى تكذيب قوم نوح ، لنوح عليه السلام كما في قوله تعالى :

« قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ » (١)

---

١ ـ سورة الأعراف : الآيتان ٦٠ ـ ٦١

وكما في قوله : " أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ " (١)

وكما في قوله تعالى : " وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ " (٢)

وكما في قوله تعالى : " فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ " (٣)

هذه الآيات الكريمة جاءت مبينة لموقف قوم نوح عليه السلام ومدى إعراضهم ، وأنه كبر عليهم أن يكون نوح عليه السلام نبياً لله وداعياً له . وكذلك كبر عليهم تذكيره لهم بآيات الله ، لهذا طلب منهم أن يجمعوا أمرهم ويتفقوا على رد معين لنوح عليه السلام ، متخذين في ذلك قراراً نهائياً لا رجعة فيه ، ثم يجمعوا أمرهم بما اتفقوا عليه ، فإن أعرضوا عنه فإن أجره على الله ،ولقد اعرضوا عن دعوته لله ، إلا أنه مع ذلك أمر بأن

---

١ - سورة الأعراف : الآيتان ٦٣ - ٦٤

٢ - سورة يونس : الآيات ٧١ - ٧٣

٣ - سورة هود : الآية ٢٧

يكون من المسلمين ، و بكل هذا الحلم من نوح عليه السلام ، ما كان منهم إلا أن كذبوه .

وجاء في قوله تعالى : " أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ " (١)

في هذه الآية الكريمة تصريح رميهم نوح عليه السلام بالكذب لقوله " افتراه " قال الطبري في ذلك [ان افتريته و اختلقته فعليّ إثمي في افترائي ما افتريت على ربي دونكم ، لا تؤاخذوني بذنبي و لا إثمي ، و لا أؤاخذكم بذنبكم ، و أنا بريء مما تذنبون و تأثمون بربكم من افترائكم عليه .] (٢)

و لا عجب في ذلك فهذا موقف جميع المشركين مع أنبيائهم . إلا أنّ هؤلاء لم يقتصروا على أن كذبوه وحدهم بل حضوا الغير على تكذيبه ممن يجدون في أنفسهم تقبلاً لدعوته عليه السلام .

. . .

---

١ - سورة هود : الآية ٣٥

٢ - جامع البيان : الطبري : ج ١٢ ، ص ٣٢

المبحث الثاني

تحريض الغير على تكذيبه

لما أحسّ قوم نوح عليه السلام بوجود أذن صاغية لدعوته ، ما كان منهم إلا أن سعوا لهذه الآذان لتحريضها لعدم إتباعه ، وجاء ذلك متمثلاً في قوله تعالى : " فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ " (١)

إنّ رفض قوم نوح عليه السلام لدعوته لم يجعلهم يكتفون بهذا الرفض و الإعراض ، بل إنهم طلبوا من قومهم الذين أحسوا منهم الإيمان ، التخلي عنه بقولهم إنه رجل مثلهم ، و رموه بالسفه و الجنون .

ولم يكتفوا بهذا بل أيقظوا فيهم حميّة الجاهلية ، كما في قوله تعالى : " وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ " (٢)

و ما أغنى هؤلاء الضعفاء إلا اتباعهم و طاعتهم رؤساءهم الذين مكروا لهم مكراً شديدا ليثنوهم عن جادة الطريق ، و أنهم بذلك اتبعوا من لم يزده ماله و ولده إلا خسارة .

---

١ ـ سورة المؤمنون : الآيتان ٢٤ ـ ٢٥

٢ ـ سورة نوح : الآية ٢٣

ذلك أنهم لم يكتفوا بالضلال بمكرهم مكراً متناهيا في الكبر، لإبطال الدعوة و إغلاق الطريق للوصول إلى قلوب الناس ، بل مكروا لتزيين الكفر و الضلال و الجاهلية التي تخبط فيها القوم ، و كان من بالغ مكرهم أن حرضوا الناس على الإستمساك بآلهتهم ، و قد خصوها بذكر أسمائها لاثارة النخوة في قلوب القوم لإعتزازهم بها . (١)

و هكذا بقوا في ظلمات يعمهون .

. . .

١ ـ انظر : في ظلال القرآن : ج ٦ ، ص ٣٧١٦ ، التحرير و التنوير : ابن عاشور : ج ٢٩ ، ص ٢٠٦

المبحث الثالث

وضع أصابعهم في آذانهم و استغشاء الثياب

إنّ لجهاد نوح عليه السلام في قومه دأباً مستمراً ناهضاً بهم إلى الدعوة لعبادة الله تعالى وحده لا شريك له ، و لكونه عليه السلام واجههم بهذه الدعوة مواجهة صريحة و بوصول صوته إلى أسماعهم إلا أنهم كرهوا أن يصل ذلك الصوت إليهم و كرهوا أن تراه أعينهم ، و قد قال تعالى عنهم : " وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ " (١)

و أما ما وصفهم به الله تعالى من وضعهم أصابعهم في آذانهم ، في ذلك زيادة منهم في العتو و الإعراض ، ذلك أن الأنملة هي التي تدخل في الأذن فقط ، و إنما عبّر بالإصبع لبيان شدة إعراضهم عن قبول دعوته لئلا يسمعوا ما يدعوهم إليه ، و بيان أنهم في ثبات على ما هم عليه من الكفر ، (٢) و إصراراً على ما هم عليه من الباطل و هذا هو شأن الجاهلية في كل زمان، إعراض شديد لئلا يواجهوا كلمة التوحيد و ليزدادوا بذلك عتواً و ابتعاداً عن جادة الحق .

...

---

١ - سورة نوح : الآية ٧

٢ - انظر : جامع البيان : الطبري : جـ٢٩، ص٩٢ ، في ظلال القرآن : سيد قطب جـ٦ ، ص ٣٧١٢ ، التحرير و التنوير : ابن عاشور : جـ٢٩، ص ١٩٧

المبحث الرابع

رميه بالسفه و الجنون

استمراء قوم نوح عليه السلام إلى أن وصل بهم الأمر أن رموه بالسفه و الجنون ، و قد حكى الله سبحانه وتعالى مقالتهم :-

" إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ " (١) و قوله تعالى :

" كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ " (٢)

و يتضح مدى سفه عقولهم من خلال قوله " إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ " ، قال الزمخشري رحمه الله في هذا [ألا تراهم كيف جننوه و قد علموا أنه أرجح الناس عقلاً و أوزنهم قولاً] (٣)

إلا أنهم لم يكتفوا بذلك الرمي بل توعدوه إن لم يفق من هذا الذي به ، و إلا فهم قاتلوه كما في قولهم " مجنون وازدجر " ، أي انتهروه و زجروه و توعدوه لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين ، و قال الطبري في معنى قولهم:فتربصوا به حتى حين ، أي إلى وقت غير معلوم . (٤)

و قيل قد يأخذه الموت و يريحكم من دعوته ، و من الحاحه عليكم بالقول الجديد ، (٥) و جميع هذه المعاني مقصودة منهم فكونها متمثلة

---

١ - سورة المؤمنون : آية ٢٥
٢ - سورة القمر : آية ٩
٣ - الكشاف : الزمخشري : جـ ٣ ، ص ٣٠
٤ - انظر : جامع البيان : الطبرى : جـ١٨ ، ص١٧ : تفسير القرآن العظيم : ابن كثير : جـ ٤ ، ص ٢٤٤
٥ - انظر : في ظلال القرآن : سيد قطب : جـ ٤ ، ص ٢٤٦٥

أما في قتله أو في انتظار الموت حتى يحل به دليل قاطع على إصرارهم ورفضهم لدعوته عليه السلام ·

وفي قوله تعالى : " كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر " ، ففي هذا بيان أنّ كل رسول قابله قومه بمثل هذا الأمر والرمي بالجنون والسفه ، وفيها تسلية عظيمة للرسول صلى الله عليه وسلم ، بأنّ ما كان من إعراض قومه عنه خاصة في بداية الدعوة هو في ذلك أسوة كسابقيه من المرسلين وأولهم نوح عليه السلام ·

وفي الآية أيضاً دلالة تكريم لنوح عليه السلام وهي قوله " عبدنا " حيث أضاف ذو الجلال والإكرام عبودية نوح إلى جلالته · وفي ذلك مقام تشريف له عليه السلام ·

وفي الآية أيضاً ردّ على قوم نوح ، ذلك أنهم اتهموه بالجنون ، وقد يكون الجنون من ذهاب العقل أو من الإتيان بأمر خارق للعادة · لهذا قال الرازي في ذلك : قولهم " مجنون " إشارة إلى أنه أتى بالآيات الدالة على صدقه حيث رأوا ما عجزوا عنه ، وقالوا هو مصاب بالجنون وقد يكون لزيادة بيان قبح صنعهم حيث لم يقنعوا بقولهم إنه كاذب ، لهذا عزوا إلى القول بأنه مجنون أي يقول ما لا يقبله عاقل · وفي ذلك بيان مدى مبالغتهم في تكذيبه · (١)

---

١ - انظر : تفسير القرآن العظيم : ابن كثير : جـ ٤ ، ص ٢٦٣ ، التفسير الكبير : الرازي : جـ ٢٩ ، ص ٣٦

كل هذا يبين مدى عتو قوم نوح وإصرارهم الشديد ، وما كان منهم من هذا القول القبيح تجاه رسول الله ، ومن المتوقع جداً أن تكون منهم سلاطة اللسان هذه ، ذلك أنهم فعلوا معه أكثر من هذا حيث وصل بهم الأمر إلى ضربه عليه السلام .

. . .

المبحث الخامس

ضربه عليه السلام وإلحاق الأذى به

سبق وأن بينّا أنّ المقصود بقوله تعالى : " وَقَالُواْ مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ " أنهم كانوا يعرضون لقتله ، وقد قيل فيها أنهم كانوا يعزروه ، ويتعرضوا له بالأذى وينتهروه إن لم ينته عن دعوتهم ليكونن من المرجومين .(١)

وهذا ما كان واقعاً منهم تجاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد وَرَدَ عن ابن الأثير ما يؤيد ذلك كما في قوله : [إنّ قوم نوح كانوا يبطشون به فيخنقونه حتى يغشى عليه ، فإذا أفاق قال : اللهم اغفر لي ولقومي فإنهم لا يعلمون . ورُوي أيضاً بأنه كان يُضرب ويُلف ويُلقى في بيته يرون أنه قد مات ، فإذا أفاق اغتسل وخرج إليهم يدعوهم إلى الله .](٢) وقد أورد ابن حجر ما يؤيد ذلك : عن عبد الله بن مسعود قال : [كأني أنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم يحكي نبياً من الأنبياء ، ضربه قومه فأدموه ، وهو يمسح الدم عن وجهه ، ويقول " اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون "] .(٣)

لله درّ هذه النفس المؤمنة المحتسبة الصابرة ، ما أحناها على قومها ، إنها تخشى عليهم الضلال والهلاك ، ما أرحمه عليه السلام

---

١ - تفسير القرآن العظيم : ابن كثير : ج ٤ ، ص ٢٦٣

٢ - الكامل : ابن الأثير : ج ١ ، ص ٣٩

٣ - فتح الباري : ابن حجر : كتاب أحاديث الأنبياء : ص ٥١٤

بقومه حين يدعو لهم : ربِ اغفر لي ولقومي فإنهم لا يعلمون .

وقد سبق بيان ذلك بالباب الأول وما كان من شأن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم مع قومه، وكذا جميع المرسلين ذلك لأن دعوتهم دعوة حق ، فيلزمهم التحمل من أجل ذلك ، وحري بدعاة اليوم أن لا يستعجلوا على من يدعوهم وأن يصبروا عليهم ، فإنهم لن يلاقوا ما لاقى أحد من الأنبياء عليهم السلام . وليعلموا أن كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى ، وليعلم الذين كفروا أي منقلبٍ ينقلبون .

. . .

المبحث السادس

توصية أبنائهم بعدم اتباع نوح عليه السلام

وبهذا يستمر عناد قوم نوح عليه السلام وإصرارهم بالإعراض عن الحق وعدم قبول دعوته حتى وصل بهم الأمر أن يوصوا أبناءهم بعدم اتباعه عليه السلام ، حتى أنه لا ينتهي قرن حتى يأتي قرن أسوأ من الذي كان قبله ، فقد كان يقول أحدهم للآخر : قد كان هذا مع آبائنا وأجدادنا مجنوناً لا يقبلون منه شيئا .(١)

وقد أورد ابن كثير في تاريخه : [وكان كل ماانقرض جيل ، وصّوا من بعدهم بعدم الإيمان به ، ومحاربته ومخالفته ، وكان الوالد إذا بلغ ولده وعقل عنه كلامه ، وصّاه فيما بينه وبينه أن لا يؤمن بنوح أبداً ما عاش] .(٢)

فما كان موقف نوح من قومه إلا أن صبر واحتسب آملاً أن يزيد عدد المؤمنين معه ، وما آمن معه إلا قليل .

. . .

---

١ ـ انظر : الكامل : ابن الأثير : جـ ١ ، ص ٣٩

٢ ـ البداية والنهاية : ابن كثير : جـ ١ ، ص ١٠٩

المبحث السابع

بيان من آمن مع نوح

سلك نوح عليه السلام طريقاً طويلاً في سبيل الجهاد من أجل الدعوة إلى الله حيث بلغ كما صرّح القرآن الكريم :
" وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا " (١)
بكل صبرٍ ودأبٍ وتضحيةٍ وتحمل قضاها فيهم ، ومع هذا ما آمن معه إلا قليل كما جاء في قوله تعالى :
" حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ " (٢)

سياق هذه الآية الكريمة يُظهر أنّ الذين آمنوا معه عدد قليل لا يعلم حقيقة عددهم إلا اللّه تعالى ، وقد اختلف في عدد من كان معه : وأورد ابن كثير قائلا [عن ابن عباس كانوا ثمانين نفساً منهم نساءهم ، وعن كعب الأحبار : كانوا إثنين وسبعين نفساً ، وقيل كانوا عشرة ، وقيل إنما كان نوح وبنوه الثلاثة ، سام ، وحام ، ويافث وكنائنه الأربع نساء هؤلاء الثلاثة ، وامرأة يام ....] (٣)

إلا أنّ العدد الحقيقي لمن آمن معه لا يعني إلى هذه الدرجة من الأهمية ،

---

١ - سورة العنكبوت : جزء من الآية ١٤

٢ - سورة هود : الآية ٤٠

٣ - انظر : جامع البيان : الطبري : ج٧، ص ٤٢، ٤٣ ، تفسير القرآن العظيم : ابن كثير : ج٢ ، ص ٤٤٥

فرغم كل جهده وجهاده ودأبه خلال ألف سنة إلا خمسين عاما ما آمن معه إلا قليل ٠

ويمكن ترجيح أن من نجا مع نوح عليه السلام كانوا بنيه الثلاثة وزوجاتهم وزوجة ابنه كنعان وهم بهذا ثمانية، وهذا أقل عدد قيل فيهم ، (١) وبهذا لم يكن معه أحد غيرهم ٠
فهذا يوافق قوله تعالى " وجعلنا ذريته هم الباقين " ، لذا كان من المعقول جداً حصر المؤمنين معه في السفينه هم بنوه وزوجاتهم، ليتفق ذلك مع سياق الآية الكريمة ٠ وكذلك إسناداً لقوله تعالى : " وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ " (٢) يدل على ذلك القول ٠

وإذا ما أفترض وجود عدد من المؤمنين من غير أبنائه لقوله تعالى : " ونجيناه ومن معه من المؤمنين " ، أي يوجد عدد من المؤمنين معه ، ولم يكونوا من ذريته ، فكيف يمكن التوفيق بين الآيتين ؟ ٠

الجواب وبالله التوفيق ، يحتمل أن يكون ممن نجا مع نوح عليه السلام ، عدد من المؤمنين من غير ذريته ، إلا أنه لم يكن لهم ولد بعد ذلك ٠

وقد روي عن سمرة بن جندب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (سام أبو العرب ، وحام أبو الحبش ، ويافث أبو الروم) ٠ (٣)

---

١ ـ انظر : نظم الدرر البقاعي : ج٩، ص٢٨٧ ، انظر : قصص الأنبياء : النجار : ص ٣٥

٢ ـ سورة الصافات : الآية ٧٧

٣ ـ البداية والنهاية : ابن كثير : ج١، ص١٠٩ ، المستدرك : للحاكم : ج٢ ، ص ٥٤٦

ورُوِي عن ابن مسعود بسندٍ صحيح : أنه ذكر قوله تعالى : " إنّا أرسلنا نوحاً إلى قومه " ، فذكر أنّ نوحاً اغتسل فرأى ابنه ينظر إليه ، فقال : تنظر إليّ وأنا أغتسل خار الله لونك ، قال : فاسود ، فهو أبو السودان .[1] وهكذا يمكن التوفيق بين الآيات .

. . .

١ ـ المستدرك : الحاكم : جـ ٢ ، ص ٥٤٦

الفصل الرابع

نهاية قومه

و فيه ثمانية مباحث :-

المبحث الأول : إعلام نوح عليه السلام أنه لن يؤمن معه إلا من قد آمن ·

" الثاني : يأس نوح من ايمان قومه .

" الثالث : دعائه علىٰ قومه بالهلاك ·

" الرابع : أمره بصنع السفينة ، و ردود الفعل علىٰ قومه ·

" الخامس : وقوع الطوفان و نهاية قوح نوح ·

" السادس : سُنّة الإبتلاء ·

" السابع : صبر الرسل و المؤمنين على إضطهاد الجاهلية ·

" الثامن : دلالة القصة لحاضر الدعوة الإسلامية ·

المبحث الأول : إعلام نوح أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن ·

سبق بيان جهاد نوح عليه السلام مع قومه ، وبيان مدى إعراضهم الشديد لدعوته ، وأنه لم يؤمن معه إلا نفر قليل من قومه ، رغم كل ما قدمه من مجهود مستمر ، إلى جانب ما كان منهم من تكذيب وإعراض ، عند ذلك ما كان منه إلا أن بث شكواه إلى الله تعالى فقال : " قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ " [1] وإلى هنا كانت كلمة الحق وفصل الخطاب فأجاب الله تعالى نداء نوح كما في قوله : " ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون " فأوحى الله إلى نوح عليه السلام بأنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن كما جاء في قوله تعالى " وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ " [2]

وفي هذا بيان [إقناط من إيمانهم ، وأنه غير متوقع] [3] حصول الإيمان منهم بعد ذلك ·

إلا أن العناية الربانية التي خص بها عباده المخلصين لا سيما من أنبيائه ، أرفق من أن يوحى اليه بهذا النبأ ويسكت عن هذا ، بل تتجلى رحمه الله بعباده الأخيار بمواساتهم لإظهار كون النصرة لهم ، فقال تعالى : " فلا تبتئس بما كانوا يفعلون " أي لا تحزن

---

١ - سورة المؤمنون : الآية ٢٦

٢ - سورة هود : الآيه ٣٦

٣ - مدارك التنزيل وحقائق التأويل : النسفي : جـ ٢ ، ص ٥٤

بما فعلوه من تكذيبك و إيذائك فقد حان وقت الإنتقام منهم .[1]
و بهذا تبرؤ ذمة نوح من قومه و أنه أدّىٰ الأمانة وبَلّغ الرسالة
كما أُمر ، ولا عذر لهم بعد ذلك .

فقد رُوي عن ابن عباس ، عن رسول الله صلى الله عليه و سلم
(أنّ اللّه يدعو نوحا و قومه يوم القيامه أول الناس ، فيقول : ماذا
أجبتم نوحاً ، فيقولون : ما دعانا و ما بلّغنا و لا نصحنا ، و لا أمرنا ، و لا نهانا
فيقول نوح : دعوتهم يارب دعاءً فاشياً في الأولين و الآخرين ، أمة بعد
أمة ، حتى انتهىٰ إلى خاتم النبيين أحمد ، فانتسخه و قرأه و آمن به
و صدّقه ، فيقول الله للملائكة : ادعوا أحمد و أمته ، فيأتي رسول
الله صلى الله عليه و آله و سلم و أمته يسعىٰ نورهم بين أيديهم
فيقول نوح لمحمد و أمته : هل تعلمون أني قد بلّغت قومي الرسالة
و اجتهدت لهم بالنصيحة ، و جهدت أن أستنقذهم من النار سراً
و جهاراً ، فلم يزدهم دعائي إلا فرارا . فيقول رسول الله صلىٰ
الله عليه و آله و سلم و أمته : فإنا نشهد بما شهدتنا به إنك في جميع
ما قلت من الصادقين ، فيقول قوم نوح : و أين علمت هذا يا أحمد
أنت و أمتك و نحن أول الأمم وأنت و أمتك آخر الأمم ، فيقول رسول الله
صلى الله عليه و آله و سلم : بسم الله الرحمٰن الرحيم " إنا أرسلنا نوحاً
إلىٰ قومه .... " فيقرأ السورة حتى ختمها ، فإذا ختمها قالت أمته :
نشهد أن هذا لَهُوَ القصص الحق ، و ما من إله إلا اللّه ، و أنّ اللّه لَهُوَ
العزيز الحكيم ، فيقول الله عز و جل عند ذلك : إمتازوا اليوم أيها
المجرمون ، فهم أول من يمتاز في النار .)[2]

---

١ ـ الجواهر في تفسير القران : طنطاوي جوهري : مكتبة الحرم المكي : ج ٦ ، ص ١٣٩
٢ ـ المستدرك : للحاكم : ج ٢ ، كتاب التاريخ : ص ٥٤٧

المبحث الثاني : يأس نوح من ايمان قومه:

وبعد كل هذا الجهد والعناء الذي قضاه في قومه ، وما أوحاه الله تعالى إلى نوح عليه السلام بأنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن ، عند هذا ، يأس نوح عليه السلام من قومه بإخبار الله تعالى له بعدم حصول الإيمان منهم بعد هذا اليوم فبث شكواه إلى الله تعالى وأخذ يبين له مراحل دعوته لقومه - وهو أعلم بهذا - وأنه ما ترك جهداً يسيراً إلا وقد سلكه في دعوته فقال :

قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾ [1]

---

١ - سورة نوح : الآيات : ٥ - ٢٤

و ما كان هذا التوضيح من نوح عليه السلام لمراتب دعوته و أساليبها و شكواه إلى الله تعالى ، إلا من حصول يأسه منهم ، [1]. و هو يتضرع إلى الله تعالى يطلب نصرته ، ذلك أن قومه لشدة إنكارهم له ، عصوه مرتين :-

الأولى : أنهم عصوا نوحاً عليه السلام و أعرضوا عن اتباعه .

الثانية : أنهم اتبعوا من لم يزده ماله و ولده إلا خسارا و هم رؤساء القوم.[2]

لهذا و بعد طول هذه المدة : نادى نوح ربه متضرعاً إليه أن ينصره من قومه الذين كذبوه. ، فكان الوعد الحق :

" وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ " [3]

. . .

---

١ - انظر : نظم الدرر : البقاعي : ج٢٠ ، ص ٤٤٠ ، روح المعاني : الألوسي : ج٢٩ ، ص ٩٩ ، التحرير و التنوير : ابن عاشور : ج ٢٩ ، ص ١٩٣

٢ - انظر التفسير الكبير : الرازي : ج ٣٠ ، ص ١٤١

٣ - سورة الصافات : الآيتان : ٧٥ ، ٧٦

المبحث الثالث : دعاؤه على قومه بالهلاك :-

في دعاء نوح على قومه قولان :-

القول الأول :

بعد ما أوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن : هنا يئس نوح عليه السلام من إيمان قومه ، و هو قد استنفذ ما استنفذ من طاقات و أساليب في دعوته ، و لقي و من آمن معه من شديد الإيذاء ، فما كان منه عليه السلام إلا أن دعا على قومه بقوله :

" وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ " [1] و علل سبب دعائه على قومه " إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ " [2]

ذكر بعض المفسرين [3] بأن نوحاً دعا على قومه بقوله :

" رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا " و اسندوا ذلك لما روي عن قتاده رضي الله عنه قوله : " و أوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن " ، و ذلك حين دعا عليهم قال : " رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا " .

و قال ابن كثير و وافقه المراغي في تفسيره : بأن نوحاً عليه السلام [لمّا استعجل قومه نقمة الله بهم و عذابه لهم ، فدعا عليهم نوح

---

١ - سورة نوح : الآية ٢٦

٢ - سورة نوح : الاية ٢٧

٣ - انظر : الطبري : السيوطي : البيضاوي : في تفسير قوله تعالى : "رب لا تذر "

دعوته التي قال مخبراً عنه ، أنه قال : " رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً " " فدعا ربه أني مغلوب فانتصر " ، فعند ذلك أوحى الله إليه " أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ "] (١)

القول الثاني :-

وقال غيرهم من المفسرين (٢) : بأن الله تعالى أوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن ، ولما تيقن نوح عليه السلام من عدم إيمان قومه بما أوحاه الله إليه ، دعا على قومه بالهلاك ، وقد أورد الطبري والقرطبي مسنداً إلى الضحاك أنه قال في قوله تعالى : " لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن " ، فحينئذ دعا على قومه لمّا بين الله له أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن (٣)

وقال بهذا السيوطي بطريق آخر عن قتادة في قوله تعالى : "رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا " قال : [أما والله ما دعا عليهم نوح حتى أوحى الله إليه ،"أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن " ، عند ذلك دعا عليهم ، ثم دعا دعوة عامة فقال : " رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تباراً .] (٤)

---

١ - الزمخشري ، الجوهري ، النسفي ، الرازي ، الألوسي ، القرطبي ، البقاعي ، وحاشية شهاب على تفسير البيضاوي ، ورشيد رضا في تفسيره .

٢ - انظر : جامع البيان : الطبري : جـ ١٢ ، ص ٣٣

٣ - الدر المنثور : السيوطي : جـ ٦ ، ص ٢٧٠

وقد ورد عن ابن عباس [قال نوح بعدما قال له ربه أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن (رب) يارب (لا تذر) لا تترك على الارض من الكافرين ديارا] (١)

الراجح من هذه الأقوال :ـ

أن نوحا عليه السلام ما دعا على قومه إلا بعدما أوحي إليه أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن ، وذلك لوجوه :ـ

أولاً :ـ إن حكمة الله تعالى من إرسال الرسل هي هداية الناس إلى كل ما يحب الله ويرضى ، لذلك فالرسول عليه السلام منهم ، حريص على أن يبلغ الدعوة إلى قومه آملاً في إيمانهم ، فليس من المعقول أن يدعو عليهم بالهلاك ، ذلك لأنه لا يزال يدعو إليهم وهو يأمل في ايمانهم .

ثانياً :ـ أن آية الإيحاء سُبقت بقوله تعالى :
" قَالُوا يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ " (٢)

ومن خلال تفسير هذه الآيات يتضح أن نوحا قد جادل قومه كثيراً ، آملا منهم أن يستجيبوا له ، إلا أنهم أعرضوا ، فردوا عليه ،

---

١ ـ تنوير المقياس من تفسير ابن عباس: جـ٢: ص ٤٨٧ :

٢ ـ سورة هود : الآيات : ٣٢ ـ ٣٤

بأن قد جادلتنا أي جاريتنا ، و استعجلوا العذاب الذي حذرهم إياه من خلال دعوته لهم كما في قوله تعالى :

" ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١﴾ "[1]

و في موضع آخر " ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥٩﴾ "[2] حتى أنه قال لهم ، و لا ينفعكم نصحي بدعوتكم إلى توحيد الله ، و التحذير من العذاب ، إن كان يريد أن يغويكم و يدمركم فهو ربكم ٠

إلى هذا الوقت لم يكن نوح عليه السلام يعلم بمستقبل قومه و ما هم صائرون إليه ، هنا انتهى نوح عليه السلام من تحذير قومه، آنذاك أوحي إليه أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن ، فلا تبتئس مما كان من إعراضهم و سوء صنيعهم ٠

ثالثاً :- ما جاء في دعائه على قومه بقوله :

" ﴿وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا ٢٧﴾ " و قوله كفاراً أي أن الكفر واقع منهم،و قد حكم أيضاً عليهم بالكفر و لا يكون ذلك الحكم بكفرهم إلا أن يكون قد علم بذلك ، و إذا قيل كيف عَلِمَ بذلك ؟ يقال : عرف ذلك بطريق الحال و طريق المقال :

أما طريق الحال : ذلك أن نوحا قد لبث فيهم ألف سنه إلا خمسين عاماً فما وجد منهم إلا الإعراض و الكفران ٠

---

١ - سورة نوح : الآية ١

٢ - سورة الأعراف : جزء من الآية ٥٩

وبطريق المقال : وذلك حين أوحىٰ الله عز وجل إليه بأنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن ٠

وبهذا يكون دعاء نوح عليه السلام على قومه بالهلاك عَقِبَ أن أوحي إليه تعالىٰ أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن ، فلمّا يَئِسَ من إيمانهم بهذا الإيحاء ، دعا عليهم ليخلص المؤمنين معه من إيذائهم ، والله أعلم ٠

٠ ٠ ٠

المبحث الرابع : أمره بصنع السفينة ، و ردود الفعل على قومه :-

بعدما دعا نوح عليه السلام على قومه ، إستجاب الله سبحانه وتعالى له ، و عرّفه وجه إهلاكهم ، و ألهمه سبحانه وجه خلاص من آمن معه ، فقال تعالى : " وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ " (١)

و أمره له سبحانه و تعالى بصنع الفلك هو أمر إيجاب ، و ذلك لأنه لا سبيل لصون نفسه و الذين آمنوا معه من الهلاك من الطوفان إلا بهذا الأمر ، و صون النفس واجب ، و ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب . (٢)

لهذا أمر عليه السلام بصنع السفينه ، " و اصنع الفلك بأعيننا " أي ترعاك أعيننا ، كأن لله أعينا تكلؤه و تحفظه لئلا يزيغ في صنعته عن الصواب و بمرأى من الله تعالى و بالكيفية التي علمها له سبحانه وتعالى. (٣)

و لما بدأ عليه السلام في صنع السفينه كان يعملها في برّيه - أرض يابسة - في أبعد موضع عن الماء ، فكانوا يتضاحكون منه و يقولون له : يا نوح صرت نجاراً بعد ما كنت نبياً . (٤)

---

١ - سورة هود : الآيات : ٣٧ - ٣٩

٢ - انظر : غرائب القرآن : النيسابوري : جـ ١١ ، ص ٢٥

٣ - انظر : تفسير القرآن العظيم : ابن كثير : جـ٢ ، ص ٤٤٤ : الجواهر في تفسير القرآن الكريم : جـ٦ ، ص ١٣٩

٤ - انظر : مدارك التنزيل : النسفي : جـ٢ ، ص٥٩ ، الجواهر في تفسير القرآن : الجوهري : جـ ٦ ، ص ١٣٩

وهكذا تنساب ألفاظ السخرية منهم كما حدث وأن كذبوه من قبل ، يعودون لمثل هذا التهكم مرة أخرى ويهزأون به ويكذبون بما يتوعدهم به من الغرق . (١)

. . .

---

١ - تفسير القران العظيم : ابن كثير : جـ٢ ، ص٤٤٥

المبحث الخامس : وقـوع الطوفان و نهايـة قومـه :-

لمـا أتـم نـوح عليـه السـلام صنع السفينة ، جعـل اللـه سبحانه و تعالىٰ لـه علامـات بـدء الطـوفان، و هـو فـوران التنـور ، كما فـي قولـه تعالــى :

" حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ " (١)

ولمـا جاء أمـر اللـه تعالى الموعـود بالطـوفان ؛ حيث جعـل المـولى عـز وجـل فـوران التنـور عـلامـة ومـوعـدا لهـلاك قـوم نـوح عليـه السـلام ؛ فـار المـاء مـن التنانير الـتى هـى مكـان النـار وصـارت تفـور مـاء ؛ وهـذا هـو قـول جمهـور الخـلف والسـلف . (٢)

فـاذا ظهرت هذه العلامه : أمـره تعالى أن يحمـل فيهـا من كل زوجيـن اثنين من النبـات و الحيـوان ، و من آمـن معـه ، و قال للذين آمـنوا معـه اركبـوا فيـها . وحـال استوائهـم في الفلك ، قال لهـم : اركبوا فيها باسـم اللـه مجراهـا و مرسـاها ، وفى ذلك توجيـه القلـوب للـه تعالـى : بقوله :

" وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ " (٣)

و بقىٰ نـوح عليـه السـلام و الذين آمنـوا معـه في السفينة إلى ما شاء الله لهم من الوقت ، و لا يوجد دليل جازم بمدة الوقت الذي قضاه نوح عليه السـلا م

---

١ ـ سـورة هـود : الآيـه ٤٠

٢ ـ مدارك التنزيل : النسفي : جـ٢ ، ص ٥٣ ، تفسير القران العظيم : ابن كثير : جـ٢ ، ص ٤٤٥ ، الجواهر في تفسير القران : الجوهري : جـ٦ ، ص١٣٩ : الأساس في التفسير : سعيد حوىٰ : جـ٥ ، ص ٢٥٥٧ ، مختصر تفسير ابن كثير جـ٢ ، صـ ٢٢٠

٣ ـ سـورة هـود : الآيـة ٤١

و قومه في السفينة حيث اختلف المؤرخون في مدة بقائهم فيها ٠

ولما قُضي الوقت المقدور ، كان أمر الله تعالى بإرساء السفينة على الجودى ٠ (١)

وبهذا تنتهي القصة بهلاك الكافرين ، وبنجاة نوح عليه السلام ومن معه من المؤمنين ، فقد رجعت دولة التوحيد مره أخرىٰ ، وزالت عبادة الأصنام من علىٰ الأرض ، وأما بالنسبة للمدة التي قضاها نوح في قومه بعد الطوفان ، فلا يعلمها إلا الله تعالىٰ ٠ إلا أن التوحيد بقى في قومه من بعده مدة طويلة لا يعلم مداها إلا الله تعالى حتى عادت عبادة الأوثان مره أخرى بتزيين الشيطان لضعاف النفوس ٠ وكيف لا وقد أخذ الشيطان العهد أمام الله تعالى بقوله :

" لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ " (٢) ويظهر هنا سر العداء بين الشيطان و بنى آدم و أنه أقسم لرب العزة أن يغويهم و يقعد لهم كل صراط مستقيم ليخرجهم من رحمة الله تعالى التي حرمه الله منها حرمة أبدية ، وكان له ما كان من غواية الناس و إخراجهم من عبادة الله إلى عبادة غيره ، فوقعوا في الشرك مرة أخرى ، و من هنا كانت حكمة إرسال الأنبياء من بعده ليعيدوا الناس إلى جادة الطريق ٠

---

١ ـ الجودي : إسم جبل قيل في الموصل : انظر مدارك التنزيل : النسفي : ج٢ ، ص٥٨ ، الجواهر في تفسير القران الكريم : الجوهري : ج ٦ ، ص ١٤٠

٢ ـ سورة الأعراف : جزء من الآية ١٦ ، و الآية ١٧

المبحث السادس : سُنَّة الابتلاء :-

الإنسان قد يبتليه الله عز وجل في أقرب الناس إليه ، يبتليه في إخوانه وقد يبتليه في أصدقائه وقد يبتليه في نفسه ، ولكن إذا ما وجد ممن حوله من يرعاه ويؤازره ويهون عليه مصيبته ، فإن هذا يرفع بعض الجهد عنه ، كما كان من شأن الحنون خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما كان منها إلا أن تُصَبِّره وتوآزره وتخفف عنه البلاء بأطيب الكلام . أما أن يُبتلى أيضاً في أهله بجانب قومه فهي مصيبة كبرى لا يقوى عليها إلا الجلود .
فقد ابتلى نوح عليه السلام بأهله بجانب قومه فلقد كانت زوجته كما ذكر ، تدل القوم عليه وعلى المؤمنين ممن معه وتسفهه فلا يجد الراحة لا في بيته ولا خارجه ، كما ابتلى كذلك في ابنه فلذة كبده ، فلقد ظل مشركاً ، وقد رآه نوح عليه السلام يغرق أمام ناظريه مع الكفار ، هذا إلى جانب ما تحمله عليه السلام من صنوف القهر والعذاب من قومه . لهذا كانت آيات القرآن الكريم تصفه بأنه كان من الصابرين .

ولقد أُمر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، أن يتأسى بالصبر مثله لما كان منه عليه السلام من بالغ الصبر على قومه .

وكما يتم خَلق الإنسان في أطوار متتالية لا يسبق منها الطور الطور الآخر ، نطفة ، فعلقة ، فمضغة ، فطفلاً ، فشاباً ، فكهلاً ، ثم يلقى ربه ومن ثم يكون الحساب ، وهذه أطوار لا يسبق أحدها الآخر كما في قوله تعالى :

" وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ " (١)

ثم تبدأ المرحلة الأخرى مرحلة الإجتماع لإعلان النتائج كما في قوله :

" وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ " (٢)

وتليها مرحلة ظهور النتائج كما في قوله تعالى :

" وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ " (٣)

وهكذا تنتهي هذه المسيرة من كون الإنسان نطفة إلى أن يلقى الله عز وجل .

---

١ - سورة المؤمنين : الآيات : ١٢ - ١٥

٢ - سورة الزمر : الآيات : ٦٨ - ٧٠

٣ - سورة الزمر : الآيات : ٧١ - ٧٣

كذلك حياة الداعية لابد لها أن تمر بمراحل متتالية و لا يكون الداعية ناجحاً إلا إذا مر بهذه المراحل ، فإما أن يجتازها برعاية الله و عنايته فيفوز ، و إما أن يوقع به الشيطان فيحبط عمله و العياذ بالله .(١)

إن مسيرة الدعوة إلى الله تعالى تبدأ بنداء رباني كما في قوله تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ " (٢)

و من ثم تأتي مرحلة الإستجابة عندما يلمس ذاك النداء الرباني قلب المؤمن " رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ " (٣)

ثم يأتي بعد ذلك الميثاق " وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ " (٤)

و لابد لهذا الميثاق من بيعة أمام يدي الرب لقوله :

" إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ " (٥)

و بعد ما تتم هذه البيعة يكون تلقي الله عز و جل لهذا العبد :

" لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ " (٦)

---

١ - وبشر الصابرين : زياد أبو غنيمة : الطبعة الثالثة : عمان : دار الفرقان : ١٤٠٨ ، ص١٣
٢ - سورة الأنفال : الآيه ٢٤
٣ - آل عمران : الآية ١٩٣
٤ - سورة المائدة : آية ٧
٥ - سورة الفتح : الآية ١٠
٦ - سورة الفتح : الآية ١٨

و من ثم يبدأ طريق الدعوة بالعمل داخل ميدان فسيح . فليست الدعوة فقط هي خطب و محاضرات و ندوات ، إنها تشمل كل عمل أو قول يسهم في نشر دين الله عز و جل فهي إلى جانب كونها قصة و مقالة و درس ، و بذل للنفس و للنفيس، و إغاثة للملهوف، و إنتصار للمظلوم، و كل عمل يؤدي إلى خير، و يمنع عن شر ، فالدعوة إذن هي سنام كل خير، و مفتاح كل فضيلة ، و عندئذ يتم العمل في الميدان و المبايعة مع الله عز و جل .

فالمشتري فيها رب العزة و الجلال ، و السلعة فيها جنة الخلد و الرضوان ، و البائع فيها كل مؤمن و مؤمنة لصاحب السلطان ، و الثمن فيها النفس و المال ، و الميدان : كل عمل أو قول يسهم في نشر كلمة الله و اعزاز لدين الله تعالى في كل مكان ، كما في قوله : " إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ " (١)

و عندما تنعقد هذه الصفقة و يوفق البيع ، عندها تصبح هذه الصفقة عهداً ، و ينطلق نداء رباني جديد كما في قوله :

" وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ " (٢)

---

١ ـ سورة التوبه : الآية ١١١

٢ ـ سورة النحل : الآية ٩١

وهنا يجد المؤمن نفسه في محطة ذات مفرقي طريق كل مفرق يؤدي إلى طريق :-

الأول: سبيل الوفاء بعهد الله .

الثاني: سبيل النكوص عن عهد الله .

وفي هذه المحطة يكون جلاء المؤمنين فإما أن يكونوا ممن قيل فيهم :
" مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ۝ " (١)

وإما أن يكونوا ممن قيل فيهم : " إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٧٧ " (٢)

وهنا وبعد تمام هذه المراحل تأتي مرحلة التمحيص والتنقيب ليتم إختيار الصادقين لقوله : " وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ۝١٤١ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ۝١٤٢ " (٣)

وهنا تبدأ مرحلة الإبتلاء وسنته؛ فلا يكون هذا التمحيص والإمتحان إلا به . لذا كان لابد لكل داعية أن يمر بهذه المرحلة ليعلم الله الصادقين

---

١ - سورة الاحزاب : الآية ٢٣

٢ - سورة آل عمران : الآية ٧٧

٣ - سورة آل عمران : الآيتان ١٤١ - ١٤٢

منهم ، فالابتلاء بالنسبة للمؤمن نصر من الله تعالى ، فهو كالدواء له يستخرج منه الأدواء التي لو بقيت فيه لأهلكته أو أنقصت ثوابه و أنزلت درجته . [1]

أنواع الإبتلاء :-

و لما كان الإبتلاء سنة من سنن الله عز و جل في خلقه فإنه يقع إما في أفراد و إما في جماعات :

الإبتلاء الفردي : هذا النوع من الإبتلاء يقع على نفس الفرد من الله تبارك و تعالى و حده دون أن يكون أثر للصراع بين أولياء الرحمن و أولياء الشيطان ، [2] كما أن يبتلي الله تعالى الإنسان في أهله و ماله و نفسه و ولده و قد وقع نوح عليه السلام في مثل هذا الإبتلاء .

الإبتلاء الجماعي : و هذا النوع يكون نتيجة الصراع بين أولياء الرحمن و أولياء الشيطان ، و هذا الإبتلاء حاصل على مر السنين و الأزمان ، منذ أن أرسل الله نوحاً عليه السلام إلى أن يرث الله الارض و من عليها سبحانه ، ليميز الخبيث من الطيب . فأولياء الله عز و جل يدعون إلى توحيد الله تعالى و إلى تحكيم شرع الله ، و تحرير الناس من العبودية إلا لله عز و جل .

و أولياء الشيطان يخشون ذلك التوحيد و التحكيم و التحرير . فهم يسعون أن لا يكون لله ذلك . فإنه إن كان لله تمام الحاكمية و السلطان ، نزع سلطانهم و إمتيازاتهم لذلك فهم يدركون مدى خطوره أولياء الرحمن

---

١ - حكمة الإبتلاء : ابن القيم الجوزية : الطبعة الثالثة : القاهرة : دار الكلمة الطيبة : ١٤٠٧ ، ص ٤٠

٢ - الإبتلاء في المحن و الدعوات : محمد أبو فارس : الطبعة الأولى : عمان : دار الفرقان : ١٤٠٧ ، ص ٢١

عليهم فيبدأون يحاربونهم و يقاومونهم بكل ما أوتوا من قوة و يبقى الصراع قائماً ، و ما على المؤمنين إلا الصبر على الأذى فهذا هو طريق جهادهم و هي محنة إبتلائهم ، و نسأل الله القدير أن يهبنا الصبر و الثبات ٠

...

المبحث السابع : السنن العامة في صبر الرسل والمؤمنين على اضطهاد الجاهلية :-

لكي يؤدي الأنبياء و الدعاة إلى الله تعالى رسالتهم و دعوتهم على وجهها الأكمل ، رزقهم الله تعالى صبراً على الإيذاء ، و جلداً على الخصام كما وسع لهم في رقعة أحلامهم ،و مد لهم في حبال رجائهم ، ذلك لكي لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، و لا لمن كفر عذر بعد الأنبياء .

و لما كانت دعوة الأنبياء عليهم السلام إلى الله مشتركة بأصل واحد وهو : " يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ " (١) فقد امتازت دعوتهم جميعاً عليهم السلام بسنن عامة تحملوا من أجلها بالغ العناء و صبروا على اضطهاد أقوامهم لهم .

١ - السنة العامة للدعاة إلى الله عز وجل قاطبة أنهم في نظرتهم إلى جلال الله سبحانه و تعالى تتضاءل في أعينهم شخوص المخلوقين و يذوب ما ينسب إليهم من بأس و إرهاب كما في قوله تعالى :
" مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنۡ حَرَجٖ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا ۝٣٨ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ۝٣٩ " (٢)

٢ - الأنبياء واضحون في رسالتهم ، و ليس في دعواتهم جانب غامض أو غرض مستور ، بل تتسم دعوتهم ببساطة العرض و سهولة الفكرة و رقة الإخلاص

---

١ - سورة هود : جزء من الآيه : ٦١

٢ - سورة الأحزاب : الآيتان : ٣٨ - ٣٩

وصدق النصيحة وقوة التوجيه ، ووضوح دعوتهم إلى الله والإعداد للقاء الله تعالى وهذا ما ظهر جلياً في دعوة أول رسل الله لقومه حين طالبوه بإبعاد أراذل القوم من هذه الدعوة وتخصيصهم بها ، فقال لهم : " إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ " (١)

٣ ـ ما كان منهم عليهم السلام من التحلي بالصبر ، لما للحق من نصر مبين كما في قوله : وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ " (٢) ومن قبل كان النصر لنوح عليه السلام " وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ... الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ " (٣)

وهكذا كان جزاء صبرهم نصر من الله القدير ، وكان لهم هذا النصر جزاء ما قاموا به من عظيم المهام بأن عمدوا إلى محاربة الخرافة الأولى في فكر الإنسان من تقديس الأصنام وتعظيمهم لها . فكانت دعوتهم عليهم السلام تقتضي فتح البصائر المغلقة حتى تعرف ربها وتوحده في العبادة وفي وحدة الحاكمية له عز وجل . (٤)

٤ ـ دعوة الانبياء جميعاً عليهم السلام تعرض صور الجهد المضني والعناء المرهق والصبر الجميل ، والإصرار الكريم من جانب الرسل صلوات الله وسلامة عليهم لهداية البشرية الضالة العنيدة وهم جميعاً لا مصلحة

---

١ ـ سورة الشعراء : الآيه ١١٣
٢ ـ سورة الصافات : الآيات : ١٧١ ـ ١٧٣
٣ ـ سورة الصافات : الآيات : ٧٥ ـ ٨٠
٤ ـ انظر : مع الله : محمد الغزالي : ٨٠

لهم و لا أجرا يتقاضونه على هذا الجهد إلا أنهم يرجون رحمة الله تعالىٰ لقولهم : " إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ " .

و هكذا يتراءىٰ أمام أعيننا ما كان من جلد الأنبياء و صدق تحملهم لأعباء الدعوة ، نجد أن نوحاً عليه السلام مكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله تعالى و يلاقي عناء العذاب منهم حتىٰ أنهم كانوا يضربونه و يلفونه بحصير و يرمونه خارج الدار ظناً منهم أنه قد مات ، ثم يفيق من غيبوبته ، و يغتسل و يخرج لقومه و يدعوهم ثانية ، ثم يدعو ربه قائلاً " رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون "(١) ، و إبراهيم عليه السلام وضع في النار ، و خرج موسى عليه السلام من مصر خائفاً يترقب ، قال : "رب نجني من القوم الظالمين" ، و حاول اليهود قتل عيسى عليه السلام و لكن الله رفعه إليه . و محمد صلى الله عليه و سلم و ما لاقاه من أصناف العذاب و المكائد من قريش و اليهود معاً فقد خرج إلى الطائف و من ثم إلى المدينه مجاهداً لإعلاء كلمة الله .. كل هذه الأمور ضريبة للدعوة إلى الله تعالىٰ . لان الداعية يخرج علىٰ مألوف الناس و يدعو إلى الخير و يأمر بالمعروف و ينهىٰ عن المنكر و يؤمن بالله . و ها هي أمة محمد صلى الله عليه و سلم قد خصها المولىٰ عز و جل بفضل من عنده و قد اشترط لهذا الفضل ، و هو الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و يتجلىٰ هذا في قوله تعالى :

" كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ " (٢)

---

١ ـ قال عبد الله ـ وهو ابن مسعود ـ " كأني أنظر الى النبي صلى الله عليه وسلم يحكي نبيا من الأنبياء ضربه قومه فأدموه . وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول : اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون . فتح الباري : ابن حجر ج٦ كتاب الأنبياء : ص٥١٤ . أنظر ص٥٢١. صحيح مسلم : النووي : ج ٦ كتاب الجهاد : ص١٥٠ باب غزوة أحد .

٢ ـ سورة آل عمران : الآية ١١٠

ولهذا النداء الرباني كانت بارقة أمل حيث خرج الدعاة في سبيل الله لإعلاء كلمة الله تعالى ونشر مبادئ التوحيد الخالص متحملين في ذلك أشد أنواع البلاء، وهم مؤمنون بدعوتهم لأن الداعي منهم قائد فكره ، وحامل مشعل، ورسول إصلاح، وزعيم حركة تغيير ، لهذا يتحمل الداعية إلى الله قوة تغيير المألوف . لما ورد في الحديث عندما سئل عليه الصلاة والسلام : (أي الناس أشد بلاء ؟ قال : الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ....) الحديث [1] ولهذا حكمة بليغة عند الله تعالى حتى يميز الخبيث من الطيب والكاذبين من الصادقين رغم خلاف صور العذاب وأساليبه الكثيرة .

فعليهم أن لا يتزعزعوا ولا يتضجروا من المحن والمصائب بل يتلقوها في صبر وثبات إيمانا منهم بنصر الله ، وقد قال تعالى :

" الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣ " (٢)

وهذه هي سنة الله في خلقه ، قال تعالى :

" أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ۝٢١٤ " (٣)

بلى إن نصر الله قريب ولكن أكثر الناس لا يعلمون . وهكذا تتحقق سنة الله عز وجل في خلقه وسنة الإبتلاء، ليميز الذين صبروا من غيرهم ، وليعلم الذين كفروا أي منقلب ينقلبون .

---

١ - الترمذي : كتاب الزهد : باب في الصبر على البلاء : رقم الحديث ٢٥٠٩ ج ٤ ، ص ٢٨

٢ - سورة العنكبوت : الآيات ١ - ٣

٣ - سورة البقرة : آية ٢١٤

المبحث الثامن : دلالة القصة لحاضر الدعوة الإسلامية :-

الناظر في قصة نوح عليه السلام يجد أنها عالجت قضية هامة كبرى وهي بناء العقيدة السليمة .

ذلك أن كل الإنحرافات التي تعانيها البشرية متمثلة في سلوكها أفراداً وجماعات، راجعة إلى الإنحراف في التصور العقدي . فالبشرية في وقتنا الحاضر بحاجة إلى بناء العقيدة من جديد ، وإلى تصحيح التصور الإعتقادي وفق ما أمر الله به الجيل القرآني الأول من صدر الدعوة الإسلامية ، فلابد من تصحيح معنى الألوهية ، وتوجيه إعتقاد إفراد الله سبحانه وتعالى في الربوبية الحاكمة الخالقة، لتستقر عظمة الله عز وجل في الأعماق . وهذه أهم قضية عالجها الأنبياء عليهم السلام في دعوتهم ، وهي ما ينبغي أن توجه إليه الأنظار وتستقر إليه الأفهام . ولا يكون هذا إلا بغرس هذه العقيدة في أعماق القلب وتعهدها منذ الصغر .

وهذا ما كان من شأن دعوة الأنبياء عليهم السلام . فإننا إذا نظرنا آيات القران الكريم وتتبعنا مناسبات نزولها لوجدنا أهم ما أعتنت به تثبيت العقيدة في نفوس الرعيل الأول، ونجدها متتالية دون أي تشريع فيها . وقد استغرقت من مدة دعوة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر عاماً كاملاً، من أجل تثبيت هذه العقيدة في نفوسهم لتفادي أمور الإشراك الواقعة آنذاك وقد قال تعالى :

" وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ " (١)

---

١ - سورة الإسراء : آية ١٠٦

بهذه الصورة كان نزول القران الكريم مفرقاً ليقرأ علىٰ مهل في الزمن الطويل الذي قضي في الدعوة إلى الله ، وقد قال سيد قطب رحمه الله فى ذلك [لقد جاء القرآن الكريم ليربي أمة ويقيم لها نظاماً ، فتحمله البشرية إلى مشارق الأرض و مغاربها ، إلى أن قال .. جاء ليكون منهجا عملياً يتحقق جزءاً جزءاً في مرحلة الإعداد ،لافكرا نظريا] (١)

وهذه هي سنة الله في خلقه : فقد كانت دعوة نوح عليه السلام تركز على توحيد الله عز وجل في الألوهية و الربوبية ، و استمر يدعو إلى هذا زمنا لم يكتب لنبي من الأنبياء ، قضاها دائبا في الدعوة إلى توحيد الله تعالى ، وهذا ما ينبغي أن يدركه دعاة اليوم من توجيه طاقاتهم و جهودهم في تثبيت العقيدة في نفوس المدعويين . فإنهم متى ما استقر فى أنفسهم أن لا إله إلا الله رباً و حاكماً و مليكاً كان من السهل الإذعان لباقي تكاليف الشريعة و العمل بها . فإننا نجد بعض دعاة اليوم يهتمون بظاهر أمور الشريعه دون ما يحقق باطنها. ولكن ماذا عساها تكون النتيجة إلا كبنيان إنهار لأول إختبار في الدين ، ذلك لأنه لم تدعم أسسه وقواعده على ما يجب . فالداعي ينبغي عليه أولاً أن يخلص نفوس البشرية من أدران الوثنية المعلقة بها بمختلف أشكالها، وتوجيه الأمر لله عز وجل ، ومن خلال هذه الدعوة يكون التكليف بأركان الشريعة . فإذا ما كان هذا ،كان من السهل بعد ذلك أن تبحث النفس في كنوز الشريعة باطنها وظاهرها ، وتجّد بالعمل به و البحث عنه . ولا يكون هذا للداعي إلا من بعد إيمانه بفرضية الدعوة إلى الله عز وجل وفق هذه الأسس و العمل بها أولاً وقبل كل شيء .

---

١ ـ انظر : في ظلال القرآن : سيد قطب : جـ ٤ ، ص ٢٢٥٣

و هكذا نجد أن دلالة القصة لحاضر الدعوة الإسلامية اليوم تندرج في أمور :ـ

أولاً :ـ

بيان أن السيادة الكاملة و الحاكمية المطلقة و النفوذ الأعلى فى أمور الحياة هى لله وحده لا شريك له كما في قول نوح عليه السلام لقومه :

" وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ " (١)

و هذا ما يجب أن تتمسك به البشرية هذا اليوم و إلا فإن كان حكمها بغير ما أنزل الله فلمن يكون !؟!؟ فربانية هذه العقيدة هي منهاج المسلم إلى يوم الدين ٠ بهذا وجب قيام صرح الشريعة الإسلامية لأنه الوحيد الذي يكفل سعادة الإنسان في الداريين ٠

ثانياً :ـ

إن الغاية التى من أجلها خلق الانسان هي العبودية الكاملة لله تعالى كما في قوله : " لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ " (٢)

و عبوديته تعالى تتناول جميع الواجبات و المندوبات من أفعال القلوب و الجوارح ٠

---

١ ـ سورة هود : الآية ٢٥ ـ ٢٦

٢ ـ سورة الأعراف : جزء من الآية ٥٩

ثالثاً :-

الناس جميعاً سواء أمام الحقوق الانسانية و حرية الفكر و الدين و قد ظهرت عبر الآيات القرآنية الكريمة " فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ " (١)

و قالوا " ۞ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ " (٢) فمعيار العز و الشرف لا يكون بفارق الطبقات الإجتماعية ، و إنما يكون ذلك بالتقوى و مدى الإلتزام بأمور الإيمان ، و قد قال نوح عليه السلام لقومه :

" قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ " (٣)

رابعاً :-

أن القرابة الحقة هي القرابة الدينية لا القرابة النسبية ، فقرابة النسب لا مكان لها و لا إعتبار بجانب القرابة الدينية و قد أوحى لنوح عليه السلام بهذا في شأن ابنه الكافر كما في قوله : " قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ " (٤)

خامساً :-

الداعي الى الله تعالى يتحمل المشاق وأنواع البلاء ، لايبتغي في ذلك رفعة في الشأن أو قدراً من المال ، بل يبتغي الأجر من الله تعالى وأن تكون الحاكمية لله عز وجل ، وأن يطبق الدين الخالص لله ، وكل رسول جاء يقول لقومه :-

يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ (٥)

١ - سورة هود : جزء من الآية ١٢٧
٢ - سورة الشعراء : الآية ١١١
٣ - سورة الشعراء : الآيات ١١٢ - ١١٥
٤ - سورة هود : جزء من الآية ٤٦
٥ - سورة هود الآية ٥١

الخاتمة

اللهم لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما ينبغي لجلال وجهك و عظيم سلطانك،و الصلاة و السلام على سيدنا محمد و اجزه اللهم بما هو أهله ·
و أشهد أن لا إله الا الله و أشهد أن محمداً عبده و رسوله و بعده ·

لما كان خلق الإنسان مشرفاً ، و قد أودعه الله عز و جل فطرية التدين ، و لما كان منشأ الشرك هو إحتيال الشياطين ، لذا كان إرسال الرسل ليعيدوا من ضل إلى سواء السبيل ، و لما كان البحث دائراً حول هذا الموضوع فقد توصلت الباحثة بحول الله إلى النتائج العامة التالية :-

أولاً : إن دعوة نوح عليه السلام هي أولى الرسالات السماوية التي دعت إلى إثبات الوحدانية لله عز و جل و في ذلك إثبات أن التوحيد الذي دعت إليه الرسل تضمن أمرين :-

الأول : توحيد الطلب و القصد : و هو أمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له ·

الثاني: توحيد الإثبات و المعرفة : و ذلك بإثبات الوحدانية لله تعالى ·

ثانياً : إثبات نبوة نوح عليه السلام و الأدلة على أنه أول رسل الله إلى أهل الأرض و أنه أول من أوحي إليه بتشريع و أمر بتبليغه، و أنه أول من أنذر قومه بعذاب يوم القيامة،و أن الله تعالى قد امتن عليه بأن خصه بالميثاق بعد محمد صلى الله عليه و سلم ، و في هذا إثبات أن دعوته عليه السلام بينت أصول العقائد عامة ·

ثالثاً : لقد سلك نوح عليه السلام في دعوته طرق الدعوة و أساليبها و أنها كانت بمثابة طريق الهداية للرسالات اللاحقة بها ٠

رابعاً : سلوك جميع الجاهليات من حيث التشهير بالرسل و محاولة تشوية سمعتهم جاهدين في ذلك بكل ما آوتوا من قوة لعل هذا يوقف من ركب الدعوة ، و إذا لم يفلحوا بالتشهير أخذوا بالبطش و التنكيل ٠

خامساً : بيان موقف الجاهلية الدائم و المتكرر من قضية التوحيد و هو رفض دعوة لا إله إلا الله على مر السنين إلا من رحم الله من المستضعفين، مع وضوح السبب الرئيسي في رفض القوم الإقرار بلا إله إلا الله، ذلك لخوفهم من أن تتصدع عروشهم و أن يفقدهم سلطانهم الذي يتألهون به على العبيد ٠

و من خلال هذه النتائج العامة تحققت النتائج الجزئية التالية :-

١ - أن كل رسول جاء يدعوا قومه قائلاً " اعبدوا الله مالكم من إله غيره " و في هذا إخلاص محض للألوهية و الربوبية لله تعالىٰ مع بيان أن ليس كمثله شيء ٠

٢ - موقف الأقوام من توحيد الربوبية على مر السنين موقف الإقرار بربوبيته سبحانه إلا أنهم أشركوا معه في العبادة ٠

٣ - أن مجمل الإيمان بالأسماء و الصفات هو الإيمان بما وصف الله عز وجل به نفسه و ما علمه نبيه محمد صلىٰ الله عليه و سلم ، و ما أنزله في كتابه من غير تشبيه و لا تحريف و لا تعطيل ٠

٤ ـ ما كان من إثبات عصمة الأنبياء عليهم السلام قبل البعثة و بعدها و أنهم معصومون من الذنوب كبيرها و صغيرها ٠

٥ ـ بيان أن نوح عليه السلام ما دعىٰ علىٰ قومه بالهلاك إلا بعد أن أوحي إليه أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن ٠

٦ ـ إثبات أبوة نوح عليه السلام لإبنه و أنه أبنه من صلبه و أن خيانة إمرأته عليه السلام كانت خيانة في الدين حيث كانت تدل الناس عليه و تقول إنه مجنون ٠

٧ ـ إثبات أن الصلة الحقيقية هي صلة الدين ، و أنه بجانب هذه الصلة لا إعتبار لصلة القرابة ٠ و أن المؤمنون إخوة في الدين و ان اختلفت أنسابهم ٠

٨ ـ الإيمان بالبعث حقيقة و أن نوح عليه السلام أنذر قومه من عذاب هذا اليوم في مواضع متعددة ٠

٩ ـ بيان أن الدعاء لله تعالى يأتي على أربعة أوجه :ـ

١ ـ يأتي بمعنىٰ التوحيد و الثناء علىٰ الله تعالى ٠

٢ ـ يأتي بمعنىٰ طلب العفو و الرحمة و يكون ذلك بالتوبة إلى الله تعالىٰ ٠

٣ ـ يأتي بمعنىٰ العبادة ذلك أن الدعاء إعتراف بكامل العبودية لله تعالىٰ ٠

٤ ـ يأتي بمعنىٰ قضاء الحوائج ٠

١٠ ـ بيان أن لكل نبي دعوة مستجابة و أن من فضل الله عز وجل علىٰ المسلمين أن جعل رسوله صلىٰ الله عليه و سلم يختبئ دعوته شفاعة لأمته يوم القيامة ٠

١١ ـ بيان أنه لا يجوز الدعاء على كافر بعينه ، كقول اللهم العن فلانا ، إلا أنه يجوز لعنهم و الدعاء عليهم إجمالاً .

١٢ ـ بيان أهمية الربط بين الإستغفار و فتح أبواب الخير ، و أن نوحاً عليه السلام طلب من قومه الإستغفار بعدما جاءوا يشكون إليه حالهم .

١٣ ـ ما كان من إثبات حكم الصور و التماثيل في الشريعة الإسلامية و لما كانت الصور سبباً لظواهر أدت فيما بعد إلى عبادة الأوثان ، لهذا جاءت كثير من الأحاديث النبوية الصحيحة بتحريم تصوير كل ذي روح .

١٤ ـ بيان ما يباح من الصور و التماثيل و ذلك ككل صورة ليست متصلة الهيئة و يستثنى من ذلك لعب البنات، لما في ذلك من تدريب النساء في صغرهن لأمر أنفسهن .
إلى جانب ما جاء من تجويز بعض الصور الفوتوغرافية بما يخص الأحوال المدنية خاصة مع بيان حكم التصوير بكاميرا الفيديو و التلفاز و أن حكمها حكم استعمالها .

١٥ ـ بيان أن الشرك الذي وقع في بني راسب كان في عهد الجد الرابع لنوح عليه السلام و هو مهلائيل ، و أن المدة التي كانت بين آدم و نوح عليهما السلام هي عشرة قرون كلهم على الإسلام .

١٦ ـ بيان لبعض الصفات التي اتصف بها نوح عليه السلام ، و أنه قد أكرمه المولى و سماه عبداً شكوراً ، و وصفه بالهداية و الصلاح ، و أصطفاه بالرسالة الأولى ، و أوتي قوة في الإرادة و الصبر و الإخلاص في دعوته إلى الله سبحانه .

١٧ - لقد سلك نوح عليه السلام في دعوته شتى طرق الدعوة وأساليبها، سالكاً في ذلك كل السبل من دعوة في الليل و النهار، و السر و الجهر، و وجه أنظار قومه إلىٰ بديع خلق السموات و الأرض . و الأنفس ليصل معهم بذلك إلىٰ أن المتصرف بكامل الخلق جدير بأن توجه إليه العبادة وحده لا شريك له .

١٨ - أن الله سبحانه و تعالىٰ يبتلي عبادة المؤمنيين للتمحيص و الإختبار . و أن مرور الداعية إلىٰ الله بمرحلة الإبتلاء طور أساسي في حياته ، وقد عبر عن ذلك حديث رسول الله صلىٰ الله عليه و سلم، حينما سئل (أي الناس أشد بلاء قال : الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ، يبتلى الرجل علىٰ حسب دينه ، فإن كان في دينه صلباً أشتد بلاؤه ، و إن كان في دينه رقة ابتلي على قدر دينه ، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي علىٰ الأرض و ما عليه خطيئة) .[1] حسن صحيح .

و ما كان هذا الإبتلاء الواقع عليهم ينتهى حتى تصفوا نفوسهم و تمحص عقيدتهم ثم يأتي الله بنصره فيدمر الكافرين و ينصر المؤمنين .

١٩ - هذه الأمور جميعا فيها درس عظيم للدعاة من حيث الثبات علىٰ دين الله و أمرهم بالتحلي بالصبر و عدم إستعجال النتائج، و التأني في غرس صحيح العقيدة في النفوس، و لا تكون له تلك النتائج المرجوه إلا إذا تحرى الإخلاص في العمل، و صدق النية مع الله تعالى، و ثقته التامة بالله سبحانه و تعالى أنه سينصر المؤمنين حتى و لو بعد حين و أن نصره لآت .

هذا و سبحان ربك رب العزه عما يصفون و سلام على المرسلين و الحمد لله رب العالمين .

الباحثة

---

١ - رواه الترمذي : كتاب الزهد : باب الصبر على البلاء : جـ٤ ، ص ٢٨ ، رقم الحديث ٢٥٠٩

المراجـــع

المرجع الأساسي: القرآن الكريم .

" أ "

١ - ابن باز : عبد العزيز
: الجواب المفيد في حكم التصوير .
: الطبعة الأولى : جدة : دار المجتمع للنشر و التوزيع : ١٤٠٨ هـ

٢ - ابن تيمية : شيخ الإسلام أحمد عبد الحليم المتوفى ٧١٨ هـ .
: تفسير سورة الإخلاص
: صححه و راجعه طه يوسف شاهين : د ط
: القاهرة : دار الطباعة المحمدية : د ت

٣ - : تفسير لا إله إلا أنت .
: الطبعة الاولى : الهند : بومباي : الدار السلفية : ١٤٠٧ هـ .

٤ - : درء تعارض العقل و النقل .
: تحقيق محمد رشاد سالم .
: الطبعة الأولى : الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود ، ١٣٩٩ ه

٥ - : دقائق التفسير
: تحقيق محمد الجليند
: الطبعة الثانية : بيروت : مؤسسة علوم القران : ١٤٠٦ هـ.

٦ - : الرسالة التدميرية في تحقيق الإثبات لأسماء الله و صفاته .
د ط : القاهرة : المطبعة السلفية : ١٣٨٧ هـ .

٧ ـ : العبوديـــة ٠

: الطبعة السادسة : بيروت : المكتب الإسلامي: ١٤٠٣ هـ ٠

٨ ـ : قاعدة فـي المحبـة ٠

: تحقيق محمـد رشـاد سـالم ٠

: د ٠ ط : القاهرة : مكتبة التراث الإسلامي : ١٩٨٧ م

٩ ـ : مجمـوع الفتـاوى الكبـرى ٠

: د ٠ ط : القاهرة : مكتبة ابـن تيميـة : د ت

١٠ ـ : منهـاج السـنة النبويـة ٠

: تحقيـق محمـد رشـاد سـالم ٠

: الطبعـة الأولـى : الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسـلاميـة : ١٤٠٦ هـ ٠

١١ ـ : النبـوات ٠

: د ٠ ط : بيروت : دار الكتب العلمية : ١٩٨٢ م ٠

١٢ ـ ابن حنبل : أحمد بن محمد : المتوفى سـنة ٢٤١ هـ ٠

: مسند الإمام أحمد : و بهامشه منتخب كنز العمال ٠

: سنن الأقوال و الأفعـال : للمتقي الهنـدي ٠

: تقديم : محمد ناصر الألبانـي ٠

: د ٠ ط : بيروت : دمشق : المكتب الإسلامي : سنة ١٤٠٣ هـ

١٣ ـ ابن عبـاس : عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي المتوفي ٦٨ هـ

: تنوير المقياس : تفسير ابن عباس
على حاشية الدر المنثور لجلال الدين السيوطي ٠

١٤ ـ ابن عربي : ابي بكر محمد بن عبد الله : المتوفي ٥٤٣ هـ ٠

: أحكـام القـرآن ٠

د ٠ ط : بيروت : دار المعرفـة : د ٠ ت ٠

١٥ ـ ابن كثير : أبو الفداء حافظ إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي : المتوفى ٧٧٤ هـ
: البداية و النهاية ٠
الطبعة الرابعة : بيروت : دار الكتب العلمية : ١٤٠٨ هـ ٠

١٦ ـ : تفسير القرآن العظيم ٠
د ٠ ط : بيروت : دار إحياء التراث العربي : ١٣٨٨ هـ ٠

١٧ ـ ابن كثير : علي بن أبي كرم محمد بن عبد الواحد الشيباني المتوفى سنة ٦٣٠ هـ ٠
: الكامل في التاريخ ٠
الطبعة الثالثة : بيروت : دار الكتاب : ١٤٠٠ هـ ٠

١٨ ـ ابن ماجة : أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني : المتوفى ٢٧٥ هـ ٠
: سنن ابن ماجة ٠
تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ٠
د ٠ ط : بيروت : دار الفكر : د ٠ ت

١٩ ـ : سنن ابن ماجة
تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ٠
د ٠ ط مطبعة البابي الحلبي : د ٠ م

٢٠ ـ ابن منظور : أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ٠
المتوفي عام ٧١١ هـ ٠
: لسان العرب ٠
د ٠ ط : بيروت : دار صادر : د ٠ ت

٢١ ـ أبو داوود : سليمان بن الأشعث السجستاني الأسدي ٠
: سنن أبي داوود ٠
مراجعة و ضبط و تعليق محمد محيى الدين عبد الحميد ٠
د ٠ ط : بيروت : دار الفكر : د ٠ ت

٢٢ ـ : سنن أبي داوود ٠
د ٠ م : دار إحياء السنة النبوية : د ٠ ت

٢٣ ـ أبو غنيمة : زياد ٠
: وبشر الصابرين ٠
الطبعة الثالثة : عمان : دار الفرقان : ١٤٠٨ هـ ٠

٢٤ ـ أبو فارس : محمد عبد القادر ٠
: الإبتلاء و المحن في الدعوات ٠
الطبعة الأولىٰ : عمان : دار الفرقان : ١٤٠٧ هـ ٠

٢٥ ـ أبي السعود : محمد العمادي : المتوفى عام ٩٥١ هـ ٠
: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم المسمىٰ تفسير أبي السعود ٠
د ٠ ط : بيروت : دار إحياء التراث العربي : د ٠ ت

٢٦ ـ إسماعيل : شعبان محمد ٠
: الأحاديث القدسية و منزلتها في التشريع ٠
د ٠ ط : الرياض : دار المريخ : ١٤٠٢ هـ ٠

٢٧ ـ إصلاحي : أمين ٠
: منهج الدعوة إلى الله ٠
د ٠ ط : الكويت : دار نشر الكتاب الإسلامي : د ٠ ت

٢٨ ـ الألباني : وهبي سليمان غاوجي ٠
: أركان الايمان ٠
الطبعة الثالثة : د ٠ م : مؤسسة الرسالة : ١٤٠٤ هـ ٠

٢٩ - الألمعي : زاهر ٠
: مناهج الجدل في القرآن الكريم ٠
الطبعة الثانية : د ٠ م : ١٤٠٤ هـ ٠

٣٠ - الألوسي : أبي الفضل شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي : المتوفى ١٢٧٠ هـ ٠
: روح المعاني ٠
د ٠ ط : د ٠ م : دار الفكر : ١٤٠٣ هـ ٠

٣١ - الأندلسي : أبي محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم ٠
: الفصل في الملل و النحل ٠
د ٠ ط : لبنان : دار المعرفة : ١٣٩٥ هـ ٠

٣٢ - : الفصل في الملل و الأهواء و النحل ٠
تحقيق محمد ابراهيم نصير : عبد الرحمن عميرة ٠
الطبعة الأولى : جدة : مكتبة عكاظ : ١٤٠٢ هـ ٠

" ب "

٣٣ - البغدادي : أبي منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي : المتوفى سنة ٤٢٩ هـ ٠
: أصول الدين ٠
الطبعة الثانية : بيروت : دار الكتب العلمية : ١٤٠٠ هـ ٠

٣٤ - البقاعي : أبي الحسن ابراهيم بن عمر : المتوفى ٨٨٥ هـ ٠
: نظم الدرر في تناسب الآيات و السور ٠
الطبعة الأولى : وزارة المعارف و الشئون الثقافية بالحكومة الهندية ١٤٠٤ هـ ٠

٣٥ - البهوتي : منصور بن يونس بن إدريس : المتوفى ١٠٥١ هـ ٠
: شرح منتهى الإرادات ٠
د ٠ ط : بيروت : عالم الكتب : د ٠ ت

٣٦ - البيجوري : إبراهيم بن محمد : المتوفى ١٢٧٧ هـ ٠
: تحفة المريد على جوهرة التوحيد ٠
الطبعة الأخيرة : د ٠ م : ١٣٥٨ هـ ٠

٣٧ - البيضاوي :
: حاشية شيخ زادة على تفسير القاضي البيضاوي : أنوار التنزيل و أسرار التأويل ٠
د ٠ ط : مصر : دار الكتب العربية : ١٣٠٦ هـ ٠

" ت "

٣٨ - الترمذي : أبي عيسى بن سورة ٠
: الجامع الصحيح لسنن الترمذي ٠
تحقيق ابراهيم عطوة عوض ٠
د ٠ ط : لبنان : دار إحياء التراث العربي ٠

" ث "

٣٩ - الثعلبي : أبي اسحاق أحمد بن محمد بن ابراهيم النيسابوري المعروف بالثعلبي : المتوفى عام ٤٢٧ هـ ٠
: قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس ٠
الطبعة الرابعة : د ٠ م مطبعة مصطفى الحلبي : ١٩٥٤ هـ ٠

" ج "

٤٠ - الجابي : بسام عبد الوهاب .
: معجم الأعلام : معجم تراجم لأشهر الرجال و النساء .
الطبعة الأولى : قبرص : ١٤٠٧ هـ .

٤١ - جاد المولى : و آخرون .
: قصص الأنبياء .
د . ط : لبنان : دار إحياء التراث العربي : ١٣٨٩ هـ .

٤٢ - الجرجاني : علي بن محمد : المتوفى عام ٨١٦ هـ .
: التعريفات .
د . ط : بيروت : دار لبنان : ١٩٧٨ م .

٤٣ . الجزائري : أبو بكر .
: رسائل الجزائري .
الطبعة الثانية : جدة : دار الشروق : ١٩٨١ م .

٤٤ - الجوزية : أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن القيم : المتوفى ٧٥١ هـ .
: حكمة الإبتلاء .
الطبعة الثالثة : القاهرة : دار الكلمة الطيبة : ١٤٠٧ هـ .

٤٥ - : الداء و الدواء .
د . ط : جدة : دار المدني : ١٤٠٣ هـ .

٤٦ - : زاد المعاد .

الطبعة الأولى : د . م : مؤسسة الرسالة : د . ت .

٤٧ - : طريق الهجرتين و باب السعادتين .

تحقيق عمر بن محمود أبو عمر .

الطبعة الأولى : الدمام : دار ابن القيم : ١٤٠٩ هـ .

٤٨ - : عدة الصابرين .

الطبعة الثانية : بيروت : دار الكتاب العربي : ١٤٠٦ هـ .

٤٩ - : مدارج السالكين إلى منازل إياك نعبد و إياك نستعين .

الطبعة الثانية : د . م : دار الكتاب العربي : د . ت

٥٠ - : مفتاح دار السعادة .

د . ط : بيروت : دار الكتب العلمية : د . ت

٥١ - جوهري : الشيخ طنطاوي .

: الجواهر في تفسير القرآن المشتمل على عجائب بدائع المكونات و غرائب الآيات الباهرات .

: الطبعة الثانية : مصر : مصطفى الحلبي : ١٣٥٠ هـ .

٥٢ - الجويني : عبد الملك عبد الله أبو المعالي المتوفى ٤٧٨ هـ .

الإرشاد .

د . ط : مصر : مكتبة الخانجي : ١٣٦٩ هـ .

" حَ "

٥٣ ـ الحديدي : محمد أبو النور ٠
: عصمة الأنبياء و الرد على الشبه الموجهة إليهم ٠
د ٠ ط : مصر : مطبعة الأمانة : ١٣٩٩ هـ ٠

٥٤ ـ حسن : محمود ٠
: أسرار المعاني في أسماء الله الحسنى ٠
د ٠ ط : الإسكندرية : المكتب الجامعي الحديث : ١٩٨٨ م ٠

٥٥ ـ الحمامي : مصطفى ٠
: النهضة الإصلاحية للأسرة الإسلامية ٠
د ٠ ط : د ٠ م : مكتبة الحرم الشريف : د ٠ ت ٠

٥٦ ـ الحنبلي : أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين بن أحمد بن رجب الحنبلي البغدادي ، المتوفى ٧٩٥ هـ ٠
: أسباب المغفرة ٠
تحقيق أشرف عبد المقصود ٠
د ٠ ط : القاهرة : مكتبة التراث الإسلامي : ١٩٨٧ م ٠

٥٧ ـ : ثلاث رسائل للحافظ بن رجب الحنبلي ٠
الطبعة الأولى : الكويت : الدار السلفية : ١٤٠٧ هـ ٠

٥٨ - : جامع العلوم و الحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم .
: د . ط : بيروت : دار المعرفة : د . ت

٥٩ - الحنفي : علي بن علي بن محمد بن أبي العز .
: شرح العقيدة الطحاوية .
الطبعة السادسة : بيروت : المكتب الإسلامي : ١٤٠٠ هـ .

٦٠ - : شرح الطحاوية في العقيدة السلفية .
الطبعة الثانية : الرياض : دار المعرفة : ١٤٠٧ هـ .

٦١ - حوى : سعيد .
: الأساس في التفسير .
الطبعة الأولى : القاهرة : دار الرشيد : ١٤٠٥ هـ .

٦٢ - : الإسلام .
الطبعة الأولى : بيروت : دار الكتب العلمية : ١٣٨٩ هـ .

٦٣ - : جند الله ثقافة و أخلاقاً .
الطبعة الثالثة : بيروت : دار الكتب العلمية : ١٣٩٩ هـ .

" خ "

٦٤ - الخرشي :
: على مختصر سيد خليل .
د . ط : د . م : دار صادر : د . ت

٦٥ ـ الخطيب : عبد الحميد ٠

: أسمى الرسالات ٠

الطبعة الأولى : مصر : مطابع دار الكتاب : ١٣٧٣ هـ ٠

٦٦ ـ الخطيب : محمد الشربيني ٠

: مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج : على متن المنهاج لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي ، من أعلام القرن السابع الهجري ٠

د ٠ ط : بيروت : دار احياء التراث العربي : د ٠ ت

" د "

٦٧ ـ دراز : محمد عبد الله ٠

: دستور الأخلاق في القرآن ٠

الطبعة الرابعة : بيروت : مؤسسة الرسالة : ١٤٠٢ هـ ٠

٦٨ ـ الدوادي : محمد ٠

: دعوات الأنبياء و الصالحين في القرآن الكريم ٠

د ٠ ط : القاهرة : دار الإعتصام : د ٠ ت

٦٩ ـ الديلمي : عبد الوهاب بن لطف ٠

: معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم ٠

الطبعة الأولى : جدة : دار المجتمع للنشر و التوزيع : ١٤٠٦ هـ ٠

" ر "

٧٠ - الرازي : محمد بن عمر الفخر المتوفى سنه ٦٠٤ هـ ٠ (١)

: التفسير الكبير و مفاتيح الغيب : المسمى بالفخر الرازى ٠

الطبعة الأولى : بيروت : دار الفكر : ١٤٠١ هـ ٠

٧١ - : عصمة الأنبياء ٠

: الطبعة الأولى : القاهرة : مكتبة الثقافة العربية : ١٤٠٦ هـ ٠

٧٢ - : النبوات ٠

: الطبعة الأولى : و ط : مكتبة الكليات الأزهرية : ١٤٠٦ هـ ٠

٧٣ - الرحباوي : عبد القادر ٠

: معرفة الله ٠

الطبعة الأولى : د م : ١٤٠٥ هـ ٠

" ز "

٧٤ - الزركشي : محمد بن عبد الله المتوفى ٧٩٤ هـ ٠

: معنى لا إله إلا الله ٠

تحقيق علي داغي ٠

الطبعة الثالثة : بيروت : دار البشائر الإسلامية : ١٤٠٦ هـ ٠

---

١ - انظر : معجم الاعلام : ورد أنة توفى سنه ٦٠٦ هـ ٠ ص ٢٦٣

٧٥ ـ الزمخشري : أبى القاسم محمود الزمخشري الخوارزمي المتوفى ٥٣٨ هـ ٠
: الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل ٠
الطبعة الأولى : بيروت : دار الفكر : ١٣٩٧ هـ ٠

٧٦ ـ زين العابدين : محمد سرور ٠
: منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله ٠
الطبعة الثانية : الكويت : دار ابن الأرقم : ١٤٠٥ هـ ٠

" س "

٧٧ ـ السايس : محمد على ٠
: تفسير آيات الأحكام ٠
د ٠ ط : د م : مطبعة الصبيح : د ت ٠

٧٨ ـ السعدي : عبد الرحمن بن ناصر ٠
: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٠
د ط : المدينة المنورة : الجامعة الاسلامية : ١٣٩٨ هـ ٠

٧٩ ـ السكندري : ابن عطاء الله ٠
: الله القصد المجرد في معرفة الإسم المفرد ٠
د ٠ ط : الأزهر : مطبعة صبيح : د ٠ ت ٠

٨٠ ـ السمان : عبد العزيز ٠
: الكواشف الجليلة عن معانى الواسطية ٠
الطبعة الرابعة : مؤسسة مكة للطباعة و النشر : د ٠ ت ٠

٨١ ـ السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن ابن ابي بكر المتوفى ٩١١ هـ ٠
: الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٠
د ٠ ط : بيروت : دار المعرفة : د ٠ ت ٠

" ش "

٨٢ ـ الشاذلي : عبد المجيد ٠
: حد الإسلام و حقيقة الإيمان ٠
الطبعة الأولى : مكه المكرمة : جامعة أم القرى : ١٤٠٤ هـ ٠

٨٣ ـ الشافعي : شمس الدين محمد بن أبى العباس بن حمزه أبي شهاب الدين الرملي المتوفى ١٠٠٤ هـ ٠
: نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج ٠
د ٠ ط : بيروت : دار إحياء التراث العربى : د ٠ ت ٠

٨٤ ـ شحاته : عبد الله ٠
: الدعوة الإسلامية و الإعلام الدينى ٠
د ٠ ط : الهيئة المصرية العامة للكتاب : ١٩٧٨ م ٠

٨٥ ـ شلتوت : محمود ٠
: الإسلام عقيدة و شريعة ٠
الطبعة الثالثة عشر : بيروت : دار الشروق : ١٤٠٤ هـ ٠

٨٦ ـ الشنقيطي : محمد الأمين بن محمد المختار الجكني ٠
: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٠
د ٠ ط : بيروت : عالم الكتب : د ت ٠

٨٧ - : معارج الصعود إلى تفسير سورة هـود ·

الطبعة الاولىٰ : جدة : دار المجتمع : ١٤٠٨ هـ ·

٨٨ - الشوكاني : محمد بن علي المتوفى ١٢٥ هـ ·

: فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير ·

د · ط : بيروت : دار المعرفة : د · ت ·

٨٩ - : نيل الأوطار شرح منتقىٰ الأخبار من أحاديث سيد الأخيار

د · ط : بيروت : دار الكتب العلمية : د · ت ·

" ص "

٩٠ - الصابونى : محمد على و مجموعه من العلمـاء ·

: حكم الإسـلام في التصوير ·

د · ط : جده : مكتبة الضيـاء ·

٩١ - : روائـع البيـان ·

: د · ط : د م : دار احيـاء التراث العربي : د · ت ·

" ط "

٩٢ - طاحون : أحمـــد ·

: مرشد الدعاة إلـى اللـه ·

د · ط : جده : دار المطبوعات : ١٤٠٢ هـ ·

٩٣ـ طبارة : عفيف
: روح الدين الإسلامي .
الطبعة الثالثة والعشرون : بيروت : دار العلم للملايين : ١٩٨٣ م

٩٤ ـ الطبري : ابى جعفر محمد بن جرير ، المتوفى ٣١٠ هـ .
: جامع البيان من تأويل آى القرآن .
د . ط : بيروت : دار الفكر : ١٤٠٥ هـ .

" ظ "

٩٥ ـ الظواهري : محمد الحسينى .
: التحقيق التام في علم الكلام .
الطبعة الأولى : مكتبة النهضة المصريه : ١٣٥٧ هـ .

" ع "

٩٦ ـ عاشور : محمد
: التحرير و التنوير .
د . ط : د م : الدار التونسيه : ١٩٨٤ م .

٩٧ ـ عباس : فضل .
: القصص القرآنى .
الطبعة الأولى : عمان : دار الفرقان : ١٤٠٧ هـ .

٩٨ ـ عبد الباقي : محمد فؤاد ٠
: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ٠
د ٠ ط : بيروت : دار الفكر : د ٠ ت ٠

٩٩ ـ عبد الجواد : أحمد
: ولله الأسماء الحسنىٰ ٠
د ٠ ط : بيروت : دار الكتب العلمية : د ٠ ت ٠

١٠٠ ـ عبد الواحد : مصطفىٰ
: الإيمان في القرآن الكريم
الطبعة الأولىٰ : القاهرة : دار الصحوة : ١٤٠٧ هـ ٠

١٠١ ـ عبد الوهاب : أحمد
: النبوة و الأنبياء ٠
الطبعة الأولىٰ : مكتبة وهبة : ١٤٠٠ هـ ٠

١٠٢ ـ عزام : عبد الله
: العقيدة و أثرها في بناء الجيل ٠
الطبعة الثالثة : عمان : مكتبة الأقصىٰ : ١٤٠٠ هـ ٠

١٠٣ ـ العسقلاني : أحمد بن علي بن حجر المتوفى ٨٥٢ هـ ٠
: فتح الباري ٠
د ٠ ط : بيروت : دار المعرفة : د ٠ ت ٠

١٠٤ ـ العيني : أبي محمد محمود بن أحمد المتوفى ٨٥٥ هـ ٠
: عمدة القاري ٠
د ٠ ط : د م : دار الفكر : ١٣٩٩ هـ ٠

" غ "

١٠٥ ـ الغزالي : أبي حامد محمد المتوفى ٥٠٥ هـ .
: إحياء علوم الدين .
تحقيق محمود سعيد ممدوح .
د . ط : بيروت : دار المعرفة : ١٤٠٤ هـ .

١٠٦ ـ : الإقتصاد في الإعتقاد .
الطبعة الأخيرة : د . م : مطبعة الحلبي : د . ت .

١٠٧ ـ : المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى .
تحقيق محمد الخشت .
د . ط : القاهرة : مكتبة القرآن : ١٩٨٥ م

١٠٨ ـ الغزالي : محمد .
: مع الله .
الطبعة الرابعة : القاهرة : مطبعة حسان : ١٣٩٦ هـ .

١٠٩ ـ غلوش : أحمد .
: الدعوة الإسلامية .
د . ط : القاهرة : دار الكتاب العربي : ١٩٧٩ م .

١١٠ ـ غنام : طلعت
: أضواء البيان .
د . ط : القاهرة : عالم الكتب : ١٩٧٩ م.

" ف "

١١١ ـ الفارستي : علي بن بلبان .
: الإحسان بترتيب صحيح ابن حيان .
تحقيق كمال الحوت .
الطبعة التاسعة : بيروت : دار الفكر : ١٤٠٧ هـ .

١١٢ ـ الفقي : محمد .
: قصص الأنبياء .
الطبعة الأولى : القاهرة : مكتبة وهبة : ١٣٩٩ هـ .

" ق "

١١٣ ـ القاسمي : محمد جمال الدين المتوفى ١٣٣٢ هـ .
: محاسن التأويل : المسمى : تفسير القاسمي .
الطبعة الثانية : بيروت : دار الفكر : ١٣٩٨ هـ .

١١٤ ـ : موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين .
تحقيق عاصم بيطار .
الطبعة الأولى : بيروت : دار النفائس : ١٤٠١ هـ .

١١٥ ـ القرضاوي : يوسف .
: الحلال و الحرام في الإسلام .
الطبعة الثانية عشر : د م : المكتب الإسلامي : ١٣٩٨ هـ .

١١٦ ـ القرطبي : أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري المتوفى ٦٧١ هـ ٠

: التذكرة في أحوال الموتى و أمور الآخـرة ٠

الطبعة الأولى : المكتبة العلمية : د ٠ م : ١٤٠٢ هـ ٠

١١٧ ـ : الجامع لأحكام القرآن ٠

: الطبعة الثالثة عشر : دار الكتاب العربي : ١٣٨٧ هـ ٠

١١٨ ـ القزويني : أحمد بن فارس بن زكرياء : المتوفى ٣٩٥ هـ ٠

: معجم مقاييس اللغـه ٠

الطبعة الثانية : مصر : مطبعة الحلبي : ١٣٩ هـ ٠

١١٩ ـ قطب : سـيد ٠

: فـي ظلال القـرآن ٠

الطبعة التاسعة : القاهرة : دار الشروق : ١٤٠٠ هـ ٠

١٢٠ ـ : معالم في الطريـق ٠

الطبعة العاشرة : بيروت : دار الشروق : ١٤٠٣ هـ ٠

١٢١ ـ قطب : محمـد علـى ٠

: امرأتان في الجنة و امرأتان في النار ٠

د ٠ ط : د ٠ م : مكتبة القرآن : ١٩٨٣ م

١٢٢ ـ قطب : محمـد ٠

: جاهلية القرن العشريـن ٠

د ٠ ط : بيروت : دار الشروق : ١٤٠٨ هـ ٠

١٢٣ ـ : مفاهيم ينبغي أن تصحح ٠

الطبعة الثالثة : دار الشروق : ١٤٠٨ هـ ٠

" ك "

١٢٤ ـ كنجو : خالص ٠

: الطب محراب الإيمان ٠

الطبعة السادسة : بيروت : مؤسسة الرسالة : ١٤٠٧ هـ ٠

١٢٥ ـ كيلاني : سيد أحمد ٠

: في موكب النبيين ٠

الطبعة الأولى : الكويت : دار القلم : ١٤٠٤ هـ ٠

" ل "

١٢٦ ـ اللالكائي : أبي القاسم بن الحسن ٠

: شرح أصول إعتقاد أهل السنة و الجماعة من الكتاب و السنة و إجماع الصحابة و التابعين ٠

تحقيق د ٠ أحمد سعد حمدان ٠

د ٠ ط : الرياض: دار طيبة : ١٤٠٢ هـ ٠

١٢٧ ـ اللقانى : ابراهيم بن ابراهيم المتوفى ١٠٤١ هـ

: جوهرة التوحيد ٠

على هامش : تحفة المريد على جوهرة التوحيد لابراهيم البيجورى ٠

الطبعة الأخيرة : د ٠ م : ١٣٥٨ هـ ٠

" م "

١٢٨ ـ محفوظ : علـي المتوفى ١٣٦١ هـ ٠
: هداية المرشدين إلىٰ طريق الوعظ و الخطابـة ٠
د ٠ ط : بيروت : دار المعرفة : د ٠ ت ٠

١٢٩ ـ محمـد : سعيد صادق ٠
: الأنبيـاء في القـران ٠
الطبعة الأولىٰ : الرياض : دار اللواء : ١٤٠٢ هـ ٠

١٣٠ ـ المراغي : أحمـد مصطفى ٠
: تفسـير المراغـي ٠
الطبعة الثانية : بيروت : دار إحياء التراث العربي : ١٩٨٥ م ٠

١٣١ ـ مستشرقين : جماعة من العلمـاء ٠
: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبـوي ٠
د ٠ ط : استانبول : دار الدعـوة : ١٩٨٦ م ٠

١٣٢ ـ المطرفي : عويـد ٠
: آيـات عتـاب المصطفىٰ ٠
د ٠ ط : القاهرة : دار الفكـر : د ٠ ت ٠

١٣٣ ـ المقدسـي : محمد عبد الله بن أحمـد بن قدامـه ٠
: التوابيـن ٠
د ٠ ط : بيروت : دار الكتب العلميـة : ١٤٠٣ هـ ٠

١٣٤ - المقدسي : موفق الدين أبي محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المتوفى ٦٢٠ هـ و شمس الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن أبي عمر محمد بن أحمد المقدسي المتوفى ٦٨٢ هـ ٠

: المغني و يليه الشرح الكبير ٠

د ٠ ط : بيروت : دار الكتاب العربي : ١٣٩٢ هـ ٠

١٣٥ - المكي : عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي ٠

: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل و التوالي ٠

د ٠ ط : القاهرة : المطبعة السلفية : ١٣٨٠ هـ ٠

١٣٦ - المنذري : زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المتوفى ٦٥٦ هـ ٠

: الترغيب و الترهيب ٠

ضبط أحاديثه : مصطفى عمارة ٠

د ٠ ط : بيروت : دار الفكر : ١٤٠٨ هـ ٠

١٣٧ - :

: المنجد في اللغة و الأعلام ٠

الطبعة السابعة و العشرون : بيروت : دار الشروق : ١٩٨٤ م ٠

١٣٨ - الميداني : عبد الرحمن حبنكة

: الأخلاق الإسلامية و أسسها ٠

الطبعة الأولى : بيروت : دار القلم : ١٣٩٩ هـ ٠

١٣٩ - : العقيدة الإسلامية و أسسها ٠

الطبعة الأولى : القاهرة : مكتبة الثقافة العربية : ١٤٠٦ هـ ٠

" ن "

١٤٠ - النجـار : عبد الوهاب ·

: قصص الأنبياء ·

الطبعة الثالثة : بيروت : دار إحياء التراث العربي : د · ت

١٤١ - النسائي :

: شرح الحافظ جلال الدين السيوطي و حاشيته الأمام السندي ·

اعتنى به و رقمة و صنع فهارسة عبد الفتاح أبو غدة ·

الطبعة الأولىٰ : بيروت : ١٤٠٦ هـ ·

١٤١ - النووي : يحيى بن شرف المتوفى ٦٧٦ هـ ·

: الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار صلىٰ الله عليه و سلم ·

تحقيق عبد القادر أرناؤوط ·

الطبعة الثانية : الرياض : دار الهدى : ١٤٠٩ هـ ·

١٤٣ - : رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ·

تحقيق محيي الدين الجراح ·

د · ط : بيروت : مناهل العرفان : د · ت

١٤٤ - : المجموع : شرح المهذب ·

د · ط : د · م : دار الفكر : د · ت

١٤٥ - النيساوري :

: غرائب القرآن و رغائب الفرقان ·

الطبعة الأولىٰ : مصر : مطبعة الحلبي : ١٣٨٤ هـ ·

١٤٦ - النيسابوري : الحاكم ٠
: المستدرك على الصحيحين فى الحديث ٠
الطبعة الثانية : بيروت : دار الفكر : ١٣٩٨ هـ ٠

" هـ "

١٤٧ - هراس : خليل ٠
: دعوة التوحيد ٠
: د ٠ ط : طنطا : مكتبه الصحابة : د ٠ ت ٠

١٤٨ - الهلالي : سليم ٠
: الصبر الجميل ٠
د ٠ ط : الدمام : دار ابن القيم : ١٤٠٩ هـ ٠

" و "

١٤٩ - الواعي : توفيق ٠
: الدعوة إلى الله ٠
الطبعة الأولى : الكويت : دار الفلاح : ١٤٠٦ هـ ٠

١٥٠ - ياسين : محمد نعيم ٠
: الإيمان : أركانه حقيقته نواقضه ٠
الطبعة الرابعة : د ٠ م : د ٠ ت ٠

الفهرس

الموضوع		صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

* * * * * * * * * *